الإرشادات الإسلامية

في

الخطب المنبرية

الجزء الثالث

جمع وترتيب

الشيخ: أحمد محمد سعد

﴿أحمد أبو عيد﴾

إمام وخطيب بالأوقاف المصرية

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الغفور الودود، الكريم المقصـــود، الملك المعبود قديم الوجود، المتعالي عن الأمثال والأشكال والجهات والحدود، لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء في الليالي السود، ويسمع حس الدود في خلال العود، وتردد الأنفاس في الهبوط والصعود.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أدخرها عنده ليوم اللقاء.

يا من يرى ما في الفؤاد ويســمع ** أنـت الرقيـب لكـل لمـا يتوقع
ســبحانك اللهم أنـت الواحـــد ** كل الوجود على وجودك شـــاهد
يـا حي يـا قيوم أنـت المرتجى ** والى علاك علا الجبين الســاجد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ، خاتم الرسل والأنبياء، وسيد النجباء والأولياء والأصفياء، المتصف بالصدق والوفاء.

يا سيدي يا رسول الله:

أرســلـت داعيـة إلـي الرحـــمن ** ودعـــوت فاهتز لك الثقلان
أخرجـت قومـك من ضــلالات الهوى ** وهـديتـنـا لـلـواحـد الـديـان

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

وبعد

فهذا كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية (الجزء الثالث) وهو كتاب يحتوي على ثماني عشرة خطبة ، وقد أعانني الله تعالى فقسمت كل خطبة منه إلى عناصر ، وكل عنصر إلى عدة نقاط محدودة حتى يسهل فهم الموضوع ويسهل استيعابه ، وقد راعيت في كل موضوع أن يشتمل على أدلة من كتاب الله تعالى ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ، فلم أدرج فيه إلا الأحاديث الصحيحة أو

الحسنة الثابتة عن النبي ﷺ فحسب ، واشتملت الخطب كذلك على بعضٍ من النماذج والعبر وبعضٍ من الشعر الحسن ، وأعانني الله فعملت جاهدًا على أن يكون الموضوع وافيًا بما يكفي للترغيب في الأمر والترهيب من ضده ، وحاولت جاهدًا بفضل الله تعالى أن يكون الأسلوب سهلاً وميسرًا ومشتملاً على الفوائد المطلوبة منه ليسهل فهمه وتبليغه والعمل به .

والله تعالى أسأل أن يجعله علمًا ينتفع به كما قال النبي ﷺ فيما روى عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (١).

والله تعالى اسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا جميعًا وأن يغفر لي ولوالدىَّ ولمن يقرأون الكتاب وينشرونه ويبلغون ما فيه لغيرهم عملاً بقول النبي ﷺ فيما روى عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (٢).

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده فهو القائل {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود.

وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء،

وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون به إلى الجنة ويلقى به في النار،

وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أحمد محمد سعد محمود

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

ت- ٠١٠٩٨٠٩٥٨٥٤

(١) متفق عليه (٢) صحيح مسلم

أهمية الصلاة على رسول الله ﷺ

الحمد لله الذي يعطى ويمنع، ويخفض ويرفع، ويضر وينفع، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما يمنع، يكور النهار على الليل ويكور الليل على النهار، يعلم الأسرار، ويقبل الأعذار، وكل شيء عنده بمقدار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

فكم لله من لطف خفي ** يدق خفاه عن فهم الذكي
أمل تساق به صباحا ** فتأتيك المسرة بالعشيِّ
وكم يسر أتى من بعد عسر ** ففرج كرة القلب الشجي
إذا ضاقت بك الأحوال يوما ** فلذ بالله الواحد العليِّ
إليك إله الخلق ارفع رغبتي ** وأنا يا ذا المن والجود مجرما
ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ** جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظم ذنبي فلما قارنته بعفوك ** ربي كان عفوك أعظم

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

يا مصطفي ولأنت ساكن مهجتي ** روحي فداك وكل ما ملكت يدي
إني وقفت لنصر دينك همتي ** وسعادتي إلا بغيرك اقتدي
لك معجزات باهرات جمة ** واجلها القران خير مؤيدي
ما حرفت أو غيرت كلماته ** شلت يد الجاني وشاه المعتدي
قد لامني فيك الكفور ولو درى ** نعم الغرام بك لكان مؤيدي
يا رب صلِّ علي الحبيب محمد ** واجعله شافعنا بفضلك في غدي

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر:

أولًا: فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

ثانيًا: مواطن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

ثالثًا: التحذير من ترك الصلاة عليه ﷺ

الموضوع

أولًا: فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

أمر الله بها: قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب ٥٦) ، ومعنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى، وكذلك: (الصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره).

قال ابن كثير رحمه الله: (المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه تصلي عليه الملائكة ثم أمر الله تعالى العالم السفلي بالصلاة والسلام عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً) [1].

قال ابن عبد السلام: (ليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة منا له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء، فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه؛ لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا، وأفضاله علينا، إذ لا إحسان أفضل من إحسانه ﷺ، وفائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه دلالة ذلك على نضوج العقيدة، وخلوص النية، وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام).

صلى عليه الله في ملكوته ** ما قام عبد في الصلاة وكبرا
صلى عليه الله في ملكوته ** ما عاقب الليل النهار وأدبرا
صلى عليه الله في ملكوته ** ما دارت الأفلاك أو نجم سرا
وعليه من لدن الإله تحية ** روح وريحان بطيب أثمرا

وقال آخر

الله زاد محمدا تكريما ** وحباه فضلا من لدنه عظيما
واختصه في المرسلين كريما ** ذا رأفة بالمؤمنين رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما ** صلوا عليه وسلموا تسليما

مغفرة الذنوب وذهاب كافة الهموم

عن أُبَيّ بن كعبٍ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ) قُلْتُ: يَا رسول الله، إِنِّي أُكْثِرُ

---

(١) تفسير ابن كثير

الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فَقَالَ:)مَا شِئْتَ) قُلْتُ: الرُّبُع، قَال:)مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ) قُلْتُ: فَالنِّصْف؟ قَالَ:)مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ) قُلْتُ: فالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ:)مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ) قُلْتُ: أجعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ:)إذاً تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ) [١]

قال الملا علي القاري [٢]: (أجعل لك صلاتي كلها) أي أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي. (تكفي همك) قال الأبهري: أي إذا صرفت جميع زمان دعائك في الصلاة عليّ كفيت ما يهمك.

وقال التور بشتى: معنى الحديث كم أجعل لك من دعائي الذي أدعو به لنفسي.

فقال: (إذن تكفي همك) أي ما أهمك من أمر دينك ودنياك؛ وذلك لأن الصلاة عليه مشتملة على ذكر الله وتعظيم الرسول، والاشتغال بأداء حقه عن أداء مقاصد نفسه)، فمهما كان بك من هم فأكثر من الصلاة على رسول الله بقلب حاضر وتأكد ان الله على كل شيء قدير.

ويذكر الشيخ صالح المغامسي: انه تعرض الشيخ لأزمة صحية في القلب أدت إلى خضوعه لعملية جراحية في القلب ، وبعد انتهاء العملية الجراحية حدثت له قصة غريبة ومؤثرة للغاية تتجلى في عظمة وقدرة الله تعالى الذي بيده كل شيء ، فقد روى الشيخ بأنه بعد مرور ٢٤ ساعة على إفاقته من البنج ، لاحظ الممرض الذي يتابع حالة الشيخ المرضية ، بأن هناك شيئا ما في الدم فأخبر الطبيب المختص بما رآه ثم تجمع حوله ١٤ طبيب آخر حتى أن الشيخ بدأ يخاف مما يجري وذلك لتغير وجوه وتعابير الأطباء حوله كما أنه رأى الأجهزة المحيطة به تعطي إشارات غير مطمئنة ، وبعد اجتماع الأطباء أتى إليه الاستشاري الدكتور آدم ليري وهو المسئول عن العملية الجراحية ، وأخبرهم بأن هناك دم متجمد تجمع على القلب بعد العملية ، فأخبر الطبيب الشيخ صالح بأنهم سيعيدونه إلى العناية المركزة لإجراء عملية فتح قلب أخرى لأن الدم المتجمع يعرضه للخطر ولذلك يجب أن يتم إخراج الدم المتجمع على القلب ، فصعق الشيخ من سماع هذا الخبر فبدأ يردد الشهادة ويقول (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ووافق على إجراء العملية وفي تلك اللحظة قالت ممرضة لبنانية الجنسية وهي كانت متعاطفة جدا لحالته لأنها كانت قد رأته وهو فرح بعد خروجه من العملية وأحزنها عودته ثانية بعد يوم واحد لخضوع لعملية أخرى ، فقالت له وقتها يا صالح ، صلي على النبي وربي يفرجها فرد عليها الشيخ صالح قائلا (اللهم صلي على محمد

---

(١) صحيح سنن الترمذي

(٢)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

وعلى آل محمد) واستطرد الشيخ مكملا روايته وهو يحلف بالله بأن شيئا ما قد تغير فجأة حيث أن الأجهزة بدأت تتغير وتم استدعاء الدكتور آدم مرة أخرى وعند رؤيته للشاشة استغرب وتفاجأ الجميع بما فيهم الشيخ صالح بأن كل الدم المتجمع قد نزل ! ووقتها بكى الشيخ لشدة تأثره بما حدث.

مضاعفة الأجر والثواب: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ (مَنْ صَلَّى عَلَىَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا) (١).

رفع الدرجات وتكفير السيئات: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات) (٢).

شفاعة النبي له: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ -ﷺ-يَقُولُ (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِىَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِى الْجَنَّةِ لاَ تنبغي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِىَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) (٣).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) (٤)

إذا أردت أن تفوز وترتقي ** درج العلى أو تنال منه رضاه
أدم الصلاة على محمد الذي ** لولاه ما فتح المكبر فاه
وله الوسيلة واللواء وكوثر ** يروى الورى وكذا يكون الجاه

هم أولى الناس بالنبي ﷺ: عن ابن مسعود -ﷺ-: أَنَّ رسول الله -ﷺ-قَالَ: (أَوْلَى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً) (٥).

معرفة رسول الله ﷺ لمن يصلي عليه: عن عبد الله هو ابن مسعود عن النبي ﷺقال: (إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام) (٦) ،وعن أيوب قال: (بلغني والله أعلم أن ملكا موكل بكل من صلى على النبي ﷺ حتى يبلغه النبي ﷺ) (٧)

هذا النَّبِيُّ محمَّدٌ خَيْرُ الوَرَى ** ونَبِيُّهُمْ وبِهِ تَشَرَّفَ ءادَمُ
هُوَ في المَدِينَةِ ثاوِيًا بِضَرِيحِهِ ** حَقًّا وَيَسْمَعُ مَنْ عَلَيْهِ يُسَلِّمُ

---

(١) صحيح مسلم
(٢) مشكاة المصابيح. صحيح
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح سنن الترمذي
(٦) السلسلة الصحيحة
(٧) صحيح فضل الصلاة على رسول الله للألباني

وإذا تَوَسَّلَ مُسْتَضامٌ لله بِاسْمِهِ ** زالَ الذي مِنْ أَجْلِهِ يَتَوَهَّمُ
صَلَّى عَلَيْهِ الله جلَّ جلالُهُ ** ما راحَ حَادٍ باسْمِهِ يَتَرَنَّمُ

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان: عن عبد الله ابن أبي طلحة عن أبيه: أن رسول الله ﷺ جاء يوما والبشر يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله إنا نرى في وجهك بشرا لم نكن نراه قال: (أجل إنه أتاني ملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك ألا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا سلم عليك إلا سلمت عليه عشرا) [١]

صلاة الملائكة عليه: وعن عامر بن ربيعة عن أبيه ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول (من صلى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك أو ليكثر) [٢]

ذكر ابن القيم ﷺ ٤٠ فائدة للصلاة عليه ﷺ

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ) أربعين فائدة للصلاة على النبي ﷺ وهي:

(١) امتثال أمر الله.
(٢) موافقة الملائكة فيها.
(٣) موافقة الله سبحانه وتعالى في الصلاة على النبي ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان.
(٤) الحصول على عشر صلوات من الله تعالى على المصلي مرة واحدة.
(٥) يرفع العبد بها عشر درجات.
(٦) يكتب له بها عشر حسنات.
(٧) يمحى له بها عشر سيئات.
(٨) أنها سبب في إجابة الدعاء.
(٩) سبب حصول شفاعة المصطفى ﷺ
(١٠) سبب لغفران الذنوب.
(١١) سبب لكفاية الله سبحانه وتعالى العبد ما أهمه.
(١٢) قرب العبد من النبي ﷺ يوم القيامة.
(١٣) قيام الصلاة مقام الصدقة لذي العسرة.
(١٤) سبب لقضاء الحوائج.
(١٥) سبب لصلاة الله وملائكته عليه.
(١٦) سبب زكاة المصلي وطهارة له.
(١٧) سبب تبشير العبد بالجنة قبل موته.
(١٨) سبب النجاة من أهوال يوم القيامة.
(١٩) سبب تذكر العبد ما نسيه.
(٢٠) سبب رد سلام النبي ﷺ على المصلي والمسلم عليه.
(٢١) سبب طيب المجلس فلا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.
(٢٢) سبب نفي الفقر.
(٢٣) سبب نفي البخل عن العبد.

---

(١) فضل الصلاة على رسول الله للألباني "صحيح لغيره"
(٢) صحيح الترغيب والترهيب

(٢٤) سبب نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف.

(٢٥) سبب طريق الجنة، لأنها ترمي بصاحبها على طريق الجنة، وتخطئ بتاركها عن طريقها.

(٢٦) النجاة من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله ورسوله ﷺ

(٢٧) سبب تمام الكلام في الخطب وغيرها. (٢٨) سبب وفور (كثرة) نور العبد على الصراط.

(٢٩) سبب خروج العبد من الجفاء.

(٣٠) سبب لإبقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض.

(٣١) سبب البركة على المصلي. (٣٢) سبب نيل رحمة الله تعالى.

(٣٣) سبب دوام محبة الرسول ﷺ (٣٤) سبب دوام محبة الرسول ﷺ للمصلي.

(٣٥) سبب هداية العبد وحياة قلبه. (٣٦) سبب عرض اسم المصلى على النبي ﷺ

(٣٧) سبب تثبيت القدم على الصراط. (٣٨) سبب أداء بعض حق المصطفى ﷺ

(٣٩) أنها متضمنة لذكر الله وشكره تعالى.

(٤٠) أنها دعاء لأنها سؤال الله عز وجل أن يثني على خليله ﷺ، أو سؤال العبد لحوائجه ومهماته

كيفية الصلاة على رسول الله ﷺ : عَنِ الْحَكَمِ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِى لَيْلَى قَالَ لَقِيَنِى كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ أَلاَ أُهْدِى لَكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقُلْنَا قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّى عَلَيْكَ قَالَ (قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) [١] ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ أَخْبَرَنِى أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِىُّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّى عَلَيْكَ قَالَ (قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) [٢]، وقال النووي:)إذا صلى أحدكم على النبي -ﷺ- فليجمع بين الصلاة والتسليم، ولا يقتصر على أحدهما، فلا يقل: (ﷺ) فقط، ولا (عليه السلام) فقط) [٣].

ثانياً: مواطن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

بعد الآذان: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ -ﷺ-يَقُولُ (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِىَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِى الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِى إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِىَ

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) الأذكار للنووي

الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) [١].

عند الدعاء: عن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ - ﷺ - ، قَالَ : سَمِعَ رسُولُ الله - ﷺ - ، رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبيِّ - ﷺ - ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: (عَجِلَ هَذَا) ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ - أَوْ لِغَيْرِهِ - : (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبيِّ - ﷺ - ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ) [٢].

وقال رسول الله ﷺ: (إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدحة والثناء على الله بما هو أهله ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح) [٣]. ، وقال النووي: أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم بالصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك يختم الدعاء بهما).

في التشهد: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا نَقُولُ فِى الصَّلاَةِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِى الصَّلاَةِ فَلْيَقُلِ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِىُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ) [٤].

يوم الجمعة: وعن أوس بن أوس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ(إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ). قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟! قَالَ: يقولُ بَلِيتَ. قَالَ: (إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ) [٥].

ولقد قال الشافعي رحمه الله: (أحب كثرة الصلاة على النبي ﷺفي كل حال وأمّا في يوم الجمعة وليلتها أشدُّ استحباباً).

عند دخول المسجد: عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم أجرني من الشيطان الرجيم) [٦]

في الحج والعمرة: كان عمر بن الخطاب يقول: (إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم أتوا الصفا فقوموا من حيث ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات بين كل تكبيرتين حمد لله

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح سنن الترمذي
(٣) السلسلة الصحيحة
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح سنن الترمذي
(٦) صحيح الجامع

وثناء عليه وصلاة على النبي ﷺ ومسألة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك) [١]

في صلاة الجنازة: عن سعيد بن المسيب قال: إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب ويصلي على النبي ﷺ ثم يخلص الدعاء للميت متى يفرغ ولا يقرأ إلا مرة واحدة ثم يسلم في نفسه، وعن الشعبي قال: أول تكبيرة من الصلاة على الجنازة ثناء على الله عز وجل والثانية صلاة على النبي ﷺ والثالثة دعاء للميت والرابعة السلام) [٢] ، وقال الشافعي واحمد في المشهور من مذهبهما إنها واجبة في صلاة الجنازة لا تصح إلا بها ورواه البيهقي عن عبادة بن الصامت وغيره من الصحابة وقال مالك وابو حنيفة تستحب وليست بواجبة وهو وجه لأصحاب الشافعي

عند نشر العلم والوعظ وقراءة الحديث: الصلاة على النبي ﷺ عند نشر العلم والوعظ وقراءة الحديث ابتداء وانتهاء متأكد لمن وصف بوصف التبليغ عن رسول الله ﷺ، فيفتح كلامه بحمد الله والثناء عليه وتمجيده والاعتراف له بالوحدانية وتعريف حقوقه على العباد، ثم بالصلاة على رسول الله ﷺ وتمجيده والثناء عليه، وأن يختم ذلك أيضاً بالصلاة عليه ﷺ تسليماً.

قال ابن الصلاح ينبغي أن يحافظ على الصلاة والتسليم عند ذكره ﷺ، وألا يسأم من تكرير ذلك عند تكريره، وكتبته، ومن أغفل ذلك حرم حظاً عظيماً، وما نكتبه من ذلك فهو دعاء نثبته لا كلام نرويه، فلا تتقيد بالرواية، ولا تقتصر فيه على ما في الأصل، وهكذا في الأمر في الثناء على الله عند ذكر اسمه عز وجل، وقال النووي في الأذكار: يستحب لقارئ الحديث وغيره ممن في معناه إذا ذكر رسول الله ﷺ أن يرفع صوته بالصلاة عليه والتسليم ولا يبالغ في الرفع مبالغة فاحشة.

الصلاة عليه عند كتابة الفتيا: قال النووي رحمه الله في الروضة من زوائده: يستحب عند إرادة الإفتاء أن يستعيذ من الشيطان، ويسمي الله تعالى ويحمده، ويصلي على النبي ﷺ، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي) [طه: ٢٥]، ثم قال: إذا كان السائل قد أغفل الدعاء أو الحمد والصلاة على رسول الله ﷺ في آخر الفتوى ألحق المفتي ذلك بخطه، فإن العادة جارية به.

عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو القاسم ﷺ: (أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على نبيه ﷺ إلا كانت عليهم من الله تره إن شاء الله عذبهم وإن شاء غفر لهم) [٣]

إذا ما شئت في الدارين تسعد ** فأكثر في الصلاة على محمد

---

(١)فضل الصلاة على رسول الله للألباني "صحيح "

(٢)فضل الصلاة على رسول الله للألباني "صحيح "

(٣) صحيح الجامع

وان شـــئت قبـــــول لها يقيـــــنا ** فـاختم بـالصـــلاة على محـــــــمد
وقـل يـا رب لا تـقـطـع رجـائـي ** وكـن لي بـالصـــلاة على محمـد

في أيّ مكان وأيّ وقت: عن أَبي هريرة -ﷺ -، قَالَ: قَالَ رســـول الله ﷺ: (لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً، وَصَـــلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَـــلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ) [١]، قوله: (ولا تجعلوا قبري عيدا). العيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان. قوله: (وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم). يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام، يحصل مع قربكم من قبري، وبعدكم فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدا [٢].

ثالثاً: التحذير من ترك الصلاة عليه

خاب وخسر من لم يصلِّ على رسول الله ﷺ: عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ:)رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَـــلِّ عَلَيَّ) [٣]. (أي لصـــق بـالرغـام وهو التراب، وهو كنـايـة عن الـذل والحقارة)

هو البخيل: عن عليّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ:)البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ) [٤].

خطئ طريق الجنة: وعن حسين بن علي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة) [٥]

التعرض لعذاب الله: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو القاسم ﷺ: (أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصـــلوا على نبيه ﷺ إلا كانت عليهم من الله تره إن شـــاء الله عذبهم وإن شاء غفر لهم) [٦] (والترة: الباطل وهو الصَّغار والبعد عن الجادة يوم القيامة)

فنسأله سبحانه ان يعيننا على طاعته والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، وأن يجمعنا به الجنة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح الجامع
(٢) الكلم الطيب
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح سنن الترمذي
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) صحيح الجامع

سماحة الإسلام في العبادات

الحمد لله الذي تفرد بالعز والجلال، وتوحد بالكبرياء والكمال، وجلّ عن الأشباه والأشكال، ودل على معرفة فزال الإشكال، وأذل من اعتز بغيره غاية الإذلال، وتفضل على المطيعين بلذيذ الإقبال، بيده ملكوت السماوات والأرض ومفاتيح الأقفال، لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه وهو الخالق الفعال.

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، هو الأول والآخر والظاهر والباطن الكبير المتعال، لا يحويه الفكر ولا يحده الحصر ولا يدركه الوهم والخيال.

يا من يجيب دعاء المضـــر في الظلم ** يا كاشفا الضر والبلوى مع السقم

إن كان أهل التقى فازو بما عملـــوا ** فمن يجود على العاصين بالكـــرم

وأشــهد أن سـيدنا وحبيبنا وشـفيعنا محمد عبد الله ورسـوله وصـفيه من خلقه وحبيبه، الذي أيده بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، وزينه بأشرف الخصال ورفعه إلى المقام الأسن، فكان قاب قوسين أو أدنى، وخلع الجمال.

جـل الـذي بعـث الرســول رحيمـا ** ليرد عنـا في المعـاد جحيمـا

وبـــه نـــرجى جنـــة ونعيـــما ** وضـــحى على الكريم كريمـا

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

اولًا: الإسلام دين اليسر والسماحة

ثانيًا: التيسير على العباد في العبادات

ثالثًا: آثار الابتعاد عن منهج التيسير

الموضوع

مفهوم اليسر

اليُسْرُ لغة: ضد العُسْرِ. ومنه (الدِّين يُسْرٌ) أي سهلٌ سَمْحٌ قليل التشديد.

أما في الاصطلاح: تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، من غير تشـدُّد يُحرِّم الحلال، ولا تميُّع يُحلِّل الحرام، ويدخل تحت هذا المسـمى السـماحة والسـعة ورفع الحرج وغيرها من المصطلحات التي تحمل المدلول نفسه.

اولًا: الإسلام دين اليسر والسماحة

السماحة في الاحكام والتشريعات: قال تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الأعراف.

لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ (لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- (لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا أَىْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلاَ نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ). قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِى إِثْرِهَا (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قَالَ نَعَمْ (رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) قَالَ نَعَمْ (رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ) قَالَ نَعَمْ (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) قَالَ نَعَمْ)(١).

رفع الحرج: قال تعالى (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) الحج ٧٨.، وقوله أيضًا (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) البقرة:١٨٥، وقوله (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) النساء.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ) (٢) ، وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ، فَقَالَ: اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ فَجَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ: ارْمِ وَلاَ حَرَجَ فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ: افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ((٣)

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري (٣) متفق عليه

الإسلام دين الوسط والاعتدال: فوسطية هذا الدين في كل جوانبه، في العقيدة والعبادة والمعاملة والسلوك وغيرها، وهو امتثال لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة)

النهي عن التشدد في العبادة: قال تعالى:(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا)[النساء:]

وعن أَبي هريرةَ ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ : (إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ إلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) (١).

وفي رواية لَهُ: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا)، (إلا غَلَبَهُ): أي غَلَبَهُ الدِّينُ وَعَجَزَ ذلِكَ المُشَادُّ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طُرُقِهِ. وَ (الغَدْوَةُ): سير أولِ النهارِ. وَ (الرَّوْحَةُ): آخِرُ النهارِ. وَ (الدُّلْجَةُ): آخِرُ اللَّيلِ، وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه: اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللهِ -عز وجل -بِالأَعْمَالِ في وَقْتِ نَشَاطِكُمْ وَفَرَاغِ قُلُوبِكُمْ بِحَيثُ تَسْتَلِذُّونَ العِبَادَةَ ولا تَسْأَمُونَ وتبلُغُونَ مَقْصُودَكُمْ، كَمَا أَنَّ المُسَافِرَ الحَاذِقَ يَسيرُ في هذِهِ الأَوْقَاتِ ويستريح هُوَ وَدَابَّتُهُ في غَيرِهَا فَيَصِلُ المَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَب، واللهُ أعلم (٢).

وعن ابن مسعود -ﷺ -: أنّ النَّبيّ -ﷺ -، قَالَ: (هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ) قالها ثَلاثاً (٣)، (المُتَنَطِّعونَ): المتعمقون المشددون في غير موضعِ التشديدِ، وعن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: مَنْ هذِهِ قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لاَ يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ) (٤)

لا يؤاخذ المكره ما دام القلب مطمئنا بالإيمان: قال تعالى (مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) النحل.

السماحة واليسر في الدعوة إلى الله : قال تعالى (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) النحل ١٢٥.

وقال تعالى: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه ٤٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا) ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ : (إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا

(١) صحيح البخاري (٢) رياض الصالحين (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح البخاري

مُعَسِّرِينَ ، صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ) أَوْ قَالَ: (ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ)[١]. وصدق سيدي رسول الله ﷺ حين قال:(إن الله لم يبعثني مُعنفاً ولكن بعثني مُعلماً مُيسراً)[٢].

وقال الإمام الشافعي

وكنْ رجلًا على الأهوالِ جلدًا ** وشيمتُكَ السَّمَاحَةُ والوفاءُ
وإن كثرت عيوبُكَ في البرايا ** وسَرَّك أَنْ يَكونَ لها غِطَاءُ
تَسَتَّر بالسَّخَاءِ فكُلُّ عَيْبٍ ** يُغطِّيه كما قيلَ السَّخاءُ
ولا ترجُ السَّمَاحَةَ مِن بخيلٍ ** فَما في النَّارِ لِلظْمآنِ مَاءُ

التوبة: التوبة من الأسس المتينة التي يرتكز عليها منهج التيسير في الإسلام، وهي سبب من أسباب ثبات المؤمن وبقائه على دين الله تعالى، حيث تزيل عن كاهله هموم المعاصي وأثقال المخالفات، وتدفعه للعمل دومًا نحو الأفضل، يقول الله تعالى :(قُلْ يا عبادي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (سورة الزمر الآية ٥٣).

والتوبة سبب لمحبة الله تعالى للإنسان عندما ينيب إليه بعد أن عصاه، ويندم على فعله :(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (سورة البقرة الآية ٢٢٢).

وعن أنس بن مالك قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِى ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)[٣].

وينبغي ألا يستكثر الإنسان على ربه بالتوبة إذا عصى ، أو يصارع نفسه ويدخلها في مستنقعات الوسواس الخناس إذا اقترفت يداه ذنبًا أو وقعت عينه على معصية ، بأن يقول : إن الله – تعالى – لن يغفر لي بعد هذا ، فهذه معصية كبرى ، وعقيدة فاسدة ، وسوء ظن بالله جل شأنه ، وهو باب من أبواب الشيطان لئلا يعود إلى ربه مرة أخرى ويعمل الأعمال الصالحة ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) [٤].

الأعمال الصالحة مكفرات للخطايا: قال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (سورة الفرقان الآية ٧٠).

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٢) صحيح سنن أبي داود (٣) صحيح البخاري (٤) صحيح مسلم

عن معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قَالَ : (اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ وَأتْبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (١)

وقد وردت أحاديث كثيرة تبين الأعمال التي تكفر السيئات وتحط منها، وترفع الدرجات وتزيد منها عند الله تعالى، نذكر بعضها:

أ – الوضوء

فإنه يكفر عن المسلم ذنوبه وخطاياه ما اجتنبت الكبائر عن عثمان بن عفان -ﷺ-، قَالَ: قَالَ رسول الله -ﷺ-:)من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُج مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ) (٢)

ب – الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، وكذلك صوم رمضان، فإنها جميعا تكفر خطايا ابن آدم وترفع من درجاته وشأنه عند الله تعالى، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-قَالَ (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ) (٣).

عَنْ أَبِى قَتَادَةَ الأنصاري ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ:(..... وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ (يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ). قَالَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ (يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ) (٤)

ج – أن كل ابتلاء ومصيبة يبتلى بها المسلم فهي كفارة له فعن أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذًى، وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) (٥).

الأصل في الأشياء الإباحة: من أهم المرتكزات التي قام عليها منهج التيسير في الإسلام أن الأصل في الأشياء حلها وإباحتها، وليس منعها وحرمتها، فكل ما خلق في هذا الكون مسخرٌ للإنسان ومهيأ للاستمتاع به، ما لم يكن فيه نهي صريح، يقول الله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ) (سورة الجاثية الآية ١٣).

وبما أن الشارع قد بيّن ذلك فلا يحق لأحد أن يحرم هذا المباح ، فإنه بذلك يدخل في نطاق التنطع والتعنت المنهي عنه ، ومن أجل ذلك جاء التحذير الرباني بالنهي عن تحريم الأمور المباحة أو تحليل المحرم ، فقد كان هذا السؤال سببًا لإخراج الناس من الدين الحق ، وإحلال غضب الله عليهم ، كما حدث لبعض الأمم السابقة ، يقول الله تعالى : (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ *قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ

(١) صحيح سنن الترمذي
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح البخاري

مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ) المائدة.

فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْئَلَتِهِ) (١)

التمتع بالطيبات التي أحلها الله دون اسراف أو تبذير: قال تعالى:(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[الأعراف: ٣١، ٣٢]، وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) [المائدة]، وهاتان الآيتان الكريمتان تبيّنان للجماعة المؤمنة حقيقة منهج الإسلام في التمتع بالطيبات، ومقاومة الغلو الذي وجد في بعض الأديان، أو عند بعض المتنطعين.

السماحة مع غير المسلمين: قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الممتحنة ٨.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)(٢).

إن تقرير مبدأ المسامحة والتيسير في الدين لا يعني الإخلال بمقاصد الشريعة والدين : فلا يفهم من مبدأ التيسير أنه تفريط أو تسيب في تطبيق أحكام هذا الدين وتنفيذ أوامره، لأن هذا اليسر لا يكون في إثم أو معصية.

ولا يعني هذا المبدأ تجاوز الحلال والحرام أو الإخلال بالمفاهيم الإسلامية والآداب العامة، لأنه مبني أصلا على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الواضحة، فليس في تقرير هذا المبدأ ابتداع أو إدخال أمر جديد في الدين، لقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (سورة البقرة الآية ١٨٥).

وقوله تعالى :(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (سورة الحج الآية ٧٨).

– ولا يعني إقرار هذا المبدأ تحكيم الأهواء والرغبات، وتحقيق المصالح الشخصية من وراء ذلك، فقد يستغله ضعاف الإيمان لتحكيم أهوائهم ورغباتهم ويجعلون هذا يسرًا أو سماحة، بل اليسر والسماحة يجب أن تكون مبنية على مصادر التشريع الأصلية وهي القرآن الكريم والسنة والنبوية والإجماع.

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري

ثانياً: التيسير على العباد في العبادات

الطهارة: يقول الدكتور فالح بن محمد الصغير[١]: يظهر مبدأ اليسر والمسامحة في الطهارة واضحًا لأنه المدخل إلى العبادات ، واليسر فيها أمر ضروري ، لأن المسلم يتوضأ في اليوم والليلة خمس مرات ، ويغتسل من الجنابة كذلك ، ويتعرض لبعض النجاسات هنا وهناك ، فإن الشدة في الطهارة توقعه في الضيق والحرج ويجعل نفسه تمل من العبادة نفسها فضلا عن الطهارة ، كما هي حال كثير من المصابين بالوسوسة أثناء الوضوء أو الطهارة أو وقوع بعض النجاسات على الثوب وغيرها ، وهذا ما نهى عنه الرسول ﷺ ، وهو جزء من سماحة هذا الدين ويسره ، وفضل من الله – تعالى – على عباده ليندفعوا نحو الطاعة وأداء العبادات بالصورة المطلوبة ، فعن عكرمة عن ابن عباس قال اغتسل بعض أزواج النبي ﷺ في جفنة فجاء النبي ﷺ ليتوضأ منها أو يغتسل فقالت له يا رسول الله إني كنت جنبا فقال رسول الله ﷺ إن الماء لا يجنب)[٢]

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ)[٣] ، ومن اليسر في الطهارة أيضًا إذا تعلقت قذارة بالنعلين فإن مسحهما بالأرض يطهرهما لقوله عليه الصلاة والسلام: إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما [٤]. ومن يسر هذا الدين في الطهارة أن النجاسة الواقعة على الثوب تزال بالماء وهذا فيه يسر كبير إذا قورن بما كانت عليه بنو إسرائيل من قبل حيث كانوا يكلفون بقص ما أصيب بالنجاسة من الثوب.

التيمم: من اليسر في هذا الدين أن المسلم إذا لم يجد ماء ليتوضأ به أو كان به مرض أو جرح لا يستطيع أن يتوضأ بالماء ، فله أن يتيمم بالتراب ، فضلا من الله تعالى وتسهيلا عليه ، لقوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(سورة المائدة الآية ٦) .

بخلاف ما كانت عليه الشرائع السابقة، حيث لا تقبل صلاة من غير تطهر بالماء.

وجاء تأكيد هذا الأمر في السنة النبوية فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(أُعْطِيتُ خَمْسًا

---

(١)كلية أصول الدين – جامعة الإمام بالرياض

(٢) صحيح سنن الترمذي

(٣) السلسلة الصحيحة

(٤) صحيح سنن أبي داود

لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَبِيُّ ﷺ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاس كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ) (١).

الصلاة: ويمكن بيان بعض صور التيسير في الصلاة من خلال النقاط الآتية:

١ – أن فرضيتها خمس مرات في اليوم والليلة، فلا تأخذ وقتًا طويلًا، ولا تشغل الإنسان عن أداء أعماله اليومية، وإنما هي لقاءات مع الله تعالى يجدد فيها المؤمن العهد مع ربه على الطاعة والاستقامة والصلاح، وقد فرضت في البداية خمسين صلاة عند المعراج بالنبي ﷺ، ثم صارت خمس صلوات بأجر خمسين صلاة، وفي ذلك سماحة ورحمة.

٢ – مشروعية الجمع والقصر في الصلاة أثناء السفر أو المطر أو المرض، وذلك للظروف التي يمر بها الإنسان في هذه الحالات من قلة في الماء أو البرد أو خوف من الطريق أو زيادة في المرض، لذلك جعل الإسلام فيه الصلاة بشكل آخر يتناسب مع هذه الظروف فأجاز له الجمع والقصر، حيث قصرت الصلوات الرباعية إلى ركعتين فقط، فن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة) (٢).

ويتغير وضع الصلاة وكيفيتها كذلك في حالة الخوف في الحرب أو هجوم سبع أو سيل أو نحوه، ويسهل أمرها وتقصر، لما في ذلك من مصلحة على المسلمين وحماية لهم من عدوهم الذين قد يغدرون بهم أثناء الصلاة، وتسمى هذه الصلاة بصلاة الخوف، قال تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا) (سورة النساء ١٠١).

وهناك أحاديث وشواهد كثيرة بشأن قصر الصلاة، وذلك لوجود ظروف يصعب معها القيام بأداء هذه الصلوات كما هي في الأحوال الطبيعية.

٣ – جواز الصلاة في أي مكان من الأرض، حيث لم تكن جائزة عند الأمم السابقة إلا في المعابد والصوامع.

٤ – تخفيف الصلاة وعدم الإطالة فيها، لأن صلاة الجماعة تجمع بين الصغير والكبير والمريض، فينبغي مراعاة ذلك، وهذا ما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحذر أصحابه منه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذا يصلي فترك ناضحيه

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح سنن أبي داود

واقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة والنساء فانطلق الرجل فبلغه أن معاذا نال منه فأتى النبي (ﷺ) فشكا اليه معاذا فقال النبي (ﷺ): يا معاذ أفتان أنت أو قال: أفاتن انت ثلاث مرار؟! فلو لا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة) [١] ، ويقول عليه الصلاة والسلام: (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطوّل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه) [٢].

٥- رفعت الصلاة عن الحائض والنفساء، ولا تقضى بعد الطهر، وهذا يسر ولطف على المرأة، حيث تعاني في فترة الحيض والنفاس آلامًا ودماء، يصعب معها الصلاة، وقد تطول هذه المدة فيشق القضاء، فجاءت الرحمة الربانية على المرأة بهذا التيسير، ولم يطلب منها قضاء تلك الصلوات الفائتة عنها بعد ذلك .

٦- مشروعية سجود السهو لجبر الخلل الذي يحصل في الصلاة، ولم تطلب إعادتها.

كل هذا اليسر وهذه السماحة جاءت في الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين وهو الصلاة التي هي أعظم الأعمال العملية، وفي هذا شاهد كبير ودليل ناصع على يسر هذا الدين وسماحته في العبادات.

أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ:(دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ؛ فَقَالَ: مَا هذَا الْحَبْلُ قَالُوا: هذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَت فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:لا حلوه، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ)[٣]

الصيام: ويمكن سرد بعض صور التيسير في فرضية الصيام من خلال بيان النقاط الآتية:

١- أن الصيام لم يفرض إلا في شهر واحد من السنة وهو شهر رمضان، لقوله تعالى:(أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ). وهذا تيسير وسعة في زمن هذا الفرض، يستطيع المؤمن أداءه بصورة مقبولة من غير عنت ولا مشقة.

٢- أن وقت الصيام من الفجر إلى غروب الشمس، ولا يجوز الزيادة في هذا الوقت، من أجل ذلك نهي عن صوم الوصال وهو وصل صيام يومين أو ثلاثة متتاليات، لما في ذلك من مشقة وعنت على النفس، وخطورة على الإنسان، يقول عليه الصلاة والسلام: لا وصال يعني في الصوم.

٣- من أفطر خطأً أو ناسيًا فإنه يكمل صومه، ولا حرج عليه، فإنما أطعمه الله وسقاه، يقول عليه

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري (٣) متفق عليه

الصلاة والسلام: (من أكل ناسيا وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) [١].

٤– جواز الإفطار عند السفر أو المرض، لقوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (سورة البقرة الآية ١٨٥).

٥– أن من لم يستطع الصوم يقضي أو يطعم إن لم يستطع القضاء.

الزكاة: وتتبين مظاهر اليسر والتسهيل في أداء فريضة الزكاة من خلال الأمور الآتية:

١– أنها لم تأت على جميع الممتلكات والعقارات والأموال، وإنما اقتصرت على بعض الأصناف مثل: بهيمة الأنعام، والأثمان، والزروع، وعروض التجارة.

٢– ثم أنه يشترط في الأصناف التي تجب فيها الزكاة أن تبلغ النصاب، وهي في الفضة مائتي درهم، وفي الذهب عشرين مثقالا، وسائمة الإبل عن خمس، والبقر عن ثلاثين، والغنم عن أربعين، والحبوب والزروع والثمار عن خمسة أوسق. وقد أوضحت ذلك الأحاديث الكثيرة.

٣– ومن يسر الإسلام أيضًا في أداء هذه الفريضة أنه لم يجعل دفع الزكاة إلا مرة واحدة في السنة، وذلك بعد أن يحول عليه الحول.

٤– ومن ذلك أن مقدار المال الواجب دفعه للزكاة قليل جدًّا بالنسبة للمال الذي يوجب فيه الزكاة، بحيث لا يؤثر فيه كثيرا، ولا يتأثر بذلك صاحبه.

هذا فضلا عن كيفية تعامل الإسلام مع زكاة الزروع، حيث أوجب العشر في التي تسقى بماء المطر، ونصف العشر بالتي تسقى بالنضح والآبار، لقوله ﷺ فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر)[٢]، ومعنى (عثريا) ما يشرب من غير سقي إما بعروقه أو بواسطة المطر والسيول والأنهار وهو ما يسمى بالبعل سمي بذلك من العاثوراء وهي الحفرة لتعثر الماء بها. (العشر) عشرة من المائة. (بالنضح) بنضح الماء والتكلف في استخراجه.

إن مثل هذه الشروط والأوصاف للزكاة يجعل صاحب المال يسارع إلى إخراج زكاة ماله عن طيب نفس، دون ضجر أو ملل أو تثاقل.

الحج: تتضح صور السماحة في الحج من خلال النقاط الآتية:

١– الاستطاعة في الزاد والراحلة، وألا يكون عليه دين أو التزام مالي آخر من حقوق الآخرين،

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري

لقوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (سورة آل عمران الآية ٩٧).

٢- وجوبه في العمر مرة واحدة، لأن فيه المشقة والعناء، فيصعب على المؤمن أن يؤديه كل عام، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا). فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ -ثُمَّ قَالَ -ذَرُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَىْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَىْءٍ فَدَعُوهُ) (١).

٣- التخيير بين المناسك الثلاثة: التمتع، والقران، والإفراد.

٤- التخيير في الترتيب بين الأعمال الثلاثة يوم العيد، الرمي والحلق والطواف، وهذا فيه تيسير على الحاج الذي يعاني من زحمة الناس والمواصلات والأسفار، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- رَجُلٌ فَقَالَ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ. قَالَ (فَاذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ). قَالَ ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِىَ. قَالَ (ارْمِ وَلاَ حَرَجَ) (٢).

٥- كل خلل في واجبات الحج من غير قصد يجبر بفدية، وحجه صحيح إذا كان القصور من هذا الوجه فقط

٦- ومن اليسر والسماحة في هذا الركن المبارك، أن الله – تعالى – جعله سببًا لمغفرة الذنوب والخطايا، وقد وعد الرسول ﷺ الحاج بالجنة وأنه يرجع كيوم ولدته أمه، وصفحته بيضاء ناصعة خالية من السيئات والذنوب: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ حَجَّ هذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)(٣).

ثالثاً: آثار الابتعاد عن منهج التيسير

التكليف بما لا يطاق: إن أي تشدد زائد في تطبيق أحكام هذا الدين وتكاليفه، وأي تجاوز للخط الذي رسمه الله – تعالى – لعباده، سيعرض صاحبه للوقوع في الحرج والمعصية، وقد بيّن ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام لأولئك النفر الذين حاولوا أن يكلفوا أنفسهم ما لا تطيق، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ:(جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا؛ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ؛ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؛ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه (٣) صحيح البخاري

لَهُ، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) [١]، إن طبيعة الإنسان وفطرته لا تتحمل المداومة على القيام بأعمال تناقض هذه الطبيعة والفطرة، فالنوم فطرة وغريزة لا بد للإنسان أن يشبعها، فالذي يقل نومه لا يستطيع القيام بأعماله العلمية والدعوية والمعيشية في النهار، وقد ذكر الله – تعالى – أنه راحة وسبات للإنسان في أكثر من موضع في كتابه العزيز: (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) النبأ.

وكذلك الزواج الذي به تدوم الحياة ويزداد النسل البشري، وهي سنة لا ينفك عنها الإنسان، والذي يريد أن يمتنع [ص-٢٥] عن الزواج يناقض فطرته، ويسهم في تدمير الحياة، ويخالف شرع الله – تعالى – الذي أوجب مبدأ الزواج وحث عليه في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة النبوية.

والأمر الثالث الذي أشار إليه الحديث الامتناع عن الأكل والصيام المستمر، فهذا أيضًا ثقل على النفس وعبء لا يتوافق مع فطرة الإنسان وغريزته التي تميل إلى الاستمتاع بطيبات الله التي أخرجها لعباده من هذه الأرض.

فمن أجل ترسيخ مبدأ اليسر والسماحة في تطبيق هذا الدين أسرع النبي ﷺ لإحضار هؤلاء النفر وبيان الخطأ الكبير الذي حاولوا أن يقعوا فيه، وأخبرهم بعد ذلك أنه عليه الصلاة والسلام أخشاهم لله وأتقاهم له، ولكنه لا يفرط في شيء على حساب آخر، فينام ويصلي، ويتزوج النساء، ويصوم ويفطر، وهذا هو الاعتدال والسماحة والسعة التي جاء بها هذا الدين العظيم.

الفهم الخاطئ لهذا الدين: إن الذي يتجاهل منهج التيسير والمسامحة في الإسلام يولد لديه قصور في فهم هذا الدين، لأنه لم يفهم هذا الدين كما أراده الله – تعالى – لعباده، وكما بيّنه لهم رسوله ﷺ، وهذا الفهم الخاطئ مع مرور الزمن يمتد ليغوص في مجمل أمور الدين ومجالاته، فلا يتوقف عند بعض العبادات أو أحكام معينة وإنما يتغلغل إلى الداخل حتى يتولد لدى صاحبه تصورات وأفكار بعيدة عن روح هذا الدين، ويدعو الناس إليها، ويحسب أنه يحسن صنعًا.

وهذه كانت حال الكثيرين ممن زهدوا في الدنيا فهجروا الطيبات، وامتنعوا عن الزواج وتركوا الأموال والأولاد، بقصد التفرغ للعبادة والدعوة، فأدخلهم ذلك في ضلالات الشرك وترهات التصوف، وأدخلوا في الدين ما ليس منه من الطقوس والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان. وما ذلك كله إلا بسبب تشددهم وتنطعهم الذي أدى إلى فهم خاطئ لهذا الدين وعدم إدراك منهج اليسر والسماحة فيه.

---

(١) صحيح البخاري

الأثر السلبي على الدعوة إلى الله: تميل النفس البشرية دائمًا إلى السماحة والسعة في كل شيء، وتضيق ذرعًا بالمشقة والعنت في كل شيء أيضًا، كما تميل هذه النفس إلى أولئك الناس الذين ينتهجون السماحة في حياتهم وتتعلق بهم أكثر من الذين ينتهجون خلاف ذلك.

ومعلوم أن من أهم عوامل نجاح الدعوة إلى الله – تعالى – أن يألف الناس الداعية ويحبوه ، وذلك من خلال فهمه لدين الله – تعالى – وطريقته لنقل هذا الدين بالصورة التي أرادها الله – تعالى – ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وهو أمر ضروري في الدعوة ، فإن كان الداعية ممن ينتهجون السماحة والسعة في تبليغ الإسلام ومبادئه ، ولا يحمل الناس فوق طاقاتهم كما كان يفعل الرسول عليه الصلاة والسلام ، فإنه على خير ودعوته تسير نحو النجاح والتوفيق ، وأما إذا شدد على الناس وكلفهم بما لا يطيقون ، كأن ينكر عليهم كل شيء ولو كان مباحًا ، ويحرم عليهم ما لم يحرمه الله ورسوله ﷺ ، فإن هذا الداعية إنما ينفخ في الهواء ويسير نحو الفشل المؤكد ، لأنه بذلك خالف الشرع وطبائع البشر ، وتجاهل فطرهم ورغباتهم وحاجاتهم فعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ-أَنَّهَا قَالَتْ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) [١].

يورث آثارا خطيرة على الفرد والمجتمع

الابتعاد عن هذا المنهج يورث آثارًا سلبية وأضرارًا خطيرة على عمل الإنسان وسلوكه في دينه ودنياه، وربما يخرجه عن الصراط السوي إلى السبل المتفرقة، والأفكار المنحرفة، فتفتح أبواب البدع والمحدثات على هذا الدين، ثم إن هذا الابتعاد عن منهج اليسر يؤثر تأثيرًا خطيرًا في حركة الدعوة إلى الله تعالى، ولا سيما بين أولئك الناس الذين يكونون حديثي عهد بهذا الدين.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم

حسن الخلق

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو فلا خالق غيره ولا رب سواه المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضي ألا نعبد إلا إياه، ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير، احمده سبحانه وتعالى وأستعين به وأستغفره وأستهديه وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الواحد الذي لا ضد له وهو الصمد الذي لا منازع له وهو الغني الذي لا حاجة له وهو القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أحمدك يا رب واستعين بك وأستغفرك واستهديك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك جل ثناؤك وعظم وجاهك ولا إله إلا أنت

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، نشهد يا رسول الله أنك قد بلغت إلينا من ربك الرسالة، وأديت الأمانة ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين، فاللهم صلاة وسلاما عليك دائمين متلازمين يا سيدي يا رسول الله

يا مصطفي ولأنت ساكن مهجتي ** روحي فداك وكل ما ملكت يدي
إني وقفت لنصر دينك همتي ** وسعادتي إلا بغيرك اقتدي
لك معجزات باهرات جمة ** واجلها القران خير مؤيدي
ما حرفت أو غيرت كلماته ** شلت يد الجاني وشاه المعتدي
قد لامني فيك الكفور ولو دري ** نعم الغرام بك لكان مؤيدي
يا رب صلي علي الحبيب محمد ** واجعله شافعنا بفضلك في غدي

العناصر

أولاً: تعريف الأخلاق
ثانياً: دعوة الإسلام إلي حسن الخلق
ثالثاً: أخلاق النبي ﷺ
رابعاً: الأخلاق في شتى مجالات الحياة
خامسا: وسائل لتحصيل حسن الخلق
سادساً: عاقبة سوء الخلق

الموضوع

أولاً: تعريف الأخلاق

تعريف الأخلاق لغة: الخُلُق في لغة العرب: هو الطَّبْع والسجيَّة، وقيل: المروءة والدِّين، قال العلامة ابن فارس: الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء، ومن ذلك: الخُلُق وهي السجية؛ لأن صاحبه قد قُدِّر عليه

وقال الفيروز آبادي: الخُلق: بالضمِّ، وبضمتين: السجية والطَّبع، والمروءة والدين

وقال ابن منظور: الخُلُق: الخليقة؛ أعني: الطبيعة، وفي التنزيل:(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم: ٤)، والجمع: أخلاق، لا يُكسَّر على غير ذلك.

قال القرطبي: وحقيقة الخُلُق في اللغة هو ما يأخذ الإنسانُ به نفسه من الأدب يُسمَّى خُلُقًا؛ لأنه يسير كالخِلْقة فيه، وأما ما طُبِع عليه من الأدب فهو الخِيم (بالكسر): السَّجيَّة والطبيعة، لا واحد له من لفظه، فيكون الخُلُق الطَّبع المتكلَّف، والخِيم الطبع الغريزي

الأخلاق شرعا: حُسْن الخُلُق هو التخلق بأخلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله التي أدَّب بها عبادَه في كتابه، قال ابن رسلان: (الخُلُق عبارة عن أوصاف الإنسان التي يُعامِل بها غيره).

وهذه المعاني في حقيقتها لا تُخالِف الوضعَ اللُّغوي لكلمة الخُلُق، وإن صُبِغت بمعنى شرعي حين يعبِّر حُسْن الخُلُق عن الالتزام بالآداب الشرعية الصادرة عن الأحكام القرآنية والتعاليم النبوية خاصة.

الأخلاق في الاصطلاح: فمن العام ما ذكره الغزالي حين عرَّف الخُلُقَ بقوله: (الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تَصدُر الأفعال بسهولة ويُسرٍ من غير حاجة إلى فِكْر ورويَّة).

فالأخلاق هيئة ثابتة راسخة مُستقِرة في نفْس الإنسان غير عارضة طارئة، فهي تُمثِّل عادة لصاحبها تتكرَّر كلما حانت فرصتها.

والخُلُق في اصطلاح الحكماء: مَلَكة؛ أي: كيفية راسخة في النفس؛ أي: متمكِّنة في الفِكْر، تَصدُر بها عن النفس أفعالُ صاحبها بدون تأمُّل، أما الإطلاق الأخص لكلمة الخُلُق في الاصطلاح، فيُطلَق على التمسُّك بأحكام الشرع وآدابه فعلاً وتركًا.

ثانيا: دعوة الإسلام إلي حسن الخلق

مجمل رسالة النبي ﷺ تدعو إلي حسن الخلق: عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[1] ، وقد وقف العلماء عند هذا الحديث قائلين: لماذا حصر النبي بعثته في مكارم الأخلاق مع أنه بعث بالتوحيد والعبادات وهي أرفع منزلة وأهم من الأخلاق؟!!

والجواب: أن التوحيد والعبادات شرعت من أجل ترسيخ مكارم الأخلاق بين أفراد المجتمع، فالغاية والحكمة الجليلة من تشريع العبادات هي غرس الأخلاق الفاضلة وتهذيب النفوس؛ كما هو معلوم في الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها.

---

(١) السلسلة الصحيحة

الأخلاق الحسنة هي شِعار المؤمنين، وحِليَة المحسِنين: عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) (١).

عَنْ شَقِيقٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو حِينَ قَدِمَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا. وَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا) (٢)

ومن ثم فما من شيء أثقل في ميزان العبد من حسن أخلاقه ورقى سلوكه، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ) (٣)

سبب لدخول الجنة في الآخرة: فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ) (٤) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟! عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ) (٥)

أقرب الناس مجلسا من رسول الله ﷺ : وعن جابر ب أن رسول الله ﷺ قال(إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا) (٦)

أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة: عَنْ أَبِي الدرداء -رضي الله عنه-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ (مَا مِنْ شَيْءٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ اَلْخُلُقِ) (٧)

العبادات التي أمر الله بها تدعوا إلي حسن الخلق

أ-الصلاة: قال تعالى(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)العنكبوت ٤٥

ب-الصيام: قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)البقرة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ)(٨)

ج-الحج: قال تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) الحج

د-الصدقات: قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) السلسلة الصحيحة
(٦) صحيح سنن الترمذي
(٧) السلسلة الصحيحة
(٨) متفق عليه

لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) التوبة

الدعوة إلي الله بالأخلاق الحسنة: ، قال تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) النحل

قال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) آل عمران ١٥٩

دليل علي كمال الإيمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم)[١]

وقال الفيروز آبادي -رحمه الله تعالى (اعلم أن الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق؛ زاد عليك في الدين) ، وعن أبي هُرَيْرَةَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ (لاَ يَزْنِى الزَّانِي حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) [٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (وَاللهِ لا يُؤمِنُ، وَاللهِ لا يُؤمِنُ، وَاللهِ لا يُؤمِنُ) قِيلَ: مَن يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) [٣]ن وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) [٤]

الكلمة الطيبة: قال تعالى (وقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً) البقرة ٨٣ ، وقال تعالى (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً) الإسراء

وعن عدي بن حاتمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ؛ ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثَلاَثًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)[٥]

أساس اختيار الزوجة: عن أبي هريرة قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)[٦]

في البيع والشراء: قال تبارك وتعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: ٣).

ويحث على السماحة واللين في البيع والشراء فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال (رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) [٧]

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) متفق عليه
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح البخاري
(٦) مشكاة المصابيح
(٧) صحيح البخاري

[(سمحا) جوادا متساهلا يوافق على ما طلب منه. (اقتضى) طلب الذي له على غيره]

ويحذر من أكل أموال الناس بالباطل، ومن الغش قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) النساء

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟)، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ، فَلَيْسَ مِنِّي) [١].

حث الإسلام على طيب النفس وحسن سلوكها وعدم إيذاء الناس بقول أو فعل:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (الحجرات:)، وعن علقمة عن عبد الله قال قال رســـول الله ﷺ (لَيسَ المُؤمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الفَاحِشِ وَلا البَذِيءِ) [٢]

رد الإساءة بالحسنى: قال تعالى -:(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) ، وقال تعالى(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الأعراف٬

وهذه الآية لما نزلت قال رسول الله ﷺ : (ما هذا يا جبريل؟) قال: إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك.) [٣]، ولذلك ضرب بالأحنف بن قيس المثل في الحلم والصفح، فقيل له: كيف وصلت إلى هذه المنزلة؟ فقال: ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضّلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه.

الأخلاق هي المؤشّر على استمرار أمَّة ما أو انهيارها: فالأمة التي تنهار أخلاقُها يوشك أن ينهارَ كيانُها، قال تعالى -:(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) الإسراء: ١٦

يقول الشاعر: إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ثالثاً: أخلاق النبي ﷺ

(١) صحيح مسلم (٢) السلسلة الصحيحة (٣)تفسير ابن كثير

لقد شاء الله تبارك وتعالى بحكمته وفضله أن يختار نبيه محمداً ﷺ من بين البشر كلهم أجمعين، ويصطفيه، ويخصه من الخصائص، بما لم يخص به أحداً من العالمين حتى كان ﷺ قدوةً للناس - كلهم أجمعين -في كل شيء قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)الأحزاب ٢١.

فإنك إن نظرت إلى رسول الله ﷺ نبياً ورسولاً؛ وجدته المقدم على أنبياء الله تعالى، ورسله فهو سيدهم وأفضلهم وخاتمهم، وإن نظرت إليه معلماً وجدته أفضل المعلمين، وإذا نظرت إليه خطيباً، وجدته المتحدث، الذي يصل قوله إلى كل قلب.

وإن نظرت إليه زوجاً وجدته خير الأزواج لأهله وإن نظرت إليه أباً، وجدته خير الآباء، وأحسنهم تعليماً، وإن نظرت إليه مقاتلاً، وجدته المقاتل الشجاع، وإن نظرت إليه كصاحب خلق وجدته متربع على عرش الأخلاق بأسرها، قال ربنا (وإنك لعلى خلق عظيم)، وتأمل معي كيف خاطبه الله عز وجل، لم يقل له وإنك لذو خلق عظيم، ولم يقل له وإنك لصاحب خلق عظيم، لم يقل له وإن أخلاقك عظيمة، لم يقل ربنا له ذلك وإنما قال له (وإنك لعلى خلق عظيم) خاطبه بحرف (على) الذي يفيد الاستعلاء فكأنه ﷺ متربع على عرش الأخلاق بأسرها

فالأخلاق إذا ذكرت كان رسول الله عنوانها، والأخلاق إذا ذكرت كان رسول الله أستاذها، والأخلاق إذا ذكرت كان رسول الله سيدها، يا سيد السادات يا من قدره لا تستطيع له الورى إدراك، ماذا يقول الناس فيك وربهم بأتم تربية له رباك، حلاك بالخلق العظيم وفضله الفضل العظيم عليك ما أعلاك، آواك من يتم وأعطاك الغنى ولدينه الدين القويم هداك، شكرا لك اللهم أنت كفلته نعم الكفيل تقدست أسماك.

بماذا أصفك وكل ** الوصف في حقك قليل
بالصدق أم بالأمانة ** أم بكونك جميل
بالكرم أم بالخلق الرفيع ** أم بالنسب الأصيل
أم أصفك بالحبيب أم ** بالمصطفى أم بالخليل
أم أصف شوق المحبين لرؤياك ** وكيف الدموع لذكراك تسيل
تعددت صفاتك يا سيدي فلا ** وسيلة لعدها ولا سبيل
قد عدت لدرب الله تائبا فعسى ** أن يكون حبي لك هو الدليل
رباه قد ملأ قلبي بحبك وحب ** نبيك فهل تقبل قلبي الذليل

مدحه الله في خلقه: قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم ٤

خلقه القرآن: لما سئلت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن أخلاق النبي ﷺ من سعيد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة، قَالَت له: أَلَستَ تَقرَأُ القُرآنَ؟ قُال: بَلَى، قَالَت: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ القُرآنَ (١)

وصف الصحابة لخلقه: عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: (أف) قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقا، ولا مسست خزا، ولا حريرا، ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ)(٢)

أكثر الناس حياءً: كان أكثر الناس حياء فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه-قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ)(٣)

آثر أمته بدعوته المستجابة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) (٤)

رابعاً: الأخلاق في شتى مجالات الحياة

الأخلاق الفاضلة ليست خاصة بنوع من الناس: فالله خلق الناس أشكالاً وألواناً وبلغات شتى، وجعلهم في ميزان الله سواسية لا فضل لواحد منهم على الآخر إلا بقدر إيمانه وتقواه وصلاحه، كما قال جل وعلا: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣)، والأخلاق الحسنة تميز علاقة المسلم بجميع الناس لا فرق بين غني وفقير، أو رفيع أو وضيع، ولا أسود ولا أبيض، ولا عربي ولا عجمي

مع الجاهلين: عن أَبى هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : (دَعُوهُ وريقوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)(٥)

مع المذنبين: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: (ادْنُهْ)، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: (أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح البخاري
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح البخاري

لِابْنَتِكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟)، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ:(وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟) ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)[١]

المحافظة على البيئة: فيأمرنا الإسلام بعمارة الأرض بمعنى العمل فيها والتطوير والإنتاج وتشييد الحضارة مع المحافظة على هذه النعمة والنهي عن إفسادها والإسراف في استغلال مواردها، سواء أكان ذلك الإفساد يعود على الإنسان أو الحيوان أو النبات، فإنه عمل يرده الإسلام ويبغضه فالله سبحانه لا يحب الفساد في جميع جوانب الحياة، كما قال تعالى: (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة: ٢٠٥) ، ويصل هذا الاهتمام إلى حد أن يوصي النبي ﷺ المسلمين بفعل الخير وزراعة الأرض حتى في أصعب الظروف وأحرج اللحظات عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها)[٢]

الأسرة: يؤكد الإسلام على أهمية الأخلاق في مجال الأسرة بين جميع أفراد العائلة فيقول ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) [٣].

وكان ﷺ وهو أفضل البشر يقوم بأعمال المنزل ويساعد أهله في كل صغيرة وكبيرة، كما تروي زوجته عائشة رضي الله عنها فتقول: (كان يكون في مهنة أهله) [٤] أي يساعدهم ويقوم بما يقومون به من أعمال البيت، وكان يمازح أهله ويلاعبهم، فتروي زوجته عائشة رضي الله عنها فتقول: (خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك، فسابقته، فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك) [٥].

التجارة: فربما طغى حب المال على الإنسان فتجاوز الحد ووقع في المحرم، فيأتي الإسلام للتأكيد على أهمية ضبط ذلك بالأخلاق الفاضلة، ومن هذه التأكيدات: ينهى الإسلام عن التجاوز والظلم في الموازين ويتوعد من فعل ذلك بأشد العقوبات، كما قال تبارك وتعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ •الَّذِينَ إِذَا

---

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) السلسلة الصحيحة
(٣) صحيح سنن الترمذي
(٤) صحيح البخاري
(٥) السلسلة الصحيحة

اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ • وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين).

ويحث على السماحة واللين في البيع والشراء، كما قال ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) [١].

الصناعة: يؤكد الإسلام على الصُنَّاع عدداً من الأخلاق والمعايير منها: إتقان العمل وإخراجه في أحسن صورة، كما قال ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) [٢]

والالتزام بالمواعيد المبرمة مع الناس، قال ﷺ: (آية المنافق ثلاث) وذكر منها: (وإذا وعد أخلف)[٣]

غير المسلمين: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ(كُنْتُ أَمْشِى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نجران غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِىٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِى مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى عِنْدَكَ.فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)[٤] ، وقال تعالى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الممتحنة ٨

وإنما حرم الله علينا موالاة الكفار ومحبة ما هم عليه من الكفر والشرك، كما قال تعالى: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الممتحنة: ٩).

الحرب: الأمر بالعدل والإنصاف مع الأعداء والنهي عن ظلمهم والاعتداء عليهم

كما قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة: ٨) أي لا حملكم بغضكم لأعدائكم أن تتجاوزوا وتظلموا بل التزموا بالعدل في أقوالكم وأفعالكم.

النهي عن الغدر والخيانة مع الأعداء: فالغدر والخيانة محرمة حتى مع الأعداء، كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (الأنفال: ٥٨).

النهي عن التعذيب والتمثيل بالجثث: فيحرم التمثيل بالموتى، كما قال ﷺ : (اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا ولاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا) [٥]

النهي عن قتل المدنيين الذي لا يشاركون في الحروب وعن إفساد الأرض والبيئة:

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة المسلمين وأفضل الصحابة يوصي أسامة بن زيد حين بعثه قائداً لجيش إلى الشام: (....لا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً

(١) صحيح البخاري (٢) السلسلة الصحيحة (٣) صحيح البخاري (٤) صحيح مسلم (٥) صحيح مسلم

وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له) [١].

مع الحيوانات: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:(بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ. فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:(عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) [٣]

في جميع المجالات: فلا يوجد في الإسلام استثناءات في باب الأخلاق، والمسلم محكوم بتطبيق شرع الله وامتثال الأخلاق الحسنة حتى في الحروب وأشد الظروف، فنبل الهدف والغاية لا يبرر الوسيلة السيئة ولا يغطي خطأها وضلالها.

ولهذا وضع الإسلام القواعد التي تحكم المسلم وتضبط تصرفاته حتى عند العداوة والحرب، حتى لا يكون الأمر خضوعاً لغرائز الغضب والتعصب وإشباعاً لنوازع الحقد والقسوة والأنانية.

خامساً: وسائل لتحصيل حسن الخلق

الدعاء بحسن الخلق: كما كان رسول الله ﷺ يدعو بذلك. :(وأهدني لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ؛ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ) [٤]

١ـ التفكر في ثواب حسن الخلق وما أعده الله من النعيم

٢ـقبول النصيحة من الغير مهما كان

٣ـ الاستماع والانتفاع بكلام الأعداء والخصوم.

٤ـمصاحبة أهل الفضل والمروءة.

٥ـالنظر في سيرة الرسول ﷺ والتأمل في مواقفه الرائعة.

٦ـمجانبة السفهاء والبطالين. ٧ـتمرين النفس على فعل الأخلاق الحسنة بالتطبيق العملي.

٨ـالتأمل والتعرف على ما تحمله النفس من أخلاق سيئة وعادات قبيحة.

٩ـمجاهدة النفس واستفراغ الوسع على ترك الأخلاق السيئة.

---

(١) ابن عساكر ٢/٥٠ (٢) صحيح البخاري (٣) متفق عليه (٤) صحيح مسلم

سادساً: عاقبة سوء الخلق

فساد العمل: قال ﷺ (وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ)[١]

ضياع الحسنات والدرجات: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)[٢]

دخول النار: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَجُلٌ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ [٣]

دخول الشيطان: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ أَنَّهُ قَالَ:) بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَآذَاهُ فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ؛ ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ؛ ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ : نَزَلَ مَلَكٌ مِنْ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ: [٤]

البعد عن النبي ﷺ يوم القيامة: عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:(إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ) [٥]

اللهم حسن اخلاقنا ويسر أمورنا واشرح صدورنا وتولَّ أمرنا وجنبنا الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) السلسلة الصحيحة

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

الحمد لله خالق كل شـيء، ورازق كل حي، أحاط بكل شـيء علماً، وكل شـيء عنده بأجل مسـمى يعطى ويمنع، ويخفض ويرفع ويضر وينفع، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما يمنع. يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل. يعلم الأسـرار، ويقبل الأعذار، وكل شـيء عنده بمقدار سـبحانه كُلُّ شَـيْءٍ خَاشِـعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَـيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَـعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير

يـا أيهـا المـاء المهين من الـذي ** ومن الـذي في ظلمـة الأحشـــاء قد
ومن الـذي غـذاك من نعمـائـه ** ومـن الـكـروب جـمـيـعـهـا نـجـاكـا
ومن الذي شـق العيون فأبصـرت ** ومـن الـذي بـالـعـقـل قـد حـلاكـا
ومن الـذي تعصـي ويغفر دائمـا ** ومن الـذي تنســى ولا ينســاكـا

أإله مع الله تعالى الله عما يشركون

وَنَشْـهَدُ أَنَّ سَـيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُـوْلُهُ إِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالْمُرْسَـلِيْنَ، وَأَفْضَـلُ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعِيْنَ، خير البريَّة أقصـاها وأدناها وهو أبرُّ بني الدُّنيا وأوفاها صـاحب الحوض المورود واللواء المعقود، والمقام المحمود، صاحب الغرَّة والتحجيل، المذكور في القرآن التوراة والإنجيل.

صلى الله عليه وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين وارض اللهم عنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولا: تعريف الكلمة ثانيا: مكانة الكلمة الطيبة

ثالثا: مجـالات الكلمـة رابعا: عاقبة الكلمة الخبيثة

خامسا: نماذج على الكلمة الطيبة والخبيثة

الموضـــوع

أولا: تعريف الكلمة

هي التي تسر السامع وتؤلف القلب

هي التي تحدث أثرا طيباً في نفوس الآخرين

هي التي تثمر عملاً صالحاً في كل وقت بإذن الله

هي التي تفتح أبواب الخير، وتغلق أبواب الشر....

والكلمة الخبيثة على العكس من ذلك

ثانيا: مكانة الكلمة الطيبة

أمر الله بها: قال تعالى: (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) [النساء/٨].

وقال تعالى: (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا) [الإسراء/٢٨].

وقال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة/٨٣] .

وقال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) [الإسراء/٢٣]

قال تعالى: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه/٤٣، ٤٤].

عظم الله من مكانة الكلمة الطيبة : قال تعالى: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) ابراهيم

بها يتفاضل المسلمون: وعن أَبي موسى -ﷺ-قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ أَيُّ المُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ (مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) (١)

بها تستقيم الاعضاء أو تعوج: وعن أَبي سعيد الخدري -ﷺ-، عن النبيِّ -ﷺ-قَالَ:)إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَكْفُرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّما نَحنُ بِكَ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإِنِ اعوجت اعْوَجَجْنَا) (٢)، معنى: (تَكْفُرُ اللِّسَانَ): أيْ تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ

الكلمة الطيبة شعبة من شعب الإيمان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) (٣)

الكلمة الطيبة سمة المؤمنين الصادقين والدعاة وشعارهم : قال تعالى: (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) الفتح.

الكلمة الطيبة صدقة: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ يَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَو يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ

(١) متفق عليه (٢) صحيح سنن الترمذي (٣) متفق عليه

الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) [١]، قال ابن عثيمين رحمه الله: (الصدقة لا تختص بالمال، بل كل ما يقرب إلى الله فهو صدقة بالمعنى العام؛ لأن فعله يدل على صدق صاحبه في طلب رضوان الله عز وجل)[٢]

أنها تؤلف القلوب وتصلح النفوس: وتذهب الحزن وتزيل الغضب وتشعر بالرضا والسعادة لا سيما إذا رافقتها ابتسامة صادقة ، فعن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ(تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة...) [٣]

تلين القلب القاسي: قال تعالى: (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [فصلت/٣٣٥]. فمما يتحقق به الرد الحسن: الكلمة الطيبة.

أنها توافق الشرع الحنيف: فتدعو إلى ما يعزز التوحيد وينافي البدع والمنكرات والشهوات والشبهات (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فصلت

بالكلمة الطيبة تتحقق المغفرة: قال ﷺ: (إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلُ السَّلامِ، وَحُسْنُ الْكَلامِ)[٤]

تصعد إلى السماء: فتفتح لها أبواب السماء، وتقبل بإذن الله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) فاطر.

إنها من هداية الله وفضله للعبد : قال تعالى: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤))فاطر.

البعد عن النار: وعن أَبي الدرداء -رضي الله عنه-، عن النبيّ -ﷺ -قَالَ:)مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يومَ القيَامَةِ) [٥]

توجب رضوان الله: وعن أَبي عبد الرحمن بِلالِ بن الحارِثِ المُزَنِيّ -رضي الله عنه-: أنَّ رسول الله -ﷺ -قَالَ: (إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يومِ يَلْقَاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ) [٦].

الكلمة الطيبة سبب دخول الجنة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام) [٧]

---

(١) صحيح البخاري
(٢)شرح رياض الصالحين ٢٩٠/١
(٣) السلسلة الصحيحة
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح سنن الترمذي
(٦) صحيح الترغيب والترهيب
(٧) صحيح الترغيب والترهيب

وعن سهل بن سعد، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ -ﷺ-:)مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ) (١) ، وعن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قلت يا رسول الله حدثني بشيء يوجب لي الجنة. قال: (موجب الجنة: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وحسن الكلام) (٢) والجزاء من جنس العمل، فلما كانت الكلمة الطيبة سجية لهم دخلوا الجنة فلم يسمعوا فيها إلا الطيب الذي لا يؤذيهم. قال تعالى: (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) [الواقعة/٢٥، ٢٦]، أي: لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيا، أي: غثا خاليا عن المعنى، أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف، ولما كانت خمر الدنيا حاملة على بذيء الكلام قال تعالى في نعت خمر الآخرة: (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) (الطور/٢٣)

الكلمة الطيبة انتصار على الشيطان:

قال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) [الإسراء/٥٣].

أي: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والخصام. إن الشيطان كان للإنسان عدوًا ظاهر العداوة. فالشيطان حريص على إفساد ذات بيننا

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ-يَقُولُ (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِى التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) (٣)، والتحريش: الإفساد بينهم، فمن رد بالكلمة الطيبة أخزى الشيطان.

سبيل للنجاة من الفتن: وعن عقبة بن عامرٍ -رضي الله عنه-قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ:

(أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ) (٤)

عن عدي بن حاتم قال ذكر رسول الله ﷺ النار فأشاح بوجهه وتعوذ منها ذكر شعبة أنه فعله ثلاث مرات ثم قال اتقوا النار ولو بشق التمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة) (٥)

بها تكون النجاة من النار: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: (اتَّقُوا النَّارَ)، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) (٦)

اخيرا: كل ما أمر الله به من الكلم يعد طيبا فلابد من الالتزام به ....

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح سنن الترمذي
(٥) صحيح سنن الترمذي
(٦) متفق عليه

ثالثا: مجالات الكلمة

أيها المسلمون، ما أجمل أن يكون الإنسان ذا كلمة طيبة مع الناس جميعاً، من عرف ومع من لم يعرف، ولكن أجمل الجميل أن تكون مع أخص الناس به.

الكلمة الطيبة مع الوالدين : ولو قسواْ وأغلظا في الكلام والتعامل؛ فإن لهما حقاً في حسن الخطاب، قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً) [الإسراء: ٢٣].

الكلمة الطيبة بين الزوجين: أفضل من التراشق بالألفاظ الجارحة، والكلمات النابية التي قد توصل إلى ما لا تحمد عقباه.

الكلمة الطيبة بين الإخوة والأخوات والأقارب والأرحام: والكلمة الطيبة بين الجيران في المنازل والأسواق والوظائف وأماكن العمل. والكلمة الطيبة بين المدير وموظفيه والمعلم وتلاميذه، والكلمة الطيبة بين السائقين والراكبين، وبين الباعة والمشترين. والكلمة الطيبة من الغني للفقير ومن رب المال للسائل بدلاً من النهر والمنّ ورفع الأصوات بالطرد.

قال تعالى: قال تعالى: (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) [الضحى: ١٠]. وقال: (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) [البقرة: ٢٦٣].

الكلمة الطيبة حتى مع الكافر: قال تعالى: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: ٤٣، ٤٤]، قيل: تصدى رجل للرشيد فقال: إني أريد أن أغلظ عليك لي في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شراً مني! فقال: (فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [طه: ٤٤].

الكلمة الطيبة مع الحيوان: عَنْ أَبِى بَرْزَةَ الأسلمي قَالَ بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ بالنبي -ﷺ-وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَقَالَتْ حَلْ اللَّهُمَّ الْعَنْهَا. قَالَ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ (لاَ تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ) (١)، قَوْله: (حَلْ): وَهِيَ كَلِمَةٌ لِزَجْرِ الإبِلِ.

الكلمة الطيبة مع الجماد: عن ابن عباس أن رجلا لعن الريح عند النبي ﷺ فقال: (لا تلعن الريح فإنها مأمورة وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) (٢)

إذن أيها المسلم، ليس هناك مجال للكلمة الخبيثة في حياة المسلم

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم

رابعا: عاقبة الكلمة الخبيثة

لا أصل لها: يقول الله تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)) (إبراهيم) فصوَّر الكلمة الخبيثة بأنها شجرة خبيثة في هيئتها ومنظرها وطعمها ومذاقها، ومع ذلك فلا أصل ثابت لها، وليس لها فرع في السماء، وإنما هي مقوضة الجذور، لا قرار لها ولا استقرار، فقد اقتلعت من فوق الأرض، لأن الذي يثبت من له جذور ممتدة، وأغصان ثابتة، ومن هنا افترقت الشجرتان، فلا تنفع في أي مكان قيلت فيه.

يقول ابن القيم: ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة، فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا عرق ثابت، ولا فرع عال، ولا ثمرة زاكية، فلا ظل ولا جني ولا ساق قائم، ولا عرف في الأرض ثابت، فلا أسفلها مغدق، ولا أعلاها مونق، ولا جني لها ولا تعلو بل تعلى، وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكسبهم، وجده كذلك فالخسران كل الخسران الوقوف معه والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه.

حذر الله من الكلمة السيئة باي وسيلة: قال تعالي(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)) الحجرات.

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: قُلْتُ للنبيّ -ﷺ-: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكذَا. قَالَ بعضُ الرواةِ: تَعْنِي قَصيرَةً، فقالَ:)لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!) قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إنْساناً فَقَالَ: (مَا أُحِبُّ أنِّي حَكَيْتُ إنْساناً وإنَّ لِي كَذَا وكَذَا) [١] ، ومعنى:)مَزَجَتْهُ) خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ ننتنها وَقُبْحِهَا.

من علامات الجاهلية: عن المعرور بن سويد ﷺ قال(رأيت أبا ذر بالربذة وعليه برد غليظ وعلى غلامه مثله قال فقال القوم يا أبا ذر لو كنت أخذت الذي على غلامك فجعلته مع هذا فكانت حلة كسوت غلامك ثوبا غيره قال فقال أبو ذر إني كنت سببت رجلا وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية فقال إنهم إخوانكم فضلكم الله عليهم فمن لم يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله) [٢]

توجب سخط الله: عن بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) صحيح الترغيب والترهيب

بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ) (١)

من أكبر الكبائر : قال تعالى (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) الفرقان.

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-فِى الْكَبَائِرِ قَالَ(الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَقَوْلُ الزُّورِ)(٢)

وعده الله بالويل: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ). قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ). قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِى أَخِى مَا أَقُولُ قَالَ (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) (٣)، وقال تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) الهمزة

سـواد الوجه يوم القيامة: قال تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) الزمر.

سبب لدخول النار: وعن مُعَاذٍ -ﷺ-قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ ..... ثُمَّ قَالَ:)ألاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ!) قُلْتُ: بلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وقال:)كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا) قُلْتُ: يَا رسولَ الله وإنَّا لَمُؤاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ:)ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟) (٤).

واخيرا: ان كل ما نهي الله عنه من الكلام يعد خبيث فلابد من اجتنابه....

خامسا: نماذج على الكلمة الطيبة والخبيثة

الملائكة: قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣))

عيسى عليه السلام: قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح سنن الترمذي

وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

النبي ﷺ: قال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) سبأ.

نوح عليه السلام: قال تعالي(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧))هود.

عبد الله وصاحب النخلة: مر ذات يوم وهو في طريقه للمسجد لأداء صلاة الظهر مر برجل صاعد على النخل فناداه وأمره بالصلاة فقال له خيراً فانشغل فناداه مرة أخرى وقال له أما سمعت الآذان انزل يا حمار ، فما كان من الرجل إلا أن نزل وما كان من عبد الله إلا أن حط رجله وولى هارباً ،ثم جاء العصر ورأى الرجل على النخلة فقال لماذا لا أغير أسلوبي معه، فناداه وسلم عليه وسأله عن أحواله ثم قال له: لعلك لم تسمع صلاة العصر ، فنزل وشكره وقال له : لست مثل ذلك الحمار الذي جاءني في صلاة الظهر، وسبحان الله الرجل هو نفسه ولكن الأسلوب تغير، فطبيعة النفوس تحب المدح.

بلقيس : كانت بلقيس ملكة كافرة لها عرش عظيم وتسجد وقومها للشمس من دون الله؛ لكنها مع هذا الكفر كانت صاحبة أدب ومنطق حسن، هذا الأدب يظهر جليا في وصفها للكتاب الذي أُلقي

إليها :(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

فوصفت هذا الكتاب بأنه كريم، فانظر بماذا عاد عليها هذا الأدب وحسن اختيار الألفاظ والعلم عند الله :(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل)

آسيا امرأة فرعون : في وجه زوجها الطاغية الذي أضناه البحث عن موسى حتى إذا وقع بين يديه قالت له كما حكى الله تعالى عنها :(وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ). فسلم الرسول بإذن الله وتم أمر الرسالة وفق حكمة الله، وكان جزاء هذا المرأة أن ضربها الله مثلا للذين آمنوا :(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

مصعب بن عمير ﷺ: خرج إلى المدينة داعياً إلى الله تعالى، وفي يوم من الأيام بينما كان جالساً مع أسعد بن زرارة جاءهما أسيد بن حضير فقال لهما: (ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. قال أسيد: فو الله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! ثم جاء سعد بن معاذ فقال مثل ما قال أسيد، فقالا له: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس. فعرض عليه الإسلام فأسلم، ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادى قومه، فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة). لقد كلمة مصعب الطيبة آسرة لهذين الخيّرين رضي الله عنهما حتى أسلما، ثم سمعتم كيف كانت نتيجة إسلامهما بين قومهما.

الملك وزارع الزيتون: يحكى أن ملكا أعلن في دولته أن من يقول كلمة طيبة فسيمنحه أربعمائة دينار، وفي يوم كان الملك يسير بحاشيته في المدينة ورأى فلاحاً عجوزاً في التسعينات من عمره وهو يغرس شجرة زيتون، فقال له الملك لماذا تغرس شجرة الزيتون وهي تحتاج إلى عشرين سنة لتثمر وأنت عجوز في التسعين من عمرك، وقد دنا أجلك !!

فقال الفلاح العجوز: ...السابقون زرعوا ونحن حصدنا ونحن نزرع لكي يحصد اللاحقون.

فقال الملك أحسنت فهذه كلمة طيبة فأمر أن يعطوه أربعمائة دينار فأخذها الفلاح العجوز وابتسم.

فقال الملك: لماذا ابتسمت؟ ، فقال الفلاح: شجرة الزيتون تثمر بعد عشرين سنة وشجرتي أثمرت الآن، فقال الملك: أحسنت أعطوه أربعمائة دينار أخرى، فأخذها الفلاح وابتسم.

فقال الملك: لماذا ابتسمت، فرد الفلاح: شجرة الزيتون تثمر مرة في السنة وشجرتي أثمرت مرتين.

فقال الملك: أحسنت أعطوه أربعمائة دينار أخرى ثم تحرك الملك بسرعة من عند الفلاح

فقال له رئيس الجند: لماذا تحركت بسرعة؟

فقال الملك: إذا جلست إلى الصباح فإن خزائن الأموال ستنتهي وكلمات الفلاح العجوز لا تنتهي وكذلك الكلمات الطيبة لا تنتهي ولها أبواب كثيرة، فاغتنموا أوقاتكم، واحفظوا ألسنتكم.

الإمام أحمد بن حنبل: يقول أبو عبد الله بن خزيمة قال: لما مات أحمد بن حنبل اغتممت غماً شديداً فبت من ليلتي فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت له: يا أبا عبد الله أي مشية هذه؟ قال: مشية الخدام في دار السلام. قال قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر الله لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب وقال لي: يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي غير مخلوق. (١)

الكلمة السيئة تعود على أهلها بالسوء والشر قبل أن تعود على غيرهم وتؤثر في سواهم.

انظر ماذا قال اليهود عليهم من الله ما يستحقون وتعالى الله عما يقولون :(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) فانظر كيف رد الله عليهم (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) المائدة، وقال بعض المنافقين في غزوة تبوك (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) فكانت النتيجة (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)) التوبة.

فالحروف هي الحروف تستخدمها نفسها عند الكلام فشتان بين من ألف بين حروفه وجمع بين كلماته وأخرج للكون كلمة طيبة نافعة وطيبا مطيبا يعود أثرها عليه قبل أن يعود على غيره وبين من ربط بين حروفه وكلماته برباط سوء فكانت كلماته شرا مستطيرا وريحا عقيما يذوق شرها وتلفحه سمومها قبل أن تنال غيره.

اللهم وفقنا للطيب من القول واصرفنا وأصرف عنا سيء الأقوال والأعمال والنيات.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

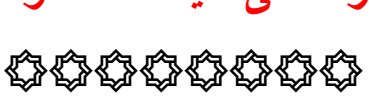

(١) حلية الأولياء

عليكم بالصدق

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه مما لم يخطر ببال، ويسمع همس الأصوات وحس دهس الخطوات في وعس الرمال، ويرى حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الأمواج وتراكم الأهوال، أفلا يستحي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الكل تحت قهره ونظره في جميع الأحوال، فتبارك من وفق من شاء لخدمته.

يا غافلا والجليل يحرسه من ** كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن مَلِكٍ ** تأتيك منه فوائد النعم

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

أنت الذي من نورك البدر اكتسى ** والشمس مشرقة بنور بهائك
أنت الذي لما رفعك الله إلى السما ** بك قد سمت وتزينت للقاك
أنت الذي ناداك ربك مرحبا ** ولقد دعاك لقربه وحباك
ماذا يقول المانعون وما عسى ** أن تجمع الكتاب من معلاك
صلى عليك الله يا علم الهدى ** ما اشتاق مشتاق إلى مسراك

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر:

أولًا: فضل الصدق ثانيًا: مجالات الصدق

ثالثًا: أقوال السلف والعلماء في الصدق رابعًا: نماذج على الصدق

الموضوع

معنى الصدق لغةً: الصدق ضدُّ الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق، ويقال: صَدَقْتُ القوم. أي: قلت لهم صِدْقًا وتصادقا في الحديث وفي المودة.[1]

---

(١) لسان العرب

معنى الصدق اصطلاحًا: الصدق: (هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب)

وقال الباجي: (الصدق الوصف للمخبَر عنه على ما هو به)

وقال الراغب الأصفهاني: (الصدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا)

أولًا: فضل الصدق

أمر الله به وسوله : قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة:].

(أي: اصدُقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا) (١)

وعن أبي سفيانَ صَخرِ بنِ حربٍ - رضي الله عنه- في حديثه الطويلِ في قصةِ هِرَقْلَ، قَالَ هِرقلُ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ - يعني: النَّبيّ ﷺ -قَالَ أبو سفيانَ: قُلْتُ: يقولُ:)اعْبُدُوا اللهَ وَحدَهُ لا تُشْرِكوُا بِهِ شَيئاً، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، وَالصِّلَةِ) (٢)

وصف الله به نفسه : قال تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) [النساء: ٨٧]، وقال: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) [النساء: ١٢٢].

من صفات الأنبياء

أ-إبراهيم عليه السلام: قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (مريم ٤١)

ب-إسحاق ويعقوب عليهما السلام: قال تعالى: (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) (مريم ٥٠). والمراد باللسان الصدق: الثناء الحسن؛ كما فسره ابن عباس.

ج-إسماعيل عليه السلام: قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)

د-إدريس عليه السلام: قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (مريم ٥٦)

ذ-يوسف عليه السلام: قال تعالى: (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) (يوسف ٤٦)

ز-جميع الأنبياء عليهم السلام: قال تعالى: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) (يس ٥٢)

من صفات المؤمنين الصادقين المتقين: قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢) متفق عليه

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة ١٧٧) ، وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات ١٥)

وقال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب ٢٣)،

وقال تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (يونس ٢)

قال الإمام الرازي في تفسيره: حمل بعض المفسرين (قَدَمَ صِدْقٍ) على الأعمال الصالحة؛ وبعضهم حمله على الثواب، ومنهم من حمله على شفاعة محمد عليه الصلاة والسلام، واختار ابن الأنباري هذا الثاني وأنشد: صل لذي العرش واتخذ قدما ... بنجيك يوم العثار والزلل (١)

مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين: قال تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء: ٦٩].

قال الشوكاني: (قوله وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ كلام مستأنف لبيان فضل طاعة الله والرسول، والإشارة بقوله: فَأُولَئِكَ إلى المطيعين، كما تفيده من مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بدخول الجنة، والوصول إلى ما أعدَّ الله لهم، والصدِّيق المبالغ في الصدق، كما تفيده الصيغة، وقيل: هم فضلاء أتباع الأنبياء، والشهداء: من ثبتت لهم الشهادة، والصالحين: أهل الأعمال الصالحة) (٢)

محبة الله تعالى: عن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي قراد السلمي ﷺ قال كنا عند النبي ﷺ فدعا بطهور فغمس يده فتوضأ فتتبعناه فحسوناه فقال النبي ﷺ ما حملكم على ما فعلتم قلنا حب الله ورسوله قال فإن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا ائتمنتم واصدقوا إذا حدثتم وأحسنوا جوار من جاوركم) (٣)

يوم ينفع الصادقين صدقهم: قال تعالى:(هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [المائدة: ١١٩].

لهم مغفرة وأجر عظيم: قال تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

(١) تفسير الرازي (٢) فتح القدير للشوكاني (٣) صحيح الترغيب والترهيب

وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٣٥].

الهداية إلى البر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-(عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) (١).

دخول الجنة: قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) (القمر)

قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) [آل عمران: ١٥ - ١٧]

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: (اضمنوا لي ستا أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا أئتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم) (٢)

الصدق طمأنينة: عن أبي محمد الحسن بنِ عليّ بن أبي طالب ﷺ، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُول الله -ﷺ- : (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ؛ فإنَّ الصِّدقَ طُمَأنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ) (٣)

ومعنى:((يَرِيبُكَ) : اترك مَا تَشُكُّ في حِلِّهِ وَاعْدِلْ إِلَى مَا لا تَشُكُّ فِيهِ.

خير الناس: عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ (خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق قيل: ما القلب المخموم؟ قال: هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد قيل: فمن على أثره؟ قال: الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قيل: فمن على أثره؟ قال: مؤمن في خلق حسن.) (٤)

بلو غ الشهادة: عن سهل ابن حُنَيْفٍ وَهُوَ بدريٌّ -ﷺ-: أنَّ النَّبيّ -ﷺ-، قَالَ:)مَنْ سَأَلَ الله تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) (٥)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على تحرى الصدق؟:

أ-استحضار مراقبة الله قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ

---

(١) صحيح مسلم
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح سنن الترمذي
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح مسلم

نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[المجادلة:٧].

ب-الخوف من النفاق: لأن النبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها...إذا حدث كذب.) (١)

ج-مصاحبة الصاقين: قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(التوبة ١١٧).

د-الدعاء: قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) (الإسراء ٨٠) ، وقال تعالى: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ) (مريم ٨٤)

عليك بالصدق ولو أنه ** أحرقك بنار الوعيد

وابْغ رضا المولي، فأشقي الوري ** من أسخط المولي وأرضي العبيد

ثانياً: مجالات الصدق

صدق اللسان: وهو أشهر أنواع الصدق وأظهرها. وصدق اللسان لا يكون إلا في الإخبار، أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه، والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه، وحقٌّ على كلِّ عبد أن يحفظ ألفاظه، فلا يتكلم إلا بالصدق، فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق، ولهذا الصدق كمالان، فالأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضًا، إلا عند الضرورة،

عوّد لسانك قول الصدق تَحْظَ ** إن اللسان لما عوَّدتَ

والكمال الثاني أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه، وعن عبد الله بن عمر ﷺ: عن النبي ﷺ قال: (أربع إذا كان فيك لا يضرك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة)(٢)

صدق النية والإرادة: ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو ألا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يسمى كاذبًا.

صدق العزم: فإنَّ الإنسان قد يقدم العزم على العمل؛ فيقول في نفسه: إن رزقني الله مالًا تصدقت بجميعه أو بشطره، أو إن لقيت عدوًّا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال، وإن قتلت، وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خلق، فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة، وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في

(١) متفق عليه (٢) السلسلة الصحيحة

العزيمة، فكان الصدق هاهنا عبارة عن التمام والقوة.

صدق الوفاء بالعزم: فإنَّ النفس قد تسخو بالعزم في الحال؛ إذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة، فإذا حقت الحقائق، وحصل التمكن، وهاجت الشهوات انحلت العزيمة، وغلبت الشهوات، ولم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يضاد الصدق فيه، ولذلك قال الله تعالى: (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) [الأحزاب: ٢٣].

فعَنْ ثَابِتٍ قَالَ قَالَ أَنَسٌ عَمِّى الَّذِى سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بَدْرًا - قَالَ - فَشَقَّ عَلَيْهِ قَالَ أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- غُيِّبْتُ عَنْهُ وَإِنْ أَرَانِىَ اللَّهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- لَيَرَانِىَ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ - قَالَ - فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا - قَالَ - فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَوْمَ أُحُدٍ - قَالَ - فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ يَا أَبَا عَمْرٍو أَيْنَ فَقَالَ وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ - قَالَ - فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ - قَالَ - فَوُجِدَ فِى جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ - قَالَ - فَقَالَتْ أُخْتُهُ عَمَّتِى الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ فَمَا عَرَفْتُ أَخِى إِلاَّ بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) قَالَ فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِى أَصْحَابِهِ) (١)

صدق في الأعمال:

عن طلحة بن عبيد الله: أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة فقال (الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا). فقال أخبرني ما فرض الله علي من الصيام فقال (شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا). فقال أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة فقال فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام قال والذي أكرمك لا أتطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا. فقال رسول الله ﷺ (أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق) (٢)

الصدق في مقامات الدين: وهو أعلى الدرجات وأعزها، ومن أمثلته: الصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل وغيرها من الأمور.

الصدق في التجارة: عن أبي خالد حَكيمِ بنِ حزامٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رسولُ الله -ﷺ-:)البَيِّعَانِ بالخِيَار مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإنْ صَدَقَا وَبيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بيعِهمَا، وإنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بركَةُ بَيعِهِما) (٣)، وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال يا معشر التجار فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري (٣) متفق عليه

إليه فقال إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق) (١)

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا؛ فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ؛ قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا) (٢)

ثالثاً: أقوال السلف والعلماء في الصدق

قال أبو بكر الصديق ﷺ حينما بويع للخلافة: (أيها الناس، إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة) (٣).

قال عمر: (لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محقٌّ، ويدع الكذب في المزاح، وهو يرى أنَّه لو شاء لغلب) (٤).

عن عبد الله بن عمرو قال: (ذر ما لست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخزن لسانك كما تخزن دراهمك) (٥).

قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) [البقرة: ٤٢]: أي لا تخلطوا الصدق بالكذب (٦).

عن إسماعيل بن عبيد الله قال: (كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أُجنِّب بنيه السمن، وكان يأمرني ألا أطعم طعامًا حتى يخرجوا إلى البراز، وكان يقول: علِّم بنيَّ الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم الكذب، وإن فيه كذا وكذا يعني القتل) (٧).

قال ميمون بن ميمون: (من عُرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه) (٨).

قال الفضيل بن عياض: (ما من مضغة أحب إلى الله من لسان صدوق، وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب) (٩).

قال الأحنف لابنه: (يا بني، يكفيك من شرف الصدق، أنَّ الصادق يُقبل قوله في عدوه، ومن دناءة الكذب، أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه، لكلِّ شيء حِليةٌ، وحليةٌ المنطق الصدق؛ يدلُّ على اعتدال وزن العقل) (١٠).

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) متفق عليه
(٣) التاريخ للطبري
(٤) روضة العقلاء
(٥) الشعب للبيهقي
(٦) تفسير الطبري
(٧) روضة العقلاء
(٨) عيون الاخبار
(٩) روضة العقلاء
(١٠) نهاية الأرب في فنون الادب

قال أبو حاتم: (الصدق يرفع المرء في الدارين كما أنَّ الكذب يهوي به في الحالين، ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد؛ إلا أنَّ المرء إذا عرف به قُبل كذبه، وصار صدقًا عند من يسمعه؛ لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه حتى يستقيم له على الصدق، ومجانبة الكذب، والعيُّ في بعض الأوقات خير من النطق؛ لأنَّ كلَّ كلام أخطأ صاحبه موضعه، فالعيُّ خير منه) (١).

قال بعضهم: (من لم يؤدِّ الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض المؤقت، قيل: وما الفرض الدائم؟ قال: الصدق وقيل: من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل، وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك؛ فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك، وقيل: ما أملق -يعني ما افتقر-تاجر صدوق) (٢)

(روي أن بلالًا لم يكذب منذ أسلم، فبلغ ذلك بعض من يحسده، فقال: اليوم أكذبه فسايره، فقال له: يا بلال ما سنُّ فرسك؟ قال عظم، قال: فما جريه؟ قال: يحضر ما استطاع، قال: فأين تنزل؟ قال: حيث أضع قدمي، قال: ابن من أنت؟ قال ابن أبي وأمي، قال: فكم أَتى عليك؟ قال: ليالٍ وأيامٌ، الله أعلم بعدها، قال: هيهات، أعيت فيك حيلتي، ما أتعب بعد اليوم أبدًا) (٣).

عن إبراهيم بن شيبان قال: سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول: لما حضرت أبي الوفاةُ جمع بنيه، وقال: (يا بَنِيَّ، عليكم بتقوى الله. وعليكم بالقرآن فتعاهدوه. وعليكم بالصدق، حتى لو قَتَلَ أحدُكم قتيلاً ثم سُئل عنه أَقَرَّ به، والله، ما كذبت كذْبةً منذ قرأت القرآن) (٤).

رابعاً: نماذج على الصدق

كعب بن مالك في تخلُّفه عن تبوك: كما في البخاري ومسلم، وفيها أن النبي -ﷺ- قال لكعب: (ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك؟)، قال: قلت: يا رسول الله، إني والله، لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطِه بعذر، ولقد أُعطيتُ جدلاً - أي: فصاحةً وقوة في الإقناع - ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتُك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه - أي: تغضب عليَّ فيه - إني لأرجو فيه عفو الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر في حين تخلفت عنك، قال رسول الله - ﷺ -: (أمَّا هذا، فقد صدق)، فلما صدق مع الله ومع رسوله، تاب الله عليه، وأنزل فيه وفي صاحبيه آيات تتلى إلى قيام الساعة، فقال - تعالى -: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ

---

(١) روضة العقلاء (٢) مدارج السالكين (٣) نهاية الارب غي فنون الأدب (٤) الحلية (٨٥/٦)

الْعُسْـــرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: ١١٧] إلى قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: ١١٩] (١)

رجل من بني إسرائيل: عن أبي هريرة ﷺ : عن رسول الله صلى الله عليه و سلم (أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعضهم بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتني بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدا قال فأئتني بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضـــى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشـبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصـحيفة منه إلى صـاحبه ثم زجج موضـعها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضي بك وسـألني شـهيدا فقلت كفى بالله شـهيدا فرضـي بك وأني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أســتودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصـــرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما نشـرها وجد المال والصـحيفة ثم قدم الذي كان أسـلفه فأتى بالألف دينـار فقـال والله مـا زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال هل كنت بعثت إلي بشيء ؟ قال أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدا)(٢) [ش (التمس) طلب. (للأجل) الزمن الذي حدده له للوفاء. (فنقرها) حفرها. (صحيفة) مكتوبا. (زجج) سوى موضع النقر وأصلحه من تزجيج الحواجب وهو حلق زوائد الشعر. (تسلفت فلانا) طلبت منه سلفا. (جهدت) بذلت وسعي. (ولجت) دخلت في البحر]

رجل من الأعراب: عن شداد بن الهاد ﷺ (أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزاته غنم النبي ﷺ فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا قالوا قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال مـا هذا قال قســمته لك، قال ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على أن أرمي إلى هاهنا -وأشـار إلى حلقه بسـهم- فأموت فأدخل الجنة فقال إن تصـدق الله يصدقك فلبثوا قليلا ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتي به إلى النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ أهو هو قالوا نعم، قال صدق الله فصدقه ثم كفنه النبي ﷺ في جبته التي عليه ثم قدمه

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري

فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك) (١)

أصحاب الغار: عن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال (بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطب أجره فقلت اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي إنما لي عندك فرق من أرز فقلت له اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة،

فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغطون من الجوع فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيت بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا) (٢)

صبرٌ جميلٌ ما أسرَعَ الفرجَا ** مَن صَدَقَ اللهَ في الأمورِ نَجَا
مَن خشِيَ اللهَ لم ينَلْهُ أذًى ** ومَن رجا اللهَ كان حيثُ رَجَا

الشيخ عبد القادر الجيلاني : يقول: (بنيت أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق، ولما وصلنا أرض (همْدان)، خرج علينا عرب فأخذوا القافلة، فمر واحد منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا، فظن أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال: ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى أميرهم، فسألني، فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها، فصاح الأمير باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله، ثم أمر بردِّ ما

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صحيح البخاري

أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة؛ فتابوا جميعًا بفضل الله تعالى، ثم ببركة الصدق).

هاربًا لجأ إلى أحد الصالحين: يُحكَى أن هاربًا لجأ إلى أحد الصالحين، وقال له: أَخْفِنِي عن طالبي، فقال له: نَمْ هنا، وألقى عليه حزمة من خوص، فلما جاء طالبوه وسألوا عنه، قال لهم: ها هو ذا تحت الخوص، فظنوا أنه يسخَرُ منهم فتركوه، ونجا ببركة صدق الرجل الصالح.

صدق رجل أمام الحجاج: يُروَى أن الحجاج بن يوسف خطب يومًا فأطال الخطبة، فقال أحد الحاضرين: الصلاة، فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك، فأمر بحبسه، فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون، فقال الحجاج: إن أقرَّ بالجنون خلَّصتُه من سجنه، فقال الرجل: لا يسوغ لي أن أجحد نعمة الله التي أنعم بها عليَّ، وأثبت لنفسي صفة الجنون التي نزهني الله عنها، فلما رأى الحجاج صدقه، خلَّى سبيله.

الرجل والعالم: يحكى أن رجلا كان يعصي الله -سبحانه-وكان فيه كثير من العيوب، فحاول أن يصلحها، فلم يستطع، فذهب إلى عالم، وطلب منه وصية يعالج بها عيوبه، فأمره العالم أن يعالج عيبًا واحدًا وهو الكذب، وأوصاه بالصدق في كل حال، وأخذ من الرجل عهدًا على ذلك، وبعد فترة أراد الرجل أن يشرب خمرًا فاشتراها وملأ كأسًا منه، وعندما رفعها إلى فمه قال: ماذا أقول للعالم إن سألني: هل شربتَ خمرًا؟ فهل أكذب عليه؟ ل، لن أشرب الخمر أبدً.

وفي اليوم التالي، أراد الرجل أن يفعل ذنبًا آخر، لكنه تذكر عهده مع العالم بالصدق. فلم يفعل ذلك الذنب، وكلما أراد الرجل أن يفعل ذنبًا امتنع عن فعله حتى لا يكذب على العالم، وبمرور الأيام تخلى الرجل عن كل عيوبه بفضل تمسكه بخلق الصدق.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصادقين ويحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

من الجوانب الإنسانية في حياة الرسول ﷺ

الحمد لله الغفور الذي ستر بستره وأجمل، الشكور الذي عم ببره وأجزل، الرحيم الذي أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل، الواحد الأحد القدوس الصمد الأول المنفرد بالعز والكمال فلا ينتقص عزه ولا يتحول، الحي العليم القدير السميع البصير المتكلم بكلام قديم لا يتغير ولا يتبدل، أحمده على ما أنعم وأكرم وتفضل

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير

تبارك الله في علياء عزته ** وجل معنى فليس الوهم يحويه
وجوده سابق لا شيء يشبهه ** ولا شريك له لا شك لي فيه
لا كون يحصره لا عون ينصره ** لا كشف يظهره لا جهر يبديه
لا دهر يخلقه لا نقص يلحقه ** لا نقل يسبقه لا عقل يدريه
سبحانه وتعالى في جلالته ** وجل لطفا وعزا في تعاليه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه الذي أوحى اليه الكتاب ونزّل، ونهج للمتقين طريق الهداية وسهل.

يا مصطفى من قبل نشأة أدم ** والكون لم يفتح له إغلاق
أيروم مخلوق ثناؤك بعدما ** أثنى على أخلاقك الخلاق

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولاً: نبذة عن أخلاق النبي ﷺ

ثانياً: صور من الجوانب الإنسانية في حياة النبي ﷺ

ثالثاً: كيف نحيي المشاعر الإنسانية

الموضوع

أولاً: نبذة عن أخلاق النبي ﷺ

لقد شاء الله تبارك وتعالى بحكمته وفضله أن يختار نبيه محمداً ﷺ من بين البشر كلهم أجمعين، ويصطفيه، ويخصه من الخصائص، بما لم يخص به أحداً من العالمين.

حتى كان ﷺ قدوةً للناس -كلهم أجمعين -في كل شيء قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) الأحزاب ٢١.

فإنك إن نظرت إلى رسول الله ﷺ نبياً ورسولاً؛ وجدته المقدم على أنبياء الله تعالى، ورسله فهو سيدهم وأفضلهم وخاتمهم وإن نظرت إليه معلماً وجدته أفضل المعلمين، وإذا نظرت إليه خطيباً، وجدته المتحدث، الذي يصل قوله إلى كل قلب، وإن نظرت إليه زوجاً وجدته خير الأزواج لأهله، وإن نظرت إليه أباً، وجدته خير الآباء، وأحسنهم تعليما وإن نظرت إليه مقاتلاً، وجدته المقاتل الشجاع، وإن نظرت إليه كصاحب خلق وجدته متربع على عرش الأخلاق بأسرها.

قال تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم) وتأمل معي كيف خاطبه الله عز وجل، لم يقل له وإنك لذو خلق عظيم، ولم يقل له وإنك لصاحب خلق عظيم، لم يقل له وإن أخلاقك عظيمة، لم يقل ربنا له ذلك وإنما قال له (وإنك لعلى خلق عظيم) خاطبه بحرف (على) الذي يفيد الاستعلاء فكأنه ﷺ متربع على عرش الأخلاق بأسرها، فالأخلاق إذا ذكرت كان رسول الله عنوانها، والأخلاق إذا ذكرت كان رسول الله أستاذها، والأخلاق إذا ذكرت كان رسول الله سيدها.

يا سيد السادات يا من قدره ** لا تستطيع له الورى إدراك
ماذا يقول الناس فيك ** وربهم بأتم تربية له رباك
حلاك بالخلق العظيم وفضله ** الفضل العظيم عليك ما أعلاك
آواك من يتم وأعطاك الغنى ** ولدينه الدين القويم هداك
شكرا لك اللهم أنت كفلته ** نعم الكفيل تقدست أسماك

مدحه الله في خلقه: قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم

خلقه القران: لما سئلت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن أخلاق النبي ﷺ من سعيد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة، قَالَت له:(أَلَستَ تَقرَأُ القُرآنَ؟ قُال: بَلَى، قَالَت: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ القُرآنَ)[1]

وصف الصحابة لخلقه: عن أنس قال: خدمت رسول الله -ﷺ -عشر سنين فما قال لي: (أف) قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان -ﷺ -أحسن الناس خلقا، ولا مسست خزا، ولا حريرا، ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله -ﷺ -ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ) [2]

---

(١) صحيح مسلم

(٢)صحيح مختصر الشمائل المحمدية (٢٩٦)

أكثر الناس حياءً: كان أكثر الناس حياء فعن أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ -ﷺ-قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ)[١]

آثر أمته بدعوته المستجابة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) [٢]

لم ينتقم لنفسه قط: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[٣]

حياته قبل البعثة: لما رأى جبريل أول مرة ونزل عليه بالوحي قال لخديجة -رضي الله عنها-: وقد جاءها يرجف، ولم يكن يعهد ذلك من قبل يقول:(دثروني لقد خشيتُ على نفسي) فقالت زوجه الأولى خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-:(كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ [٤]

ثانياً: صور من الجوانب الإنسانية في حياة النبي

أ-إنسانيته مع زوجاته: عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر وهي جارية (قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن) فقال لأصحابه: تقدموا (فتقدموا) ثم قال: تعالي أسابقك فسابقته فسبقته على رجلي فلما كان بعد (وفي رواية: فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت) خرجت معه في سفر فقال لأصحابه تقدموا: (فتقدموا) ثم قال: تعالي أسابقك ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله! وأنا على هذا الحال؟ فقال: لتفعلن فسابقته فسبقني فجعل يضحك وقال: هذه بتلك السبقة. [٥]

خدمة أهله: عن إبراهيم عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في يته؟ قالت كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة [٦]

حلمه ﷺ معهن: عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: (كنَّا معشر قريشٍ نغلب النِّساء، فلمَّا قدمنا على الأنصار إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم؛ فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخبت على امرأتي، فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني. قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فو الله إنَّ أزواج النَّبيِّ ﷺ ليراجعنه،

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح مسلم
(٥) السلسلة الصحيحة
(٦) صحيح البخاري

وإنَّ إحداهنَّ لتهجره اليوم حتَّى اللَّيل. فأفزعني ذلك، وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهنَّ. ثمَّ جمعت عليَّ ثيابي، فنزلت، فدخلت على حفصة، فقلت لها: أي حفصة، أتغاضب إحداكنَّ النَّبيَّ ﷺ اليوم حتى اللَّيل؟!قالت: نعم. فقلت: قد خبت وخسرت!!فتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي)[١] و(طفق): شرع وبدأ، و(فصخبت): الصخب: الضجة واختلاط الأصوات عند الخصام.).

وعن عائشة رضى الله عنها، قالت قال لي رسول الله ﷺ: (إنِّي لأعلم إذا كنت عنِّي راضيةً، وإذا كنت عليَّ غضبى). قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: (أمَّا إذا كنت عنِّي راضيةً؛ فإنَّك تقولين: لا وربِّ محمَّدٍ، وإذا كنت عليَّ غضبى؛ قلت: لا وربَّ إبراهيم). قالت: قلت: أجل، والله، يا رسول الله، ما أهجر إلَّا اسمك)[٢]

معالجة الأمور بلطف: وعن أنس قال (كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحافة فانفلقت فجمع النبي ﷺ فلق الصفحة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحافة ويقول (غارت أمكم) ثم حبس لخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت) [٣].

ب-إنسانيته مع أبناءه:

كان ﷺ يخفض لهم جناحه : ويفهم طبيعتهم السنية؛ فيداعبهم ويلاطفهم ويقبلهم، ويحتضنهم ويصبر عليهم، ويكره أن يقطع عليهم مرحهم وسعادتهم حتى ولو كان بين يدي الله تعالى

فعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال (خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها قال أبي فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلى سجودي فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك قال كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته) [٤]

رحمته بهم: وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِىَّ -ﷺ- يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ: (إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ) [٥].

---

(١) صحيح البخاري
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح البخاري
(٤) سنن النسائي ، تحقيق الألباني :صحيح
(٥) متفق عليه

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم فقال النبي ﷺ (أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة) (١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ (دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) (٢) تخفيف الصلاة من أجلهم: عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ) (٣)

قطع الخطبة من أجلهم: عن بريدة قال:(كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما) (٤) العطف عليهم: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّىْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا - قَالَ - وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّى - قَالَ - فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ)(٥)

الرحمةُ المهداةُ جاء مبشِّرا ** ولأفضلِ الأديان قام فأنذرا
ولأكرمِ الأخلاق جاء مُتمِّمًا ** يدعو لأحسنِها ويمحو المنكرا
صلى عليه اللهُ في ملكوته ** ما قام عبدٌ في الصلاة وكبّرا
آواك من يتم وأعطاك الغنى ** ولدينه الدين القويم هداك
شكرا لك اللهم أنت كفلته ** نعم الكفيل تقدست أسماك

ج-إنسانيته مع أصحابه:

كان يحب أصحابه ويبدأهم بالسلام: ويكنيهم ويدعوهم بأحب الأسماء إليهم، بل كان يقف لخدمتهم ويجهد نفسه لراحتهم وكان يسأل عن أخبارهم ويتفقد أحوالهم، ويدعو لغائبهم، ويزور مريضهم ويشيع جنائزهم، ويصلي عليهم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ مِمَّا يَقُولُ لأَصْحَابِهِ (مَنْ

(١) متفق عليه
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح الجامع
(٥) صحيح مسلم

رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا أَعْبُرْهَا لَهُ). قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ ظُلَّةً. بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.(١)

ومعنى الظلة: السحابة التي لها ظل.

يرق لحالهم فيحزن قلبه وتدمع عينه وتتفطر نفسه: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِى غَشِيَّةٍ فَقَالَ (أَقَدْ قَضَى). قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بَكَوْا فَقَالَ (أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا -وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ -أَوْ يَرْحَمُ) (٢)

ومعنى الغشية: ما يغشاه من شدة كرب الموت، قضى: مات

د-إنسانيته مع الضعفاء: فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ، قَالَ: (أَلاَ تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟ قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللهِ ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا ، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ ، وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، وَتَكَلَّمَتِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : صَدَقَتْ، صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟) (٣)

وعَنْ سَعْدٍ قَالَ(كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:(وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)(٤)

قضاء حوائجهم: عن أنس قال (كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)(٥) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْنَفُ وَلَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُمَا حَاجَتَهُمَا)(٦)

رفع قدرهم: عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ

---

(١) صحيح مسلم
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح سنن ابن ماجة
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح الجامع

الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا)[١]

الشعور بحالهم: ولشعوره ﷺ بأزمة الفقر هذه، وما تُورِثُه في نفس الإنسان من ضعف، تَحرَّك قلبه لهؤلاء الفقراء، مع أنه عاش حياته كفردٍ منهم، وكما تقول أم المؤمنين عائشة: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ) [٢]

الوصية بهم: عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ (مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ فَقُلْنَا يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً. فَقَالَ إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَلَقِيتُ النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ). قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ. قَالَ (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) [٣]

ذ-إنسانيته مع المخطئين

إقناعهم بالحق وصبره عليهم: عن أبي أمامة قال:(إن فتى شابا اتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله! ائذن لي بالزنى. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه! فقال: ادنه. فدنا منه قريبا. قال: فجلس. قال أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال أتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم! اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) [٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ أَعرَابِيٌ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ – ﷺ -: (دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)[٥]

الثناء على التائب منهم: عن بُرَيْدَةَ ﷺ قال:(جَاءَتْ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح البخاري
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح البخاري
(٥) السلسلة الصحيحة

فَطَهِّرْنِي وَإِنَّهُ رَدَّهَا فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَرُدُّنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى قَالَ إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ قَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ قَالَ اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ)[١]

تعليمهم مع عدم التقليل من شأنهم: وعنَ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ، قَالَ :(بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ- نظروا إلى بحدة وشدة، الرجل لا يعلم أن الحكم نسخ فلقد كان الصحابة قبل ذلك يسلمون على النبي ﷺ فى الصلاة فيرد النبي ﷺ عليهم السلام، ثم نسخ النبي هذا الحكم ونهى عن الكلام في الصلاة، وجاء هذا الرجل ولا يعرف أن الحكم قد نسخ فوقف في الصلاة، فلما عطس رجل فى الصلاة فقال له: يرحمك الله فرماه القوم بأبصارهم يقول معاوية بن أبى الحكم السلمى: فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ .. كل هذا فى الصلاة. واثكل أمياه فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي إنما قال لي:(إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ، لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)[٢]

ر-إنسانيته مع أعداءه:

الدعاء لهم: من معالم إنسانيته الرائعة أنه رغم خلافه مع قومه وظلمهم له، وتعديهم عليه، وتآمرهم بالقتل والإبعاد والتحريض إلا أنه لم يضق صدره بهم ذرعا، ودعا عليهم؛ بل كان يفتح يديه، ويبتهل إلى ربه قائلا: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) كما ورد عن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) [٣]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ (إِنِّى لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً) [٤]

الحسرة والألم على حالهم : وكاد أن يهلك نفسه من الحسرة والألم وكثرة الفكر، وطول الهم،

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) متفق عليه (٤) صحيح مسلم

وبذل الجهد عله أن ينقذ حياتهم من الكفر وآخرتهم من النار، والقرآن يشير إلى ذلك بقوله: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً) الكهف.

رد الإساءة بالحسنى: عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ (يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ فَقَالَ (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ). فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) (١)

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : (كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء) (٢)

ومعنى (برد) نوع من الثياب. (نجراني) نسبة إلى نجران بلد في اليمن. (الحاشية) الجانب ، (فجذبه) شده. (صفحة) وجهه وجانبه وناحيته ومثله الصفح. (عاتق) هو ما بين المنكب والعنق.)

زيارتهم: عن ثابت عن أنس ﷺ قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له (أسلم). فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول (الحمد لله الذي أنقذه من النار) (٣)

حفظ عهدهم وتحريم نقضه: عن عبد الله بن عمرو ﷺ :عن النبي ﷺ قال (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) (٤)

وقال عن عمرو بن الحمق ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ (أَيُّمَا رَجُلٍ أَمِنَ رَجُلا عَلَى دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ، فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا)(٥)

ز-إنسانيته بالحيوان: كان ﷺ يعتبر الحيوان كيانا معتبرا ذا روح يحس بالجوع ويشعر بالعطش، ويتألم بالمرض والتعب، ويدركه ما يدرك الإنسان من أعراض الجسد؛ لذا رأيناه ﷺ تتألم نفسه

(١) متفق عليه
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح البخاري
(٥) صحيح الترغيب والترهيب

ويرق قلبه لحيوان ألم به الجوع ونال منه الجهد

الحيوان: فعن سهل بن الحنظلية - ﷺ - قال : (مر رسول الله ﷺ على بعير قد لصق ظهره ببطنه؛ فقال: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة) [١]

وعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال : أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفا أو حايش نخل فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذفراه فسكت فقال: من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه)[٢]

وعن عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِى هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لاَ هِىَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلاَ هِىَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ) [٣]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ: (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِىٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِى إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ) [٤]

الطيور: عن أبي مسعود ﷺ قال(كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش فجاء النبي ﷺ فقال من فجع هذه بولديها ردوا ولديها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن قال إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار) [٥]

ثالثاً: كيف نحيي المشاعر الإنسانية:

ألا ما أحوجَ البشريّةَ إلى هذهِ المعاني الإسلاميّةِ السّامية، وما أشدَّ افتقارَ الناسِ إلى التخلُّق بالرّحمة التي تُضمِّد جراحَ المنكوبين، وتحثّ على القيامِ بحقوقِ الوالدَين والأقربين، والتي تواسي المستضعَفين، وتحنو على اليتامَى والعاجِزين، وتحافِظ على حقوقِ الآخرين، وتحجز صاحبَها عن دِماء المعصومين من المسلمين وغير المسلمين، وتصون أموالَهم مِن الدّمار والهلاك، وتحثّ على فِعل الخيراتِ ومجانبَة المحرّمات.

قراءة كتاب الله عز وجل: قال العلماء: إن الرحمة لا تدخل إلى قلبٍ قاسٍ، والقلوب لا تلين إلا بكلام الله، ولا تنكسر إلا بوعد الله ووعيده وتخويفه وتهديده، فمن أكثر تلاوة القرآن، وأكثر من

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه
(٥) صحيح الترغيب والترهيب

تدبر القرآن كسر الله قلبه ودخلت فيه الرحمة.

تذكر مشاهد الآخرة: فإن العبد إذا تذكر مشاهد الآخرة، وصور نفسه كأنه قائمٌ بين يدي الله تجادل عنه حسنته، ويقف بين يدي الله عز وجل وقد نشر له ديوانه، وبدت له أقواله وأفعاله، إذا تصور مثل هذه المواقف قادته إلى الله وحببت إلى قلبه الخير وجعلت أشجانه وأحزانه كلها في طاعة الله ومرضاته.

معرفة سيرة النبي ﷺ والسلف الصالح: فقراءة سيرة النبي ﷺ والسلف الصالح، الأئمة المهديين من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، والوقوف على ما كانوا عليه من الأخلاق الجميلة والآداب الكريمة، كل ذلك يحرك القلوب إلى المشاعر العظيمة الجياشة نحو الآخرين ويجعل فيها شوقاً إلى الإحسان إلى الناس، وتفريج كرباتهم، وقل أن تجلس في مجلس فيذكر فيه كريمٌ بكرمه، أو يذكر المحسن فيه بإحسانه إلا خشع قلبك.

فهذه أمنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها يأتيها عطاؤها من أمير المؤمنين معاوية رضي الله عن الجميع وهي صائمة ثلاثون ألف درهم وهي في أشد الحاجة، فتوزعها على الفقراء إلى فلان وآل فلان، ولم تبق منها شيئاً حتى غابت عليها الشمس، فالتمست طعاماً تفطر عليه فلم تجد. فسير الرجال وسير الصالحين وسير الأخيار تحرك القلوب إلى الخير، والله تعالى يقول في كتابه: وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)هود ، فالله يثبت قلوب الصالحين على الصلاح والبر ما سمعوا بأمرٍ صالح وما سمعوا بسيرة عبدٍ صالح.

معاشرة الرحماء: انظر في إخوانك وخلانك، فمن وجدت فيه الرحمة ورقة القلب وسرعة الاستجابة لله، فاجعله أقرب الناس منك، فإن الأخلاق تعدي، فإذا عاشر العبد الصالحين أحس أنه في شوق للرحمة، والإحسان إلى الناس، ودعاه ذلك إلى التشبه بالأخيار، فكم من قرينٍ اقترن بقرينه، كان من أقسى الناس قلباً، فأصبح ليناً لان قلبه بصحبة الصالحين. كان عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه أشد الناس قلباً وأعظمهم صلابة، فلما دخل الإسلام، كان من أرحم الناس بالمسلمين ﷺ وأرضاه؛ لأنه عاشر رسول الأمة وإمام الرحماء فتأثر به.

الاختلاط بالضعفاء، والمساكين، وذوي الحاجة فإنَّه ممَّا يرقِّق القلب.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

نعمة الرضا

الحمد لله المذكور بكل لسان المشكور على كل إحسان خلق الخلق ليعبدوه واظهر لهم آياته ليعرفوه ويسر لهم طريق الوصول إليه ليصلوه فهو ذو الفضل العظيم والخير الواسع العميم

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا ** وبت إلى مولاي اشكوا ما أجد

وقلت يا عدتي في كل نائبة ويـــــــا ** من عليه لكشف الضر اعتمد

اشكوا إليك أمورا أنت تعلمها مـــــا ** لي علي حملها صقر ولا جلد

وقد مددت يدي إليك بالذل مبتهلا ** يا خيـــــر من مدت إليه يد

فلا تردنهـــــــــــا يا رب خائبة فبحر ** جودك يروي كـــــل من يرد

واشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، نشهد يا رسول الله أنك قد بلغت إلينا من ربك الرسالة وأديت الأمانة ونصحت للأمة فكشف الله بك الغمة وتركتنا على المحاجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو مشرك.

العناصـــــــر

أولاً: تعريف الرضا ثانياً: فضل الرضا وثمراته

ثالثاً: كيفية تحقيق رضا الله رابعاً: نماذج على الرضا

الموضـوع

أولاً: تعريف الرضا:

هو تقبُّل ما يقضي به الله ـ عز وجل ـ من غير تردد، ولا معارضة.

وقال الإمام الجنيد رحمه الله: الرضا: هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم، أدّاهُ إلى الرضا.

وقال ابنُ عطاء الله: هو سُكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل فيرضي به.

الفرق بين الرضا والصبر

الصبر لغة: المنع والحبس، وشرعا: حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك، والصبر والجزع ضدان كما أخبر الله تعالى:) سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ)إبراهيم.

الرضا: هو انشراح الصدر وسعته بالقضاء وترك تمني زوال الألم وإن وجد الإحساس بالألم لكن الرضا يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية

الرضا فضل مندوب إليه، والصبر واجب على المؤمن حتم.

والصبر حبس النفس وكفها عن السخط مع وجود الألم وتمني زواله، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع ، والرضا يوافق الصبر في حبس النفس وكف الجوارح، ويزيد عليه عدم تمني زوال الألم، ففرح العبد بالثواب وحبه لله عز وجل وانشراح صدره بقضائه يجعله لا يتمنى زوال الألم.

وعن سليمان الخواص قال: مات ابن رجل، فحضره عمر بن عبد العزيز، فكان الرجل حسن العزاء؛ فقال رجل من القوم: هذا والله الرضا؛ فقال عمر بن عبد العزيز: أو الصبر؛ فقال سليمان: الصبر دون الرضا، الرضا: أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضياً بأي ذلك كان، والصبر: أن يكون بعد نزول المصيبة يصبر

دع الأيام تفعل ما تشـــــــــــاء ** وطب نفســـا إذا حكم القضـــاء
ولا تجـــــــــزع لحادثة الليالي ** فمـــــــــــا لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا علـى الأهوال جلـداً ** وشيمتك السماحة والوفـــــــاء

وليس الرضا هو الاستسلام، لأن الاستسلام هو الانهزام وعدم بذل الجهد لتحقيق الهدف، أما الرضا فهو استفراغك الوسع في تحقيق الهدف، لكن لم توفق إليه، فترضى بما قسم الله لك من غير جزع، أو ضجر، أو سخط، كالذي تزوج ولم يرزق الولد، والذي أصيب بمرض لم يستطع دفعه، والذي ابتلاه الله بالفقر وضيق ذات اليد، فاجتهد في تحصيل الغنى فلم يوفق. هنا يأتي التحلي بصفة الرضا بما كتبه الله وقدره، فتحيل القلب إلى سرور دائم، وتشعر النفس بنعيم مقيم

ثانياً: فضل الرضا وثمراته

من صفات المؤمنين السابقين: قال تعالى:(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[التوبة: ١٠٠]

وعَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ(ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا.) [١]

(١) صحيح مسلم

من صفات النفوس المطمئنة: قال سبحانه:(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *وَادْخُلِي جَنَّتِي)[الفجر: ٢٨].

مغفرة الذنوب: فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ؛ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ.) (١)

الأجر العظيم: وقال تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) النساء

الفوز العظيم: فقال تعالى-: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة ٧٢].

رضا الله تعالى: قال تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيبا) [الفتح: ١٨].

وعن أبي سعيد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أهلَ الجنةِ فيقولونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) (٢)

ثالثاً: كيفية تحقيق رضا الله

الإيمان الجازم بأن الله تعالى هو الرزاق: قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [الذاريات]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ.) (٣) والرزق يقسمه الله كيف شاء فيغني هذا لحكمة ويفقر غيره لحكمة يعلمها سبحانه قال الله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [الزخرف: ٣٢].

هِيَ القناعةُ فالزمْها تَعِشْ مَلِكاً ** لو لم يَكُنْ منك إلا راحةُ البدنِ
وانظر لمن مَلَكَ الدنيا بأجْمَعِهَا ** هل راحَ منها بغيرِ القُطْنِ والكَفَنِ

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه (٣) صحيح سنن ابن ماجة

والغني غنى النفس فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ) [١]

فعل الطاعات : قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ)

وقال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ) (البقرة: ٢٦٥)

وقال تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (النساء: ١١٤).

الإخلاص في العمل والاعتصام بالله: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا؛ وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ؛ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ؛ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ.) [٢]

الرضا عن الله:

أ-سئل جعفر بن سليمان الضبعي: متى يكون العبد راضياً عن الله تعالى؟ قال: إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة!! وكان الفضيل يقول: إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى.) [٣]

ب-قيل ليحيى بن مُعاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ قال: إذا أَقام نفسه على أَربعة أُصول فيما يعامل به ربّه، فيقول: إن أعطيتني قَبِلْت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أَجبت)[٤]

ج-عن الأحنف بن قيس قال: شكوت إلى عمي صعصعة بن معاوية وجعاً في بطني، فنهرني ثم قال: يا ابن أخي، إذا نزل بك شيء فلا تشكه إلى أحد، فإنما الناس رجلان، صديق تسوؤه، وعدو تسره، والذي بك لا تشكه إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه، ولكن إلى من ابتلاك به، وهو قادر على أن يفرج عنك، يا ابن أخي إحدى عيني هاتين ما أبصر بها سهلا ولا جبلاً من أربعين سنة، وما اطلعت على ذلك امرأتي ولا أحد من أهلي. [٥]

د-روي أن سعد بن أبي وقاص قدم إلى مكة وقد كف بصره؛ فجعل الناس يهرعون إليه ليدعو لهم فجعل يدعو لهم؛ وكان مجاب الدعوة. قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني فقلت: يا عم أنت تدعو للناس فيشفون؛ فلو دعوت لنفسك لرد الله عليك بصرك!! فتبسم ثم قال: يا

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣)الإحياء
(٤) مدارج السالكين
(٥)ربيع الأبرار للزمخشري

بني قضاء الله أحب إلىَّ من بصري.) [١]

ذـشـكا بعضـهم إلى بعض أرباب البصـائر وأظهر شـدة اغتمامه. فقال له: أيسـرك أنك أعمى ولك عشـرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسـرك أنك أخرس ولك عشـرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أن أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً!) [٢]

دوام الحال من المحال: فكم من غني أصبح فقيرا وكم من قوي أصبح ضعيفا، وكم من عزيز أصبح ذليلا والعكس، فكل شيء بيد الله تعالى فكن راضيا بما قسمه الله واشكره سبحانه على نعمائه يزيدك من فضله فهو على كل شج قدير

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شـيء مما ترى تبقى بشـاشـته ** يبـقى الإلـه ويفنى المـال والولـد
لم تغن عن هرمز يومـاً خزائنـه ** والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سـليمـان إذ تجري الريـاح لـه ** والإنس والجن فيمـا بينهـا ترد
أين الملوك التي كـانـت لعزتهـا ** من كـل أوب إليـهـا وافـد يفـد؟
حوض هنـالـك مورود بلا كـذب ** لا بـد من ورده يومـاً كمـا وردوا

العلم بـأن الفقر والغنى ابتلاء وامتحـان: فـالفقير ممتحن بفقره وحـاجتـه، والغني ممتحن بغنـاه وثروتـه، وكل منهما مسـؤول وموقوف بين يدي الله عز وجل؛ وكما أن الفقر ابتلاء، فكذلك الغنى ابتلاء وامتحان؛ قال تعالى: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ). (الأنبياء: ٣٥)

فالله يعطيك ليختبرك ويسـلب منك ليختبرك؛ فإذا نجحت في الاختبار كنت مؤمناً حقاً؛ فعَنْ صُـهَيْبٍ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ:(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّـهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ؛ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.) [٣]

فإذا أرت أن تعرف عند الله مقامك عند الله فانظر على أي شـيء أقامك؟!! فلو أنت مقيم على الرضـا فالله راض عنك؛ ولو أنت مقيم على السـخط فالله سـاخط عليك ، أما من كان على الكفر والفسـوق والعصـيان – والعياذ بالله-فإن الله لا يرضـى عنهم؛ قال تعالى: (وَلا يَرْضَـى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ) (الزمر: ٧) وقال تعالى: (فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ) (التوبة: ٩٦).

النظر الى حال الخلق: فلماذا السخط؟ ولماذا التشكي؟ وأنت آمِن في نفسك ومالك وأهلك، معافى في

---

(١) مدارج السالكين (٢)الإحياء للغزالي (٣) صحيح مسلم

بدنك، عندك قوتُ يومك، بل قوتُ عامٍ أو يزيد.

يقول الدكتور مصطفى السباعي: زر المحكمة مرة في العام لتعرف فضل الله عليك في حسن الخلق. وزر المستشفى مرة في الشهر لتعرف فضل الله عليك في الصحة والمرض. وزر الحديقة مرة في الأسبوع لتعرف فضل الله عليك في جمال الطبيعة. وزر المكتبة مرة في اليوم لتعرف فضل الله عليك في العقل. وزر ربك كل آن لتعرف فضل الله عليك في نعم الحياة.

فاحمد ربك على العافية؛ والعيشة الكافية؛ والساعة الصافية، فكم في الأرض من وحيد وطريد وشريد وفقيد، وكم من رجل قد غلِب، ومَن ماله سلب، وملكه قد نهب، وكم من مسجون ومغبون ومدين ومفتون ومجنون، وكم من سقيم وعقيم ويتيم، ومن يلازمه الغريم والمرض الأليم؛ واعلم بأنّ للهمِّ مفتاحًا وهو السرور، وللذنب رب غفور.

رغيف خبز يابس تأكله في عافية ** وكوز ماء بارد تشربه من صافية
وغرفة ضيقة نفسك فيها راضية ** ومصحف تدرسه مستندًا لسارية
خير من السكنى بأبراج القصور ** وبعد قصر شاهقٍ تُصلى بنار

فيا مَن تشكو من توالي الهموم والأحزان، من قلة المال، من الفقر والحاجة... كن راضيا صابرا محتسبا قنوعا، ولتكن لك في رسول الله أسوة حسنة وقدوة طيبة؛ انظر إلى طعامه، وانظر إلى فراشه ولباسه، وانظر إلى مسكنه. لتدرك أنك في نعم كثيرة وخيرات وافرة.

رابعاً: نماذج على الرضا

مهما حدث فهو خير لك فكن راضياً: قرية بها رجل عجوز حكيم، وكان اهل القرية يستشيرونه في امورهم في أحد الأيام، ذهب فلاح إلى العجوز وقال بصوت محموم أيها الحكيم لقد حدث شيء فظيع لقد هلك ثوري وليس لدى حيوان يساعدني على حرث أرضي!، اليس ذلك أسوأ شيء يمكن أن يحدث لي؟

فأجاب الحكيم (ربما كان ذلك صحيحا ، وربما كان غير ذلك) فأسرع الفلاح عائدا لقريته وأخبر جيرانه أن الحكيم قد جن بالطبع كان ذلك أسوأ شيء يمكن أن يحدث للفلاح فكيف لم يتسن للحكيم أن يرى ذلك إلا أنه في اليوم ذاته ، شاهد الناس حصانا قويا بالقرب من مزرعة الرجل ولأن الرجل لم يعد عنده ثور ليعينه في عمله واتت الرجل فكرة اصطياد الحصان ليحل محل الثور ... وهو ما قام به فعلا وقد كانت سعادة الفلاح بالغة ، فلم يحرث الأرض بمثل هذا اليسر من قبل وما كان من الفلاح إلا أن عاد للحكيم وقدم اليه أسفه قائلا لقد كنت محق ايها الحكيم إن فقداني للثور لم يكن

اسوأ شيء يمكن أن يقع لي ، لقد كانت نعمة لم أستطع فهمها ، فلو لم يحدث ذلك لما تسنى لي أبدأ أن أصيد حصانا جديدا لا بد أنك توافقين على أن ذلك هو أفضل شيء يمكن أن يحدث لي فأجاب الحكيم ؛ ربما نعم وربما لا ٠٠ فقال الفلاح لنفسه (لا) ثانية لابد أن الحكيم فقد صوابه هذه المرة وتارة أخرى ، لم يدرك الفلاح ما سيحدث بعد مرور بضعة أيام سقط ابن الفلاح من فوق صهوة الحصان فكسرت ساقه ولم يعد بمقدوره المساعدة في حصاد المحصول ومرة اخرى ذهب الفلاح إلى الحكيم وقال له كيف عرفت أن اصطيادي للحصان لن يكون امرا جيدا ؟ لقد كنت على صواب ثانية، فلقد جرح ابني ولن يتمكن من مساعدتي في الحصاد هذه المرة أنا على يقين بأن هذا هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث لي لا بد أنك توافقين هذه المرة ولكن كما حدث من قبل، نظر الحكيم الى الفلاح وقال (ربما نعم وربما لا) استشاط الفلاح غضبا من جهل الحكيم وعاد من فوره الى القرية وفي اليوم التالي، قدم الجيش واقتاد جميع الرجال القادرين للمشاركة في الحرب التي اندلعت للتو وكان ابن الفلاح الشاب الوحيد الذي لم يصحبوه معهم ومن هنا كتبت له الحياة في حين أصبح حتما على الباقين أن يلقوا حتفهم...

كُن عن همومك مُعرضاً ** وكِلِ الأمور إلى القضا
وانعم بطول سلامة ** تُسليك عمّا قد مضا
فلربما اتسع المضيق ** وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مسخط ** لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء ** فلا تكن مُتعرضا

ما أعظم نعمة الرضا: رجلا ابتلاه الله بالعمى وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس فوجده يشكر الله على نعمه، ويقول: الحمد الله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلا، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى مقطوع اليدين والرجلين، وسأله: على أي شيء تحمد الله وتشكره؟ فقال له: يا هذا، أَشْكُرُ الله أن وهبني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا وبدنًا على البلاء صابرًا.

قلباً عامراً ولساناً ذاكراً هما أفضل نعمة: تجهز عروة للسفر من المدينة النبوية إلى دمشق واستعان بالله وأخذ أحد أولاده معه (وقد كان أحب أبناؤه السبعة إليه) وتوجه إلى الشام، فأصيب في الطريق بمرض في رجله أخذ يشتد ويشتد حتى أنه دخل دمشق محمولاً لم يعد لديه قدرة على المشي. انزعج الخلفية حينما رأي ضيفه يدخل عليه دمشق بهذه الصورة فجمع له أمهر الأطباء

لمعالجته، فاجتمع الأطباء وقرروا أن به الآكلة (ما تسمى في عصرنا هذا الغرغرينا) وليس هناك من علاج إلا بتر رجله من الساق، فلم يعجب الخليفة هذا العلاج، ولسان حاله يقول (كيف يخرج ضيفي من بيت أهله بصحة وعافية ويأتي إلى أبتر رجله وأعيده إلى أهله أعرجاً)، ولكن الأطباء أكدوا أنه لا علاج له إلا هذا وإلا سرت إلى ركبته حتى تقتله، فأخبر الخليفةُ عروةَ بقرار الأطباء، فلم يزد على أن قال (اللهم لك الحمد).

اجتمع الأطباء على عروة وقالوا: اشرب المرقد (المخدر او البنج)، فلم يفعل وكره أن يفقد عضواً من جسمه دون أن يشعر به. قالوا: فاشرب كأسا من الخمر حتى تفقد شعورك. فأبى مستنكراً ذلك. وقال: كيف أشربها وقد حرمها الله في كتابه. قالوا: فكيف نفعل بك إذاً ؟!قال: دعوني أصلي فإذا أنا قمت للصلاة فشأنكم وما تريدون !! (وقد كان رحمه الله إذا قام يصلي سهي عن كل ما حوله وتعلق قلبه بالله تعالى). فقام يصلي وتركوه حتى سجد فكشفوا عن ساقه وأعملوا مباضعهم في اللحم حتى وصلوا العظم فأخذوا المنشار وأعملوه في العظم حتى بتروا ساقه وفصلوها عن جسده وهو ساجد لم يحرك ساكناً، وكان نزيف الدم غزيراً فأحضروا الزيت المغلي وسكبوه على ساقه ليقف نزيف الدم، فلم يحتمل حرارة الزيت، فأغمي عليه.

في هذه الأثناء أتى الخبر من خارج القصر أن ابن عروة بن الزبير كان يتابع (يتفرج على) خيول الخليفة، وقد رفسه أحد الخيول فقضى عليه وصعدت روحه إلى بارئها !!! فاغتم الخليفة كثيراً من هذه الأحداث المتتابعة على ضيفه، واحتار كيف يوصل له الخبر المؤلم عن انتهاء بتر ساقه، ثم كيف يوصل له خبر موت أحب أبنائه إليه.

ترك الخلفية عروة بن الزبير حتى أفاق، فاقترب إليه وقال: أحسن الله عزاءك في رجلك. فقال عروة: اللهم لك الحمد وإنّا لله وإنّا إليه راجعون. قال الخليفة: وأحسن الله عزاءك في ابنك. فقال عروة: اللهم لك الحمد وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، أعطاني سبعة وأخذ واحداً، وأعطاني أربعة أطراف وأخذ واحداً، إن ابتلى فطالما عافا، وإن أخذ فطالما أعطى، وإني أسأل الله أن يجمعني بهما في الجنة.

ثم قدموا له طستاً فيه ساقه وقدمه المبتورة قال: إن الله يعلم أني ما مشيت بك إلى معصية قط وأنا أعلم. بدأ عروة رحمه الله يعود نفسه على السير متكئا على عصى، فدخل ذات مرة مجلس الخليفة، فوجد في مجلس الخليفة شيخاً طاعناً في السن مهشم الوجه أعمى البصر.

فقال الخليفة: يا عروة سل هذا الشيخ عن قصته؟

قال عروة: ما قصتك يا شيخ؟ قال الشيخ: يا عروة اعلم أني بت ذات ليلة في وادٍ، وليس في ذلك الوادي أغنى مني ولا أكثر مني مالاً وحلالاً وعيالاً، فأتانا السيل بالليل فأخذ عيالي ومالي وحلالي، وطلعت الشمس وأنا لا أملك إلا طفل صغير وبعير واحد، فهرب البعير فأردت اللحاق به، فلم أبتعد كثيراً حتى سمعت خلفي صراخ الطفل فالتفتُ فإذا برأس الطفل في فم الذئب فانطلقت لإنقاذه فلم أقدر على ذلك فقد مزقه الذئب بأنيابه، فعدت لألحق بالبعير فضربني بخفه على وجهي، فهشم وجهي وأعمى بصري!

قال عروة: وما تقول يا شيخ بعد هذا؟ فقال الشيخ: أقول اللهم لك الحمد ترك لي قلباً عامراً ولساناً ذاكراً.

فيجب على كل مسلم: أن يرضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً، وبكل ما قسمه الله له من غنى أوفق، قوة او ضعفا، صحة أو سقما، سعة أو ضيقا، اعطاه الله أولاداً أو لم يعطه

فلله الحمد على كل حال، فلله الحمد على كل حال، فلله الحمد على كل حال

والحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التضحية في حياة المسلم

الحمد لله رب العالمين سبحانه سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض حكمه، سبحان الذي في القبر قضائه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحان الذي في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القيامة عدله.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، شهادة من قال ربى الله ثم استقام تقرب لعباده برأفته ورحمته، ونور قلوب عباده بهدايته،

سبحان من ملأ الوجود أدلة ** ليلوح ما أخفى بما أبداه
سبحان من ظهر الجميع بنوره ** فيه يرى أشياء من صفاه
سبحان من أحيا قلوب عباده ** بلوائح من فيض نور هداه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

والله ما في الخلق مثل محمد ** في الفضل والجود والأخلاق
فهو النبي الهاشمي المصطفى ** من خيرة الأنساب من عدنان
لو حاول الشعراء وصف محمد ** وأتو بأشعار من الأوزان
ماذا يقول الواصفون لأحمد ** بعد الذي جاء في القرآن

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولاً: ثمرات التضحية ثانيًا: أنواع التضحية

ثالثًا: الأسباب التي تعين على التضحية والأسباب التي تعوقها

رابعًا: عقوبة الامتناع عن التضحية

الموضوع

معنى التَّضْحية لغةً: التضحية مصدر ضحَّى يقال: ضحَّى بنفسه أو بعمله أو بماله: بذله وتبرع به دون مقابل. وهي بهذا المعنى محدثة [١]

معنى التَّضْحية اصطلاحًا: هو بذل النَّفس أو الوقت أو المال لأجل غاية أسمى، ولأجل هدف أرجى،

---

(١) المعجم الوسيط

مع احتساب الأجر والثواب على ذلك عند الله عزَّ وجلَّ.

أولاً: ثمرات التضحية

الفوز العظيم: قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)التوبة فطلب منا التضحية ولنا الجنة.

وعده الله بدخول الجنة: قال تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) [الإنسان]

وعن سبرة بن الفاكه ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم فغفر له فقعد له بطريق الهجرة فقال له تهاجر وتذر دارك وأرضك وسماءك فعصاه فهاجر فقعد بطريق الجهاد فقال تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد فقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة)(١)

هم المفلحون: قال تعالى(وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: ٩]

العبادات كلها تعلمنا التضحية: • شهادة أن لا إله إلا الله، استسلام لمنهج الله، فعليها نحيا وفي سبيلها نجاهد وعليها نموت وعليها نلقي الله.

- الصلوات الخمس تضحية بكل ما يشغلنا عن الصلاة من كسب مادي أو طعام أو لهو أو غير ذلك.
- الصيام تضحية بمتعة الطعام والشراب والشهوة.
- الزكاة تضحية بالمال الذي تميل إليه النفس.
- الحج تضحية بمفارقة الوطن والأهل، وبتحمل مشاق السفر، وبالإنفاق لأداء المناسك.

حصول شرف التأسي بالنبي ﷺ وهي أمارة أيضاً على قوة الإيمان : قال تعالى:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الاحزاب

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت على ثلاث من بين يوم وليلة وما لي طعام إلا ما واراه إبط بلال) (١)

الرزق الواسع : قال تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ: ٣٩]

المغفرة والرحمة: قال تعالى: (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [آل عمران: ١٥٧]

لا يضيع الله اجر المحسنين: قال تعالى: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

ما يترتب على التضحية والجهود المبذولة من ثمرات ومنافع وهداية لا تخطر ببال صاحبها: ولا يعلم مداها إلا الله ــ تعالى ــ، مصداق حديث النبي ﷺ: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)(٢)

التضحية المحمودة والمذمومة: تكون التضحية محمودة إذا كانت لله تعالى وفي سبيله، أما عن كانت غير ذلك فهي مذمومة، فعن أبي مُوسَى الأَشْعَرِيُّ أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ-فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) (٣).

ثانياً: أنواع التضحية

التَّضْحية بالنَّفس وهي من أعلى مراتب التَّضْحية:

أ-مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ : عن أَبي هريرة - ﷺ -عن رسول الله - ﷺ - ، أنَّه قَالَ : (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ في سَبيلِ الله، يَطيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً ، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ في رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ ، أَوْ بَطنِ وَادٍ مِنْ هذِهِ الأَوْدِيَةِ ، يُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ) (٤) ، (يَطِيرُ): أيْ يُسْرِعُ. وَ (مَتْنُهُ): ظَهْرُهُ. وَ (الهَيْعَةُ): الصوتُ للحربِ. وَ

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) متفق عليه (٤) صحيح سنن ابن ماجة

(الفَزعَةُ): نحوه. وَ (مَظَانُّ الشَـيْءِ): المواضـعُ الَّتي يُظَنُّ وجودُهُ فِيهَا. وَ (الغُنَيْمَة) بضـم الغين: تصغير الغنم. وَ (الشَّعَفَةُ) بفتح الشين والعين: هي أعلى الجَبَل.

ب-أبو طلحة : عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ:(لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ؛ وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ؛ كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؛ وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنْ النَّبْلِ فَيَقُولُ انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ. قَالَ: وَيُشْـرِفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ)[1] يجودُ بالنَّفسِ، إذ ضنَّ البخيلُ بها والجودُ بالنَّفسِ أقصى غايةِ الجودِ

ج-سـحرة فرعون: الذين أقبلوا إلى فرعون أقبلوا إليه لاهثين راغبين في المال والجاه (قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [الأعراف: ١١١١٤].

فلما ألقوا حبالهم وعصيهم وحاولوا أن يظهروا سحرهم ألقى موسى -- عصاه فإذا هي حية تسعى، إذا هي حية تلقف ما يأفكون.

قال تعالى: (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَـوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف: ١٢٠-١٢٤].

فجعل يهددهم بأنواع التهديد فإذا بالتضـحية في سـبيل الله تعالى، وبذل النفس والروح؛ لأجل أن تعلى كلمة الله تعالى ولأجل أن ترفع راية الدين والتوحيد تكون هي الظاهرة في قلوبهم، قال تعالى:(قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِـي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [طه: ٧٧٣]، قال ابن عباس ﷺ:(كانوا في أول النهار سحرة فجرة وصاروا في أخر النهار شهداء بررة).

إنه التضحية في سبيل هذا الدين.

التضحية بالمال: قال تعالى: (وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْـتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًـا حَسَنًا فَيُضَـاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) [الحديد:]، وقال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًـا حَسَـنًا فَيُضَـاعِفَهُ لَهُ أَضْـعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: ٢٤٥].

---

(1) متفق عليه

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِى شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَلْقَاهُ فِى كُلِّ سَنَةٍ فِى رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) [١].

وهذا صهيب الرومي -رضي الله عنه-لما وقر في قلبه الإسلام وجعلت قريش تضايقه كما تفعل مع بقية المسلمين حتى إذا كانت في يوم من الأيام بعدما هاجر أكثر المسلمين إلى المدينة جمع عليه متاعه وأخذ معه سيفه ورمحه وسهامه ثم مضى ليهاجر كما هاجر المسلمون ثم تبعه نفر من قريش قالوا له: أتيتنا صعلوكًا لا مال لك ثم تخرج الآن من بيننا، والله لا تخرج من بيننا.

فصعد على جبل ونثر سهامه بين يديه وقال يا قريش: والله لقد علمتم أني أصوبكم رميًا والله لا تصلوا إليَّ حتى أقتل منك بعدد هذه السهام.

فتحيروا وهم ينظرون إليه فلما طال بهم المقام وطال بهم الانتظار وهو لا يستطيع النزول وهم لا يجاوزن مكانهم، قال لهم صهيب: ألا أدلكم على شيء خير من أن تمسكوني عندكم؟ قالوا: ما هو؟ قال: أدلكم على موضع مالي في مكة فتذهبون إليه فتحوزونه إليكم كله ولا تدعون لي منه شيئا.

يضحي بهذا الوقت الذي جمع فيه كل ماله في سبيل أن يمكنوه من الهجرة إلى رسول الله -ﷺ-، قالوا له: افعل ذلك، قال لهم: اذهبوا إلى موضع كذا تجدوا لي فيه مالا، واذهبوا إلى فلان فإني قد وضعت عنده مالا، واذهبوا إلى فلان فإن لي عنده ثياب، واذهبوا إلى فلان فإني... وجعل يدلهم على مواضع ماله حتى إذا وثقوا منه جمع سهامه ونزل وأقبل إلى رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فلما رآه النبي -ﷺ-وقد نبأه خبر السماء بقصة صهيب قبل أن يصل إلى المدينة قال -عليه الصلاة والسلام-: (ربح البيع أبا يحيى. ربح البيع أبا يحيى. ربح البيع أبا يحيى)، وجعل -عليه الصلاة والسلام-يكررها حتى وقف صهيب بين يديه بأبي هو وأمي ﷺ.

التضحية بالوقت والجهد: إنَّ الوقت هو عُمر الإنسان، ورأس مالِه في هذه الحياة؛ ذلك أنَّ كلَّ يوم يمضي على الإنسان يأخذ من عُمره ويُقَرِّبه إلى أَجَلِه، فكان حري بالعاقل أن يستغلَّ ويمضي هذا الوقت الذي مَنَحَهُ الله إياه فيما يرضي ربه، وأن يحقِّق لنفسِه السعادة في الدُّنيا والآخرة.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أنَّ النبي -ﷺ -قال: (نِعْمَتانِ مغبونٌ فيهمَا كثيرٌ منَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ)[٢] ، فالسَّاعات أغْلَى من أن تُنفَق في أحاديثَ فارغة، أو مجالس غيبة، لا يتحرى فيها المسلمُ الصِّدق، ولا يأمر فيها بالمعروف، وكما قيل: الأيَّامُ ثلاثةٌ: الأمسُ قد مضى بما فيه، وغدًا

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح البخاري

لَعَلكَ تُدركه، وإنَّما هو يومكَ هذا، فاجتهد فيه.

قال يحيى بن معاذ: (إضاعةُ الوقت أشدُّ منَ الموت؛ لأنَّ إضاعةَ الوقت انقطاعٌ عن الحقّ، والموتُ انقطاعٌ عن الخلق).

وسَأل الفُضيل بن عِياض -رحمه الله -رجلاً، فقال له: كم عمرك؟ فقال الرجل: ستُّون سنة، فقال الفضيل: فأنت منذُ ستين سنة تسير إلى ربكَ، تُوشك أن تصل، فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفضيل: مَن عرف أنَّهُ عبد لله، وأنَّه راجعٌ إليه، فليعلم أنهُ موقوفٌ ومسؤولٌ، فليعدَّ للسؤالِ جوابًا، فقال الرجلُ: ما الحيلةُ؟ فقال الفضيل: يسيرة، تُحسنُ فيما بقيَ، يُغفر لك ما مضى، فإنَّكَ إن أسأتَ فيما بقيَ، أُخذتَ بما مضى وما بقي.

أ-تضحية النبي ﷺ بوقته وتحمله أذى قريش: إن التضحية -أيها الإخوة المؤمنون-هي من أعظم وأكبر المظاهر التي ربانا عليها نبينا ﷺ، وإذا نظرت في سيرة رسول الله ﷺ في رجوعه من الطائف بعدما كبته أهلها، ففي سجوده عند الكعبة فيقبل أشقى القوم بفرث الدواب وهو ما يخرج من الدابة عند الولادة يقبل ويضعه على رقبة النبي عليه الصلاة والسلام لولا أنه ضحى -ﷺ- ضحى بوقته وماله وتحمل أذى قريش لما قام للإسلام راية.

ب-نبي الله نوح عليه السلام : قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) [نوح: ٨] فكان يضحّي بوقته وجهده وفراق أهله وبلده وولده لأجل أن يعلي راية الله تعالى.

ج-أبو هريرة ﷺ: ضحى بوقته فكان يلزم رسول الله ﷺ ، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاللهُ الْمَوْعِدُ إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مِسْكِينًا، أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي وَكَانَ الْمُهَاجِرونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالَ: مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ فَلَنْ يَنْسى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ)[1] يلزمه لا يفارقه كل الوقت معه يضحي بوقته في سبيل حفظ الحديث للأمة،

وعن أبي هريرة ﷺ قال: (يقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعد ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن

---

[1] متفق عليه

إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني فأحضر حين يغيبون وأعي حين ينسون وقال النبي ﷺ يوما (لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا). فبسطت نمرة ليس على ثوب غيرها حتى قضى النبي ﷺ مقالته ثم جمعتها إلى صدري فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئا أبدا (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات - إلى قوله -الرحيم) [١]، فلولا أنه ضحى بوقته لما كانت مثل هذه الأحاديث تصل إلينا.

د-النفقة على الأولاد وتربيتهم: لولا أن الإنسان الأب يضحي بوقته وجهده وتعبه لما استطاع أن ينفق على أولاده، ولولا أن المرأة التي يعاملها زوجها معاملة سيئة تضحي براحتها، تضحي ربما أحيانًا بكراماتها فتتحمل إهانته وسوء تعامله ما كانت تربي أولادها في بيت فيه أب وأم وإنما سارعت في طلب الطلاق أو الخلع أو الفسخ منه.

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالأَيَّامِ نَقْطَعُهَا ** وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى جُزْءٌ مِنَ العُمُرِ
بكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي ** فَلَمْ يُفِدِ البُكَاءُ وَلاَ النَّحِيبُ
أَلا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا ** فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ

التضحية للوطن

أ-حب الوطن: عن عبد الله بن عدي بن حمراء ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفا على الحزورة فقال: (والله إنك لخير أرض الله وأحب الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) [٢]

ب-الدعاء له: عن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لابي طلحة التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج أبو طلحة يردفني وراءه فكنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل قال ثم أقبل حتى إذا بدا له أحد قال هذا جبل يحبنا ونحبه فلما أشرف على المدينة قال اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة ثم قال اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم) [٣]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها لنا وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة) [٤]

ج-العمل من اجله حتى في أحلك الظروف: عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها) [٥]

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: (قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ،

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح سنن الترمذي
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح الجامع

فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، ...)[١].

د-التكافل والتراحم والتآخي والتآزر والتالف بين أبنائه: عن عبد الله بن عمر ﷺ (أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله فقال أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرا ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام) [٢]

ذ-عدم ترويج الإشاعات والفتن: فقد قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(الحجرات ٦)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) [٣].

ر-الشهادة في سبيل الله دفاعا عن الوطن: فالشهادة تعنى بذل النفس والمال نصرة لدين الله عز وجل ودفاعا عن الوطن والأرض والعرض والمال فعن سعيد بن زيد ﷺ قال (سمعت رسول الله ﷺ يقول من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد) [٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: قَاتِلْهُ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: فَأَنْتَ شَهِيدٌ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ هُوَ فِي النَّارِ) [٥].

التضحية للعبادة: وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) [الحج]

التضحية بمتاع الدنيا:

أ-زوجات النبي ﷺ تركن متاع الدنيا بعد ان عرض عليهن رغبة في متاع الآخرة فهو خير وأبقى

---

(١) صحيح البخاري
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح مسلم

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) الأحزاب.

ب-مصعب بن عمير: لما اقتنع بداخله بسلامة الدين والتوحيد وبخطأ ما عليه قومه أقبل مبايعًا للنبي -عليه الصلاة والسلام-فحرمته أمه من كل شيء كانت تعطيه إياه؛ من المال والمتاع والتجارة والثياب والطعام والرائحة الحسنة وما شابه ذلك من أنواع النعيم حتى إنه كان ساترا ممكنا منعما مرفها من أحسن وأجمل وأرفه شباب مكة، فترك كل ما كان فيه من نعيم ضحى به في سبيل التمسك بالتوحيد، حتى إذا أسلم نفر من أهل المدينة على يد رسول الله ﷺ طلبوا رجلا يسافر معهم إلى المدينة؛ ليعلمهم الدين فاختاره النبي -عليه الصلاة والسلام-، فإذا به يضحّي إضافة إلى ما ضحى به من أمواله وعزه التي كانت أمه تعطيه إياه، يضحي -أيضًا-بالبلد التي نشأ فيه وترعرع فيه ومشى على أرضه وأكل من ثماره وصاحب أهل... يضحي بكل ذلك.

ويمضي إلى المدينة وبعد سنة واحدة يقيم فيها، أول جمعة أقيمت في الإسلام أقامها مصعب، ثم يعود بعد سنة إلى رسول الله -ﷺ-ومعه أكثر من سبعين ما بين رجل وامرأة كلهم قد أسلموا على يده، فالتضحية التي ضحاها جعل بها دولة للنبي -ﷺ-في المدينة تستقبله لما يهاجر إليها.

فعن خَبَّاتٍ ﷺ قَالَ: (هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ؛ وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلاَّ بُرْدَةً إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخِرِ)[١]

فانظر كم من الوقت الذي ضحى به في سبيل نشر دين الله تعالى.

التضحية للدين: عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر فبعث له غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه وأعجبه فكان إذا الساحر ضربه وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال له: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم: الراهب أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجرا ثم قال : اللهم إن كان أمر

(١) متفق عليه

الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي سائر الأدواء فسمع جليس للملك ـ كان قد عمي ـ فأتى الغلام بهدايا كثيرة فقال : ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني قال : إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك يمشي يجلس إليه كما كان يجلس فقال الملك : فلان ! من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي قال : ولك رب غيري ؟ قال : ربي وربك واحد فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل ؟ قال : إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشق به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله فدفعه إلى قوم من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور فوسطوا به البحر فلججوا به فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله فقال للملك : وإنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتك ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد ثم صلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في موضع السهم فمات فقال الناس : آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام ثلاثا فأتي الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أمه اصبري فإنك على الحق)[1]

---

(١) صحيح ابن حبان

التضحية بالصبر والاحتمال وكظم الغيظ. وهذا أنفع من الجود بالمال.

التضحية بالخلق الحسن والبشاشة والبسطة. وهو أعظم مما قبله.

التضحية بترك ما في أيدي الناس، وترك الالتفات إليه والتعرض له بالحال أو اللسان.

التضحية بالنفع بالجاه، كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه، وهذا زكاة الجاه.

التضحية بنفع البدن على اختلاف أنواعه، كخدمة بدنية، وكلمة طيبة، وفكرة نافعة.

التضحية بالعِرض، والتصدق على من شتم أو قذف أو اغتاب.

ويتاح للفقير أن يضحي بجوانب أخرى تكون الدعوة -في بعض الأحايين -أشد احتياجاً إليها من المال، وهذا مما لا يتاح للغني ذي الوفرة من المال الذي تشغله تنمية ماله؛ فإذا تصدق بشيء منه اكتفى به عن الجود بغيره. ثم للفقير أن ينال مثل أجره بحسن نيته، وصدقه فيها مع الله - تعالى - كما أخبر النبي ﷺ عن الغني الجواد والفقير المتمني للغنى ليعمل مثل عمله فقال: (فهما في الأجر سواء)[1] وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والنية أمر يعلمه الله من القلوب، ولكن من أدلتها الظاهرة الحرص على إنفاق القليل حال الضراء. وكما يقع الجود من الأفراد فإنه أيضاً يحصل من المجتمعات والدعوات والجماعات.

أيها المسلمون إن هؤلاء الذين استطاعوا أن يضحوا، أن يبذلوا، أن يجعلوا راية الإسلام هي أهم عنده من أنفسهم، أهم عليهم من أموالهم، أهم عليهم من بيوتهم، أهم عليهم من أولادهم، أهم عليهم من عزهم وشرفهم.

هم الذين قام عليهم الدين، هم السلم الذي رفعت عليه راية الله -جل وعلا-حتى سار للدين مكانا وحتى فتحت بسببهم بلدان. أما الذين لم يضحوا ولم يستطيعوا أن يخرجوا أنفسهم من وحل الدنيا فإنهم يتردون في نار جهنم؛ لأنهم أثاروا الحياة الدنيا واستحبوها على الآخرة.

ثالثا: الأسباب التي تعين على التضحية والأسباب التي تعوقها

أ-الأسباب المعينة على التضحية:

أيها الإخوة الكرام: إن من ينظر في حال رسول الله ﷺ وحال الأنبياء من قبله يجد أن الذي وقَر في قلوبهم من أسباب جعلتهم -فعلا-يستطيعون البذل والتضحية أول ذلك:

١-الثقة بالطريق الذي يسيرون عليه: الإنسان لو لم يثق أنه لو بذل ماله سيؤجر لما بذل ماله؛ فلماذا أوزع مالي الذي تعبت في جمعه، أوزع على الناس من الفقراء وأنا أعلم أنه لا ثواب لي، إذًا

---

[1] صحيح الترغيب والترهيب

أزيد فيه نفسي نعيمًا أنا وولدي.

لكن لما يكون عنده ثقة في الطريق الذي يسير عليه، أنا أبذل مالي؛ لأن عندي ثقة تامة أن الله -تعالى- سوف يعوضني خيرا وسوف يأجرني كما قال -تعالى-: (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) [آل عمران ١٥٩] لماذا (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) [النمل ٧٩]، (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [التوبة ٢٤].

إذا قدم الإنسان لذات نفسه على الطريق الذي يسير عليه دل هذا أنه يشك في صحة هذا الطريق، ما دمت واثقا بأنك إن بذلت نفسك إن بذلت جهدك إن بذلت مالك إن بذلت خبرتك إن بذلت نصيحتك إن بذلت علمك أنك مأجور عند الله -تعالى-فهذا يجعلك تضحي وأنت واثق بصحة الطريق.

الثقة بأن الله -تعالى-يعطي الإنسان خيرا مما بذل، كما قال الله جل وعلا: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) ثم قال (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ ٣٩]، إذا كان الرزق الذي آتاك الله تعالى إياه بذلته وأنفقته فاعلم وثق ثقة تامة أن الله تعالى سيعوضك خيرا، إن لم يعوضك مالا فسوف يعوضك سلامة في بدنك، فبدل ما تبذل المال وينقص مالك في سبيل الطب والعلاج يكفيك الله -تعالى-الأمر فيبارك في مالك يحفظ لك، يسلمك في دابتك، يسلمك في بيتك، في سيارتك، في شأنك.

بحيث إنك لما ما بذلت مائة جنيه فقد قدر عليك أنت أن يصيبك شيء في سيارتك فتنفق ربما خمسمائة جنيه سيكفيك الله -تعالى-هذه المصيبة في سبيل ذلك المال.

أنت تتعامل مع رب رحيم، وإذا بذلت جاهك اعلم أن الله -تعالى-يؤجرك ويرفعك.

قال حكيم بن حزام ﷺ وقد أقبل إليه رجل يستشفع به عند أخر، ابن حزام صحابي جليل له شأنه.

أقبل هذا الرجل يطلب شفاعته؛ لأن له جاه يطلب شفاعته عند رجل فقال له حكيم: هذه يدي في يدك فلنمضي إليه، فأخذ الرجل في أثناء الطريق يعتذر كأنه يقول له: كلفتك، قطعتك عن مشاغلك، أتعبتك معي

فقال له حكيم: (يا رجل والله إنا نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة، فلابد أن أبذل منه).

مما وقر في قلوب الأنبياء: أنهم كانوا يبحثون دائما عن أتباع يعيشون معهم؛ ليتعاونوا على البر والتقوى كما قال الله -جل وعلا-: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) [الكهف ٢٨] يعني كن دائمًا مع الصالحين القانتين المقبلين لتتعاون معهم على البر والتقوى.

إذا كان -عليه الصلاة والسلام-في أوائل الإسلام يطوف على القبائل يقول: (من يؤويني لأبلغ رسالة

ربي)، أريد دولة تؤويني، أريد مجتمعا أتعاون معه على نشر الدين، من يؤويني لأبلغ رسالة ربي؛ فإن قريش منعتني أن أبلغ رسالة ربي. حتى بعد ذلك كون -ﷺ-له دولة إسلامية في المدينة.

فأنت إذا أردت فعلاً أن تتعلم البذل والتضحية فليكن الذين تسير معهم وتجالسهم وتصاحبهم من هذا الجنس فعن أَبي سعيد الخدري ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ : (لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ) [1] ، يعني لا تصاحب إلا المؤمن الذي عنده من الإيمان ما يجعله ما يكون همه نصرة الدين والتضحية والبذل من خلاله.

٢-عدم الانكباب على الدُّنيا.

٣- التَّخلُّص من الرُّوح الانهزاميَّة: قال تعالى: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

٤-حبُّ الآخرين. ٥- التَّحلِّي بالشَّجَاعَة والإقدام.

٦-التَّحلِّي بعلو الهمَّة. ٧- التَّحلِّي بالكرم وعدم البخل.

٨-مصاحبة أهل الخير والرِّفعة، الذين ينفقون أموالهم ودماءهم في سبيل نصرة دين الله.

٩-اليقين الجازم بما أعدَّه الله لعباده المجاهدين في سبيله، قال تعالى: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ: ٣٩].

وقال أيضًا: (وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [آل عمران].

١-قصر الأمل في الدُّنيا. ١١-القراءة في أخبار السَّلف الصالح، والنَّظر في تضحياتهم بالنَّفس والمال، لنستلهم العبرة من أخبارهم ونقتدي بهم.

ب-الأسباب المعيقة لها

١-عدم الإخلاص لله في العمل. ٢- حبُّ النَّفس والأثرة.

٣-الانغماس في اللَّهو والتَّرف والدعة. ٤- إساءة الظنِّ وعدم الثِّقة.

٥-ضعف الإيمان، والتَّفكير في الرِّزق الذي يقعده عن الإنفاق والتَّضْحية بالمال، والخوف من الموت الذي يقعده عن الجهاد والتَّضْحية بالنَّفس.

٦-التَّعلق بالدُّنيا وزينتها، والتثاقل إلى الأرض: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [التوبة: ٣٣٩]،

---

[1] صحيح سنن الترمذي

إنَّها ثَقْلة الأرض، وثَقْلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللَّذائذ والمصالح والمتاع. ثَقْلة الرَّاحة والاستقرار. ثَقْلة الذَّات الفانية، والأجل المحدود، والهدف القريب. ثَقْلة اللَّحم والدَّم والتراب.

٧-البخل، وعدم الإنفاق في سبيل الله: قال تعالى: هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ [محمد: ٣٨].

وقال تعالى: أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [الصف: ١١].

رابعاً: عقوبة الامتناع عن التضحية

الحرمان من دخول الإسلام

١-هرقل: بعث النبي -ﷺ-إلى هرقل كتابا مع دحية بن خليفة الكلبي -رضي الله تعالى-عنه فقرأ الكتاب ثم جمع إليه من كان من أهل مكة تجارا في دمشق في الشام فجيء بهم إليه فسألهم عن النبي -عليه الصلاة والسلام-أسئلة حتى استقر في قلبه أن النبي -ﷺ-هو رسول حقا، وأنه الذي بشرت به من قبل الأنبياء، وأنه الذي أمرهم موسى باتباعه وأمرهم عيسى باتباعه، وأنه النبي الذي كان ينتظره أهل الكتاب.

أيقن هرقل ذلك بقلبه إيقانًا تامًّا وقرأ عليه كتاب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وإذا به (مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ -يعني عليك إثم قومك- (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران ٦٤] (١)

قرئ عليه الكتاب وأيقن في داخله يقينًا تامًّا لا شك فيه أن النبي -ﷺ-على حق، لكن هل عنده استعداد أن يضحّي بملكه؟ هل عنده استعداد أن يضحّي بقصره؟ هل عنده استعداد أن يضحي بماله؟ هل عنده استعداد ربما يضحي بنفسه لو قتله قومه؟

وإذا بهرقل يوازن بين هذا وبين الإسلام فتميل نفسه إلى ما هو فيه من عز ويلتفت إلى أبو سفيان

(١) صحيح مسلم

-وكان أبو سفيان من التجار المكيين الذين جيء بهم إليه ليسألهم-فقال: (والله كنت أعلم أنه خارج) أن هذا النبي سيخرج بالناس في الأمة كما بشر به الأنبياء من قبل.

(كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أعلم أنه منكم، ووالله لو كنت أعلم أني أخلص إليه لغسلت عن قدميه بالماء فجئت إليه ذليلاً منكسرًا). ثم أخرجهم من بين يديه ولم يؤمن برسول الله -عليه الصلاة والسلام-، لم يستطع أن يضحي بملكه وبأمواله بل ولا في نفسه في سبيل الدين، ومات كافرا عياذا بالله.

ب-أبو طالب: كان مؤمنًا في داخله مصدقًا في داخله أن النبي -ﷺ-على حق وكان يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد ** من خير أديان البرية دينا
لَولا المَلامَةُ أَو حِذاري سُبَّةً ** لَوَجَدتَني سَمحًا بِذاكَ مُبينا

لم يستطع أن يضحي بصداقاته من قومه يخاف أن يلوموه وأن يسبوه، هو أهل شرف في قومه لم يستطع أن يضحي بهذا الشرف ويتلقى بأنواع من الإهانة والسخرية كما يفعل مع بعض المسلمين، ما استطاع أن يضحي حتى مات كافرًا، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ (أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ) [1]. ما استطاع أن يضحي.

نعى القرآن على مَن لا يضحِّي: قال تعالى: (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ‘وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) الأعلى

العقاب الأليم: للقاعدين عن التضحية من غير عذر كما قال تعالى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[التوبة: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمنافقين:(قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)الفتح:

هم الفاسقون: وقال تعالى:(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[التوبة: ٢٤].

البخيل هو من لا يضحي : قال جل شأنه:(هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَن ۚ

---

(١) صحيح مسلم

يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)[محمد: ٣٨].

متاع الدنيا قليل: قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا)

الشيطان يعد بالفقر والخزي في الدنيا والآخرة: قال تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ واللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وفَضْلاً واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٦٨].

حال بعض الناس اليوم مع التضحية:

أ-بعض الناس يسمع الأذان لصلاة الفجر ولا يستطيع أن يضحي بنومه ويقدم نومه على الصلاة.

ب-بعض الناس اليوم تجد أنه يجلس أمام شاشة من الشاشات سواء حاسب آلي أو تلفاز، ثم يعرض أمامه ما حرم الله ولا يستطيع أن يضحي بهذه النظرة لأجل الله فيقدمه على مراد الله، ويستمتع بها -وإن علم أن الله نهى عن ذلك-فيستهين بمراقبة الله له.

ج-بعض الناس عنده مال محرم أو عنده دكان يبيع فيه بعض البضاعة المحرمة ثم يعلم بأمر الله تعالى ويسمع قول الله جل وعلا (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) [البقرة:١٨٥] وقول النبي -ﷺ-: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا)[١]، (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به)[٢].

د-يسمع الآيات والأحاديث تقرع سمعه تصل إلى قلبه ولا يستطيع أن يضحي بهذا المال، ربح يدخل عليه بالمقدار الفلاني أو يجلب إليه الزبائن يبيع دخانًا أو يبيع مجلات فاسدة أو ربما في بعض البلدان يبيع الخمور والمسكرات أو بعض الناس يبتلى ببيع المخدرات، فإذا وعظ وذكر لم يستطع أن يذبح هواه في سبيل الله تعالى.

ر-عنده أموال لا يستطيع أن يقود نفسه للتضحية بها، يقدم هذا المال وهذه الشهوة التي يجمع عليه عقابها وحسابها وربما مات وتركها لغيره ممن لا يرفع كفه داعٍ له بالمغفرة أو بالرحمة.

ز-بعض الناس يكون له منصب في مكان محرم سواء في بنك ربوي أو في غير ذلك من الأعمال التي لا تجوز ويكون له شرف عند قومه ومنصب، ثم يذكر بالله تعالى ويطرق سمعه الأحاديث والآيات ولا يستطيع أن يضحي بهذا المنصب.

س-عنده منصب، عنده مال، عنده جاه، عنده ربما قناة فضائية يملكها يعرض فيها الفحش

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح الترغيب والترهيب

والفجور ومع ذلك إذا وعظ وقيل له: اتقِ الله، لكنه يعلم أنه إنما يجذب الناس إلى قناته ويشهرها ويظهرها بهذه البرامج الفاسدة فلا يستطيع أن يضحي بهذه البرامج. ربما يضع الأمر والنهي والشرع آخر اهتماماته، ولا يلتفت إليها، ينظر فقط إلى نجاح مشروعه، إلى نجاح قناته.

ش-بعض الناس بينه وبين أخيه هجر أو ضغينة ثم يقال له: يا فلان ادحر الشيطان وخيرهم الذي يبدأ بالسلام. اذهب إليه واعتذر عما بدر منك، وأعد المياه إلى مجاريها، واستعذ بالله من الشيطان إن الله يحب الإصلاح والشيطان يحثك على الفساد وعلى الضغينة. فلا يستطيع أن يضحي بعزة نفسه التي ربما ينفخ فيها الشيطان وفي غرور نفسه، فيقول: أنا أذهب أعتذر لفلان، أنا انزل نفسي إلى مستواه، ولا يستطيع أن يضحي، والنبي -عليه الصلاة والسلام-يقول: (يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا)؛ لأن من طبيعة بني آدم الكبر، قال: (فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[1] الذي يضحّي يبدأ بالسلام.

وانت أيها المسلم بم ضحيت ؟؟؟؟؟؟ .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم

مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار

الْحَمد لله الَّذِي دلّ على مَعْرفَته بإتقان صَـنعته، وبديع لطائف حكمته، وَبِمَا أودعهُ نفوس المميزين من أَعْلَام ربوبيته، وَاسْتحق على كل مُكَلّف الخضوع لعظمته، والخشوع لعزته، وَالشُّكْر والإشادة بِمَا أَسْبغ من نعْمَته، وَنشر من رَحمته، وَأشْهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وليّ النعم كلهَا دون من سواهُ، وَأَنه لَا فلاح إِلَّا لمن هداه، وَلَا صَلَاح إِلَّا لمن عصمه من إتباع هَوَاهُ.

وَأشْهد أَنْ مُحَمَّدًا عَبده الَّذِي ارْتَضَاهُ، وَنبيه الَّذِي اخْتَارَهُ واجتباه، وَرَسُوله الَّذِي ائتمنه واصطفاه، وَرَفعه وَأعلاهُ، وَخَصه بِخَتْم النُّبُوَّة وحباه، وأبانه بِأَعْلَى منَازِل الْفضل على كل آدَمِيّ عداهُ، ونسأله أَن يُصَلِّي عَلَيْهِ وعَلى آله وَيسلم أزكى تسلم وَصَلَاة، ويكرمه أتم تكريم وأنباه، ويجعلنا من الآوين إِلَى ظله وذراه، والداعين إِلَى نوره وهداه، ويعصمنا من الْخُرُوج عَن طَاعَته، والولوج فِي مَعْصِيَته، ويوفقنا لإيثار عِبَادَته، ومجانبة عصيانه ومخالفته، وَهُوَ لي الإنعام بذلك، والتيسير لَهُ، والمعونة عَلَيْهِ من رَحمته.

العناصر

أولاً: مفارقات بين مصاحبة الأخيار والأشرار ثانيًا: الترغيب في مصاحبة الأخيار

ثالثاً: صفات أصدقاء الخير ونماذج عليهم رابعًا: الترهيب من مصاحبة الأشرار

خامسًا: صفات أصدقاء الشر ونماذج عليهم

الموضوع

أولاً: مفارقات بين مصاحبة الأخيار والأشرار

الرجل على دين خليله: عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[1]

عن المرء لا تسلْ وسلْ عن قرينه ** فكل قرينٍ بالمقارِن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحبْ خيارَهم ** ولا تصحبِ الأردى فتردَى معَ الرَّدِى

****

اختر لنفسك في مقامك صاحباً ** فإذا صحبت عرفت من ذا تصحب

لا خير في ود امرئ متملق ** حلو اللسان وقلبه يتلهب

---

(١) السلسلة الصحيحة

يعطيك من طرف الكلام حـــــلاوة ** ويروغ عنك كما يروغ الثعلـــــب
يلقي ويحلف إنهُ لك ناصـــــــح ** وإذا تولي عنك فـهو العـــــقرب
ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتـــي ** والنصح أفضـــل ما يباع ويوهـب

****

أنـت فـي الـنـاس تـقـاس ** بـالـذي اخـتـرت خـلـيـلا
فـاصـــحـب الأخـيـار تـعـلـو ** وتـنـل ذكـرًا جـمـيـلا

الأرواح جنودٌ مجندةٌ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)[١]. فإن بعضها يقود إلى الخير، وبعضها يقود إلى الشرّ.

هناك صاحباً يأخذ بيدك إلى الله، وصاحباً آخر يمتعك بزينة الحياة الدنيا: قال تعالى:(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الكهف

المرء مع من أحب: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِى رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)[٢].

ضرب النبي ﷺ مثلاً للجليس الصالح وجليس السوء: فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (مَثَلُ الجليس الصالح وجليس السوء؛ كحامل المسك ونافخ الكِير، فحامل المسك: إما أن يُحْذِيَك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكِير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) [٣] ومعني يُحذِيَك: يُعطيك، ونافخ الكِير: الحداد الذي يصـــهر الحديد وينفخه فيتطاير الشرر.

فهذا الحديث يفيد أن الجليس الصالح جميعُ أحوال صديقه معه خير وبركة، ونفع ومَغْنَم، مثل حامل المسك الذي تنتفع بما معه، إما بهبة، أو ببيع، أو أقل شيءٍ: مدة الجلوس معه وأنت قرير النفس، منشرح الصدر برائحة المسك، وهذا تقريبٌ وتشبيهٌ له بذلك، وإلا فما يحصل من الخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأَذْفَر: فإنه إمَّا أن يعلِّمك أموراً تنفعك في دينك، وإما أن يعلِّمك أموراً تنفعك في دنياك، أو فيهما جميعاً، أو يُهدي لك نصيحةً تنفعك مدة حياتك، وبعد وفاتك، أو ينهاك عمَّا فيه مضرَّةٌ لك؛ فأنت معه دائماً في منفعة، وربحك مضمون - بإذن الله. فتجده إن رأى أنك مقصِّرٌ في طاعة الله؛ أرشدك، فتزداد همَّتك في الطاعة، وتجتهد في الزيادة منها، وتراه

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه

يبصِّرك بعيوبك، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، بقوله وفعله وحاله، وأقل نفعٍ يحصل من الجليس الصالح: انكفاف الإنسان بسببه عن السيئات والمساوئ والمعاصي؛ رعايةً للصحبة، ومنافسةً في الخير، وترفُّعاً عن الشرِّ. ومما يستفاد من الجليس الصالح: أنه يحمي عِرْضَك في مغيبك وفي حضرتك، يدافع ويذبُّ عنك، ومن ذلك أنك تنتفع بدعائه لك حياً وميتاً.

أما مصاحبة الأشرار: فهي السمُّ النَّاقع، والبلاء الواقع، فتجدهم يشجعون على فعل المعاصي والمنكرات، ويرغِّبون فيها، ويفتحون لمن خالطهم وجالسهم أبواب الشرور، ويزيِّنون لمجالسيهم أنواع المعاصي، ويحثُّونهم على أذيَّة الخلق، ويذكِّرونهم بأمور الفساد، التي لم تَدُرْ في خَلَدِهم، وإن همَّ أحدهم بتوبةٍ وابتعد عن المعاصي، حسَّنوا عنده تأجيل ذلك، وطولَ الأمل، وأن ما أنت فيه أهون من غيره، وفي إمكانك التوبة والإنابة إذا كبرت في السن، وما يحصل من مخالطتهم ومعاشرتهم أعظم من هذا بكثير.

البطانة الصالحة والفاسدة: عن أبي سعيد الخدري: عن النبي ﷺ قال (ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله) (١) [ومعنى (خليفة) هو من يقوم مقام الذاهب ويسد مسده من الحكام والأمراء والقضاة والولاة. (بطانتان) مثنى بطانة وبطانة الرجل خاصته وأهل مشورته في الأمور. (تحضه) تحثه على فعله وتؤكد عليه فيه. (المعصوم) المحفوظ من شر بطانة السوء والوقوع فيما يجر إلى الهلاك]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه)(٢)

لا يستوي الخبيث والطيب: قال تعالى: (قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة: ١٠٠]

واختر من الأصحاب كل مرشد ** إن القرين بالقرين يقتدي
وصحبة الأشرار داء وعمى ** تزيد في القلب السقيم السقما
فإن تبعت سنة النبي ** فاجتنب قرناء السوء

حال هؤلاء الجلساء وبراءة بعضهم من بعض في الآخرة: قال تعالى:(الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)[الزخرف:].

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح الترغيب والترهيب

أنواع الأصدقاء: وقد حصر الإمام ابن القيم أنواع الأصدقاء فقال: (الأصدقاء ثلاثة، الأول: كالغذاء لا بد منه، والثاني: كالدواء يحتاج إليه وقت دون وقت، والثالث: كالداء لا يُحتاج إليه قط)، فالأول هو الجليس الصالح، والثالث هو الجليس السوء، والثاني هو الجليس الذي به بعض صفات السوء ولكن يُرتجى منه الخير.

الصداقة ليست في الأشخاص فحسب : وإنما هي كذلك في كل ما تجلس إليه وتقضي وقتا معه كالكمبيوتر والمحمول والكتاب والانترنت وغيرهم .....

ثانياً: الترغيب في مصاحبة الأخيار

من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ-قَالَ (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)[١].

يحبهم الله تعالى : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ-(أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِى فِى هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لاَ غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ فَإِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)[٢]، ومعنى المدرجة: الطريق، ترب: تحفظ وتراعى وتربى

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-(إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِى الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِى ظِلِّى يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّى)[٣].

لا يشقى بهم جليسهم: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ (إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِى الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ وَمَاذَا يَسْأَلُونِى قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِى قَالُوا لاَ أَىْ رَبِّ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِى قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِى قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَارِى قَالُوا لاَ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِى قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ -قَالَ -فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا -قَالَ -فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح مسلم (٣) متفق عليه

إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)[١].

كونوا مع الصادقين: قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة

الأمر بنكاح المرأة الصالحة: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[٢]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ (الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)[٣].

الدخول ضمن الذين لا خوف عليهم يوم القيامة ولاهم يحزنون: قال تعالى:(الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ، يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)(الزخرف: ٦٧، ٦٨)

من جالس الصالحين تشمله بركة مجالسهم : ويعمه الخير الحاصل لهم وان لم يعمل عملهم، قال بعض الحكماء: (من جالس خيرا أصابته بركته فجليس أولياء الله لا يشقى وان كان كلبا ككلب أصحاب الكهف)

تنتفع بدعائهم لك بظهر الغيب في حياتك وبعد مماتك: عَنْ صَفْوَانَ -وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ - وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِى مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ فَقُلْتُ نَعَمْ. قَالَتْ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- كَانَ يَقُولُ (دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ)[٤]، وقال عبيد الله بن الحسين - رحمه الله - لرجل (استكثر من الصديق - يعني الصالح - فان أيسر ما تصيب أن يبلغه موتك فيدعو لك)

ثالثاً: صفات أصدقاء الخير ونماذج عليهم

المؤمن التقي: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع النبي -ﷺ- يقول لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي)[٥]

يذكرك بالله: عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَدَّثَهُ قَالَ نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِى الْغَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَقَالَ (يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)[٦].

يوصيك بحسن الخلق بحسن الخلق: وذلك ببثّ فضائل حسن الخلق، وبالتحذير من مساوئ الأخلاق، وبنصح المبتلين بسوء الخلق، وبتشجيع حسني الأخلاق، فحسن الخلق من الحقّ،

---

(١)صحيح مسلم
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) متفق عليه

سبحانه يقول: وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر: ٣].

وكان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ [العصر: ١]، ثم يسلم أحدهما على الآخر (١).

والربح الحقيقي للمسلم أن يكون له ناصحون ينصحونه، ويوصونه بالخير والاستقامة، فإذا حسنت أخلاق المسلم، كثر مصافوه، وأحبه الناس.

لا تصحب الكسلان في حالاته ** كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ** كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

يدعوا لصاحبه بالرحمة والخير: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ (يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِى كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا)(٢).

يعين على قيام الليل: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ- : (رحم الله رجلا قام من الليل يصلي وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء) (٣)

يعين على زيارة المرضى: إن المرء بزيارته إخوانه في الله يطيب بنفسه ويطيب ممشاه ويتبوأ منازل عظيمة في الجنة فعن أبي هريرة أيضا ﷺ قال قال رسول الله -ﷺ- من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا)(٤)

يبصرك بعيوبك ويدلك على اوجه الضعف عندك : عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:(المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن؛ يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه)(٥)، أي يمنعه ضياعه وهلاكه فيجمع عليه معيشته ويضمها إليه، ويذب عنه ويوفر عليه مصالحه

يشفع لك عند الله تعالى يوم القيامة: عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قال قال رسول الله -ﷺ- (.....حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِى اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِى النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِىَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) السلسلة الصحيحة

نَـذَرْ فِيهَـا أَحَـدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَـا. ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِـهِ مِثْقَـالَ نِصْـــفِ دِينَـارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَـا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِـهِ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَـأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَـا لَمْ نَـذَرْ فِيهَـا خَيْرًا.....)[1]

الجليس الصالح: يبعدك عن المعصية ويرشدك ويدللك على أمور من أمور الخير التي ينفعك العلم بها ويحفظك في حضـرتك وغيبتك فلا يفشـي لك سـرا ولا ينتهك لك حرمة ويحثك على أعمال البر والإحسان وصلة الرحم وبر الوالدين وصدق الحديث والعفاف والحفاظ على الصلاة والصيام وذكر الله تعالى ومصـاحبة الصـالحين والتنافس في الخير وحضـور مجالس العلم ويتفقد أحوالك وكل ما فيه خير .....

نماذج على مصاحبة الأخيار

أصـحاب الكهف: قال تعالى :(أَمْ حَسِـبْتَ أَنَّ أَصْـحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِـنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَـى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَـةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) سورة الكهف

أبو بكر: أمر الله سـبحانه و تعالى المسـلمين بالمحبة و المودة و التراحم و الأخوة الصـادقة فيما بينهم، فكان أبو بكر الصديق خير من جسد و طبق هذه الأوامر و التعاليم في حبه للرسول -صلى الله عليه و سلم - فقد كان أبو بكر الصديق يحب الرسول أكثر من حبه لنفسه و ولده و ماله، و كان رفيقه في السـراء و الضـراء و حين تشـتد المصـاعب، حيث رافقه بالهجرة و لم يكترث للمخاطر الشديدة التي قد تلحق به من قريش لو أدركوه هو و صاحبه، و كان أبو بكر يخشى على الرسول - صـلى الله عليه و سـلم- و يفتديه بنفسـه فيتقدم الطريق قبله و يدخل الغار قبله حتى يتلقى عنه أي مفاجئة أو أي مكروه من الممكن أن يصـادفهما . ومن شـدة حبه للرسـول -ﷺ- كان أول من أسـلم وأول من صدق الرسول في كل كلمة قالها ومن شدة حبه أيضا خدم الإسلام بإخلاص وتفاني لم يكن له، مثيل فكان خير صديق لخير الأنبياء .....

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله -ﷺ- (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له

---

(١) صحيح مسلم

عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة و) ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن صاحبكم خليل الله)[١]

الصحابة رضى الله عنهم: عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ قَالَ:)لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَ اللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً، وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) [٢]

هذه حقيقة، ذلك أن النفس تتأثر بما حولها، عش مع التجار تتمنَّ أن تكون تاجراً، عش مع مدرسي الجامعات تتمنَّ أن تكون مثلهم، عش ــ لا سمح الله ولا قدر ــ مع فاسق، إذا أدمنت العلاقة معه قد تشتهي أن تكون مثله، هنا مشكلة الإنسان، البيئة خطيرة جداً، لذلك كأن الله يقول:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ)ثم يبين طريقة التقوى:(وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

فما لم تُحِط نفسك بالمؤمنين الصادقين، بالمستقيمين بالأتقياء فلن تستطيع أن تطيع الله عز وجل، لذلك تعد صحبة الأخيار في حد ذاتها عملاً صالحاً.

رابعاً: الترهيب من مصاحبة الأشرار

النهى عن الجلوس معهم: حذَّرنا الله من مجالسة أهل السوء، ونهانا عن الجلوس في مجالسهم التي تنتهك فيها الحرمات، فقال سبحانه:(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)[النساء: ١٤٠].

وقال تعالى:(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آَيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[الأنعام: ٦٨]. وقال تعالى (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)سورة الانعام

---

(١) صحيح الجامع

(٢) صحيح مسلم

إيَّاكَ وَإِخْوَانَ السُّـــوءِ: عَنِ الْخَطَّابِ بْنِ الْمُعَلَّى الْمَخْزُومِيِّ، أَنَّـهُ وَعَظَ ابْنَـهُ، فَقَـال: (إِيَّـاكَ وَإِخْوَانَ السُّوءِ فَإِنَّهُمْ يَخُونُونَ مَنْ رَافَقَهُمْ، وَيَخْرُفُونَ مَنْ صَادَقَهُمْ، وَقُرْبُهُمْ أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ، وَرَفْضُهُمْ مِنِ اسْـتِكْمَالِ الأَدَبِ، وَالْمَرْءُ يُعْرَفُ بِقَرِينِهِ. قَالَ: وَالإِخْوَانُ اثْنَانِ فَمُحَافِظٌ عَلَيْكَ عِنْدَ الْبَلاءِ وَصَـدِيقٌ لَكَ فِي الرَّخَاءِ، فَاحْفَظْ صَدِيقَ الْبَلِيَّةِ وَتَجَنَّبْ صَدِيقَ الْعَافِيَةِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَى الأَعْدَاءِ).

الحســرة يوم القيامة: قال تعالى:(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُـولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩))[الفرقان: ٢٧].

اعتزل ســيدنا ابراهيم مجالس قومه: قال تعالى(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَـــى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَـــقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْـــحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠))سورة مريم

وهكذا من يترك مجالس الأشـقياء يكافئه الله تعالى أحسـن مكافأة، ولا يخفى علينا الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا

فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِىَّ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَـــأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَـــمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِى صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِى أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ)[١]. قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ.

طلب سيدنا موسى من الله أن يفرق بينه وبين الفاسقين: قال تعالى (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِـــي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِـــقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَـــنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)سورة المائدة

---

(١) متفق عليه

كل حالات الهلاك والدمار التي تصيب الشباب من رفاق السوء: يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: هناك دراسة علمية أن الشاب يتلقى تأثيره ممن؟ من أبيه، من أمه، من أخوته الكبار، من أخوته الكبيرات، من معلميه، من شيخ المسجد، هذه مصادر التوجيه والتأثير، كل هؤلاء لا يزيد تأثيرهم عن أربعين بالمئة، والصاحب وحده تأثيره في ابنك يقدر بستين بالمئة، كل هؤلاء، الأب، والأم، والأخ الكبير، والأخت الكبيرة، والمعلم، والشيخ، كلهم في مجموعهم تأثيرهم في الشاب ٤٠% بينما صاحبه تأثيره ٦٠%، مرة ثانية كل حالات الهلاك والدمار التي تصيب الشباب من رفاق السوء.

ومرة قرأت قصة شاب من بلد عربي، صاحب شاباً منحرفاً، دله على القمار، ثم دله على الزنا، ثم صاحب آخراً فدله أن يعمل عميلاً في دولة محتلة في أفغانستان، ثم اتهم بالخيانة، ثم أُعدم، من أين بدأت؟ من صاحب، لو تتبعت حالات الدمار تبدأ من صاحب سوء، لذلك أيها الأخوة، أخطر شيء بحياتك من تصاحب، وأخطر شيء بتربية أولادك من هم أصدقاء أولادك، ومن هم صديقات بناتك، والمؤمن العاقل لا يدع قضية الصداقة قضية جانبية عفوية لا تأثير لها، هذا أخطر موضوع يعالجه الأب مع أولاده.

مصير السيئين إلى دار البوار، جهنم يصلونها وبئس القرار: قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)[النساء: ١٤٠]

التلاعن فيما بينهم يوم القيامة: قال تعالى: (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) الأعراف.

جليس السوء سبب للعذاب الأليم، وخسارة الدنيا والآخرة : قال تعالى:(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥))[فصلت: ٢٥]

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليمًا حين يلقاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه

خامساً: صفات أصدقاء الشر ونماذج عليهم

يفتنك عن دين الله تعالى: قال تعالى (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَ

ا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)) سورة الإسراء

وقال تعالى (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦)وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)الصافات

قال السعدي في تفسيره: لما ذكر تعالى نعيمهم، وتمام سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به.

و (يَقُولُ) لي (أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ) أي: مجازون بأعمالنا؟ أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابا وعظاما، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا؟)أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمنا مصدقا، وهو ما زال مكذبا منكرا للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلت أنا إلى ما ترون، من النعيم، الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك، أنه قد وصل إلى العذاب، فـ (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) لننظر إليه، فنزداد غبطة وسرورا بما نحن فيه، ويكون ذلك رَأْيَ عين؟ والظاهر من حال أهل الجنة، وسرور بعضهم [ص ٧٠٤] ببعض، وموافقة بعضهم بعضا، أنهم أجابوه لما قال، وذهبوا تبعا له، للاطلاع على قرينه، (فَاطَّلَعَ) فرأى قرينه (فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) أي: في وسط العذاب وغمراته، والعذاب قد أحاط به، فـ (قَالَ) له لائما على حاله، وشاكرا لله على نعمته أن نجاه من كيده: (تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) أي: تهلكني بسبب ما أدخلت عليَّ من الشُّبَه بزعمك. (وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي) على أن ثبتني على الإسلام (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) في العذاب معك.

يزينون الباطل ويحببونه لغيرهم: قال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) سورة الأنعام

يصدون غيرهم عن كل طريق فيه خير: عن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله -ﷺ- قال: إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال له : تسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم فغفر له فقعد له بطريق الهجرة فقال له : تهاجر وتذر أرضك وسماءك فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال له : تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد فقال رسول الله -ﷺ- : (فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو قتل كان حقا

على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة)[١]

دعاة على أبواب جهنم: عن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قال كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِى جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ (نَعَمْ) فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ (نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ). قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ (قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِى وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ). فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ (نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا). فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ (نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا). قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِى ذَلِكَ قَالَ (تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ). فَقُلْتُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ قَالَ (فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ) [٢].

هم شر الناس: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِى يَأْتِى هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ)[٣].

هو الفاجر الذي يضرك في كل شيء: عَنْ وَدِيعَةَ الأَنْصَارِيّ، قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، يَقُولُ وَهُوَ يَعِظُ رَجُلا: (لا تَتَكَلَّمْ فِيمَا لا يَعْنِيكَ، وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ، وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلا الأَمِينَ، وَلا أَمِينَ إِلا مَنْ يَخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُطِيعُهُ، وَلا تَمْشِ مَعَ الْفَاجِرِ فَيُعَلِّمُكَ مِنْ فُجُورِهِ وَلا تُطْلِعْهُ عَلَى سِرِّكَ وَلا تُشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ إِلا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ) [٤].

رؤيته تذكر بالمعصية : سواء كانت ظاهرة عليه أو خفية وكنت تعرف ذلك منه فتخطر المعصية في بال المرء بعد أن كان غافلا أو متشاغلا عنها فعن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي -ﷺ- خيار عباد الله الذين إذا رءوا ذكر الله وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب)[٥]

يصلك بأناس سيئين يضرك الارتباط بهم وقد يكونون اشد انحرافا وفسادا.

يخفي عنك عيوبك ويسترها عنك ويحسن لك خطاياك ويخفف وقع المعصية في قلبك.

تحرم بسببه من مجالسة الصالحين وأهل الخير لانهماكك معه في الشهوات والملذات ويحذرك من مجالستهم فيفوتك من الخير والصلاح بقدر بعدك عنهم

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح مسلم
(٤) العزلة للخطابي
(٥) صحيح الترغيب والترهيب

الذي يجالس أهل السوء يقارن أفعاله السيئة بأفعالهم فيستقل سيئاته

بجنب سيئاتهم فيكون ذلك سببا في زيادة طغيانه وانحرافه وتقصيره في الأعمال الصالحة وعلى الأقل يصاب بالعجب بما هو عليه والعجب مرض مهلك، جليس السوء مضرة على صاحبه من كل وجه وشؤم عليه في الدنيا والآخرة ومن أضراره

صحبته ومؤاخاته عرضة للزوال عند وجود أدنى خلاف أو تغيير مصلحة بل وتحصل البغضاء بدون ذلك قال عبد الله بن المعتز ــ رحمه الله ــ (إخوان السوء ينصرفون عند النكبة ويقبلون مع النعمة) ، قال أبو الحسن التهامي ـــ رحمه الله: شيئان ينقشعان أول وهلة ظل الشباب وخلة الأشرار ، وقال ابن حبان ــ رحمه الله ــ (العاقل لا يصاحب الأشرار لان صحبة السوء قطعة من النار تعقب الضغائن لا يستقيم وده ولا يفي بعهده)

مجالس أهل السوء لا تخلو من ا لمحرمات والمعاصي كالغيبة والنميمة والكذب واللعن ونحو ذلك فربما يوافقهم جليسهم فيما هم فيه أو ينكر عليهم لكن لا يفارق مجلسهم فيقع في الإثم .

في مجالستهم تضييعا للوقت الذي سيحاسب العبد على التفريط فيه يوم القيامة

أنك به تعرف ويساء بك الظن من اجل صحبتك له : قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ (وبالجملة فمصاحبة الأشرار مضرة من جميع الوجوه على من صاحبهم وشر على من خالطهم فكم هلك بسببهم أقوام وكم أقادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون) ، وقال أبو الأسود الدؤلي ـ رحمه الله ـ (ما خلق الله خلقا أضر من الصاحب السوء)

فعلى العاقل الناصح لنفسه الذي يريد لها النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة أن يتجنب مخالطة هؤلاء ويفر منهم غاية الفرار ولا يتهاون في ذلك

نماذج على مصاحبة الأشرار

فرعون وهامان: قال تعالى (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)سورة القصص

أبو طالب وأَبَو جَهْلٍ وابن الْمُغِيرَةِ: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِى أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-(يَا عَمِّ قُلْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ. كَلِمَـةً أَشْـهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ). فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ

أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ). فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ). وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِى أَبِى طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- (إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). [١]

أبو معيط ورفقاءه بمكة: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن أبا معيط كان يجلس مع النبي -ﷺ- بمكة لا يؤذيه وكان رجلا حليما وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش: صبأ أبو معيط وقدم خليله من الشام ليلا فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمرا. فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبا فبات بليلة سوء فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية. فقال: مالك لا ترد على تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت، قال: أوقد فعلتها قريش؟ قال: نعم قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم ففعل فلم يزد النبي -ﷺ- أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال: (إن وجدتك خارجا من جبال (مكة) أضرب عنقك صبرا) فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج فقال له أصحابه : اخرج معنا قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجا من جبال (مكة) أن يضرب عنقي صبرا فقالوا : لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وحل به جمله في جدد من الأرض فأخذه رسول الله -ﷺ- أسيرا في سبعين من قريش وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء ؟ قال: (نعم بما بزقت في وجهي) فأنزل الله في أبي معيط (ويوم يعض الظالم على يديه) إلى قوله (وكان الشيطان للإنسان خذولا) [الفرقان : ٢٧ - ٢٩])[٢]

أيها المسلمون: من صاحب الأخيار نال من خيرهم في الدنيا والآخرة وعلى النقيض من ذلك فان من صاحب الأشرار كان مثلهم فأمامك الطريقين فاختر أيهما تسلك؟ .....

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح السيرة النبوية للألباني

الشائعات الهدامة وخطرها على الفرد والمجتمع

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته وتعزز بعلو أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفائه عن كل تناه وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده

يا واحد في ملكه أنت الأحد ** ولقد علمت بأنك الفرد الصمد

لا أنت مولود ولست بوالد ** كلا ولا لك في الورى كفوا أحد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

هذا النبي محمد خير الورى ** ونبيهم وبه تشرف آدم

وله البها وله الحياء بوجهه ** كل الغنى من نوره يتقسم

يا فوز من صلى عليه فانه ** في جنة المأوى غدا يتنعم

صلى عليه الله جل جلاله ** ما راح حاد باسمه يترنم

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولاً: تعريف الشائعة ثانياً: أسباب انتشار الشائعات

ثالثاً: كيف عالج الإسلام الشائعات؟ رابعاً: قصص ونماذج الشائعات ومفاسدها

الموضوع

أولًا: تعريف الشائعة

الشائعة: مصدر أشاع، وشاع الخبر في الناس شيوعا، أي: انتشر وذاع وظهر.

وقيل: وهي الأخبار التي لا يُعلم من أذاعها. فلو سألت من ينقل الشائعة عن مصدرها سيقول لك قالوا زعموا، وقيل: وهي نشر الأخبار التي ينبغي سترها، لأن فيها إيذاء للناس.

وقيل: هي مجموع سلوكيات خاطئة سريعة الانتشار، تُثِير البَلْبلة والفتنة في المجتمع.

وقيل: هي معلومة ضَالَّة مُضَلِّلة تَصْدُر من فردٍ، ثم تنتقل إلى أفراد، ثم إلى المجتمع، فهي محمولة

على الضلال، وهي مجموعة أخبار مُلَفَّقة تعمل على نشر الفوضى بين الناس.

وقيل: هي رواية مُصْطَنَعة يَتِمُّ تَناوُلُها بأيِّ وسيلة متعارف عليها، دونَ النظر لمصدرها.

ثانياً أسباب انتشار الشائعات

إتباع الهوى : فقال تبارك وتعالى:(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [سورة الجاثية: الآية ٢٣]

وقال جل وعلا:(وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)سورة ص، والمقصود بالهوى هوى النفس الأَمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فصاحب الهوى يعمل على نشر ما يوافق هَوَى نفسِه، ولو كان على حساب إلحاق الضرر بغيره، فهو لا يهمه إلا مصلحة نفسه فقط، وإشباع غريزته السيئة، ولا يهمه ما يحصل بعد ذلك من خطر على البشر، ولهذا أنكر الله جل وعلا على من هذا صنيعه.

الجهل بعواقب الأمور: فمن أراد أن يقدم على عمل لا بد أن يكون عنده بُعْدُ نظرٍ ليعلم ما يمكن أن يُؤدِّيَ إليه هذا العمل من المفاسد.

النفاق: إن النفاق سبب من أسباب الإرجاف، قال جل وعلا في الآية:(لَئِن لَّمْ يَنتَهِ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلا قَلِيلًا) الأحزاب.

(هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[سورة المنافقون: الآية ٤] فهم أهل إرجاف وكذب وبهتان، يُخْفُون ما لا يُبْدُون، والحقيقة أن هذه الشائعات المغرضة إنما تصدر ممن لا خلاق له.

الفراغ :إنَّ الفراغ القاتل يؤدي بلا شك إلى ترويج الشائعات بطرق ووسائل مختلفة، ومن هذه الطرق وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت والجوال ويكون ذلك بغرض التسلية والتهكم، فعن ابن عباس ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ:)نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ) [1]

الرغبة في حب الظهور :وهو من الحيل التي يلجأ إليها ضعاف النفوس من أجل إبراز أنفسهم على حساب الآخرين، فيعمل الواحد منهم على إبراز نفسه بنشر هذه الشائعات وإن كان فيها ضرر على غيره نتيجة لِمَا يعانيه من الفشل في حياته العامة، مُعْتَقِدًا أن ذلك يُعوِّض ما يشعر به من نقص، ولا شك أن هذا اعتقاد غير صحيح، ومسلك باطل، فرحم الله امْرَءًا عرَف قَدْر نفسه.

الشعور بالكراهية للآخرين :إن الشعور بالكراهية للآخرين وخاصة مَن لهم نفوذ ومكانة في المجتمع سبب في زرع الشائعات، فيعمل مُرَوِّج الشائعة على نشرها من باب الكراهية والبغضاء لذلك الإنسان ذي النفوذ حتى يسيء إلى سمعته بين الناس، وذلك لِمَا يَرَى عليه من نِعَم الله من

---

(١) صحيح البخاري

المكانة والمنزلة، وهذا يعد من باب الحسد على هذه النعمة، فيأخذ في ترويج الشائعات الكاذبات عنه حتى يسيء إلى سمعته، ويكون هذا أحيانا من باب الانتقام لنفسه بإلحاق الضرر بأخيه.

ثالثاً: كيف عالج الإسلام الشائعات؟

عدّ الإسلام ذلك سلوكا مرذولاً، منافيا للأخلاق النبيلة: والسجايا الكريمة والمثل العليا التي جاءت بها وحثت عليها شريعتنا الغراء من الاجتماع والمحبة والمودّة والإخاء، والتعاون والتراحم والتعاطف والصفاء، وهل الشائعة إلا نسف لتلك القيم ومعول هدم لهذه المثُل؟!

حذر الإسلام من الغيبة والوقيعة في الأعراض والكذب والبهتان والنميمة، بين الناس، وهل الشائعة إلا كذلك؟

أ-حذر من الغيبة : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ). قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِى أَخِى مَا أَقُولُ قَالَ (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) [١]. وقال تعالى:(وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا)[سورة الحجرات: الآية ١٢]

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: قُلْتُ للنبيّ -ﷺ-: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكذَا. قَالَ بعضُ الرواةِ: تَعْنِي قَصيرَةً، فقالَ:)لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!) قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إنْسَاناً فَقَالَ: (مَا أُحِبُّ أنِّي حَكَيْتُ إنْساناً وإنَّ لِي كَذَا وكَذَا) [٢] ،

ومعنى:)مَزَجَتْهُ) خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ ننتنها وَقُبْحِهَا. وهذا الحَديثُ مِنْ أبلَغِ الزَّواجِرِ عَنِ الغِيبَةِ، قَالَ الله تَعَالَى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى)

ب-حذر من النميمة : فقال تعالى:(وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) سورة القلم: الآية ١٠ – ١١

وعن حُذَيْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ) [٣]

والقتات الذي ينقل الكلام من شخص إلى شخص، أو من قَوْم إلى قَوْمٍ على سبيل الإفساد.

ج-حذر من الكذب : فقال تعالى:(إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ)

د-الوعيد الشديد لمن يروّج الإشاعات بين الناس: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) النور

وقال تعالى:(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)

وقال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)البروج.

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح سنن أي داود (٣) متفق عليه

ر-الإنسان مسئول أمام الله عز وجل ومحاسب عن كل صغير وجليل: قال تعالي (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق:١٨] ، وقال تعالى :(إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) النور، وقوله تعالى:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[المجادلة: ٧]

وقوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)آل عمران

عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) (١).

ويصف النبي ﷺ في رؤيته حال المُعَذَّبين من أهل الكذب فيقول: عن سمرة بن جندب ﷺ قال قال النبي ﷺ (رأيت الليلة رجلين أتياني قالا لي الذي رأيته)الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالكِذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ) (٢)

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له)(٣)

إرجاع الأمر لأهل الاختصاص: يقول الله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) النساء

التثبت من الأخبار: قال الله عز وجل:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)سورة الحجرات ومعنى تبينوا: تثبتوا.

أ-سيدنا سليمان عليه السلام: قال تعالي وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ *لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ *فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)سورة النمل

ب-عمر بن الخطاب ﷺ : كان عمر يقول لمن قال له كلاماً من باب المزيد من التثبت: والله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا؛ فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ قُلْتُ: اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ فَقَالَ: وَاللهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح مسلم

أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلاَّ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَكُنْت أَصْغَرَ الْقَوْمِ؛ فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ) (١)

تأكيد الأمر بالقسم عليه: عن أنس بن مالك يقول: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي ﷺ (قد أجبتك). فقال الرجل للنبي ﷺ إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك. فقال (سل عما بدا لك). فقال أسألك بربك ورب من قبلك الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال (اللهم نعم). قال أنشدك بالله الله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال (اللهم نعم). قال أنشدك بالله الله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال (اللهم نعم). قال أنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ (اللهم نعم). فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر) (٢)

[ش (فأناخه في المسجد) أبركه في رحبة المسجد. (عقله) ثنى ركبته وشد حبلا على ساقه مع ذراعه. (متكئ) مستو على وطاء وهو ما يجلس عليه. (بين ظهرانيهم) بينهم وربما أدار بعضهم له ظهره وهذا دليل تواضعه ﷺ. (ابن عبد المطلب) يا بن عبد المطلب. (قد أجبتك) سمعتك. (تجد) تغضب. (أنشدك) أسألك. (هذا الشهر) أي رمضان. (الصدقة) أي الزكاة. (رسول) مرسل. (أخو بني سعد) واحد منهم]

علماء الحديث: كان علماء الحديث يتثبتون من الرواة، يستعينون بالقرائن، يسألون الشخص أكثر من مرة، وفي أكثر من موقف.

أ-قال حسان بن زيد: لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ نقول للشخص: سنة كم ولدت؟ فإذا أخبر بمولده عرفنا كذبه من صدقه.

ب-قال بعضهم: سمعت عطاء وقد سئل عن كذا وكذا فقال له أحد الرواة: في سنة كم؟ أحد الرواة عامر بن أبي عامر يروي عن عطاء، فقال له المحدث: سنة كم؟ قال: في سنة أربع وعشرين، فقال: عطاء مات سنة بضع عشرة، معنى ذلك أنه كذاب، يحدث عن الشيخ بعد وفاة الشيخ، سمع من الشيخ بعد وفاة الشيخ؛ ولذلك قال الآخر للراوي الآخر: تروي عن محمد بن أبي يعقوب وقد مات قبل أن تولد بتسع سنين؟!.

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح مسلم

وهكذا اكتشـــف كذب الخِطاب الذي أعده بعض اليهود وقدمه إلى بعض الخلفاء زاعماً أن النبي ﷺ أســـقط الجزية عن يهود خيبر، فجاء الخطيب البغدادي وهو لها، أنعم وأكرم، عالم أهل الحديث، فنظر في الرسالة المزعومة المزورة، قال: هذا الخطاب فيه شاهد معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن أسلم يوم خيبر، أسلم بعد خيبر، فكيف يشهد على خطاب كتب يوم خيبر فيه زعم أن الجزية أسقطت عن يهود خيبر، قال: وفيه شـــهادة ســـعد بن معاذ وقد مات ســـعد قبل خيبر، في عام الخندق ســـنة خمس فكيف يشهد على شيء جرى في خيبر؟ فأعجب الناس بذلك وانكشف كذب اليهود

ج-شـــعبة جعل يتتبع حديثاً من رجل إلى رجل، حدثه إســـرائيل بحديث عن أبي إســـحاق، يذهب إلى أبي إسـحاق من حدثك؟ قال: سـمعته من عبد الله بن عطاء عن عقبة، أين عبد الله بن عطاء؟ بمكة، يرحل شـــعبة من البصـــرة إلى مكة، قال: لم أرد الحج، أردت الحديث، ســـألت عبد الله بن عطاء من حدثك؟ قال: ســـعد بن إبراهيم حدثني، أين ســـعد بن إبراهيم؟ بالمدينة، يســـافر شـــعبة إلى المدينة ويرحل فيقول لســـعد بن إبراهيم: من حدثك؟ قال: زياد بن مخراق من عندكم من العراق، فقلت: أي شـــيء هذا الحديث، بينما هو كوفي إذ صـــار مكياً إذ صـــار مدنياً إذ صـــار بصـــرياً، فأتيت البصـــرة، فسألت زياد بن مخراق عن الحديث من حدثك؟ قال: ليس هذا من بابك، يعني ليس الحجرات:، قلت: لا بد أن تخبرني، قال: حدثني شـهر بن حوشـب عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر الصـحابي، فلما ذكر شهر بن حوشب وكان راوياً مخلطاً فيه ضعف، قال شعبة: دمَّر علي هذا الحديث، لو صح لكان أحب إلي من أهلي ومالي ومن الناس أجمعين، وهكذا من واحد إلى واحد، كم اسـتغرقت الرحلة، كم اســتغرقت رحلة شــعبة للتأكد من حديث واحد؟ واليوم نحن نروي وننقل في ثواني، وهكذا ترســل رسائل البريد الإلكتروني في ثواني، وننشر الإشاعات والأخبار غير الصحيحة، والأخبار المكذوبة، والتي ليس في نشرها مصلحة للإسلام، فلنتوقى هذا.

لقد حَذَّرنا الله من نقل الخبر بدون التثبت : فقال:(أَن تُصِيبُوا)أي: لئلا تصـيبوا. فالتسـاهل في نقل خبر سببًا لإصابة الآخرين، ويكون فيه ضرر لهم، سواء شعرت أم لم تشعر، والله عز وجل حذرنا من أذية المؤمنين، قال تعالى:(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَـــبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) الأحزاب

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُول الله -ﷺ-: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ) [1].

ومعنى ما لا يعنيه: ليس منه فائدة، وقال تعالى:(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

(١) صحيح سنن الترمذي

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) الإسراء ، وقال جل من قائل:(مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[سورة ق: الآية ١٨] ، وقال تبارك وتعالى:(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) الانفطار)

أن يقدم المسلم حسن الظن بأخيه المسلم: قال الله تعالى: (لَّوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ) [سورة النور:١٢]. والشائعات مبنية على سوء الظن بالمسلمين، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات:١٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) [(١)].

البعد عن الذين يخوضون فيما حرم الله: قال تعالى:(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ)

سورة الأنعام

المنافق هو من يشيع الفاحشة: قال جل وعلا مُتوَعِّدًا هؤلاء:(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)) الأحزاب)

رابعاً: قصص ونماذج الشائعات ومفاسدها

سيدنا نوح عليه السلام: رماه قومه بالضلال والجنون قال الله تعالى حكاية عنهم:(إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) [سورة الأعراف ٦٠] ، وفي موضع آخر: نوح يقال له: مجنون :قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) القمر.

سيدنا هود عليه السلام: اتَّهَمه قومُه بالسفاهة والكذب قال الله تعالى حكاية عنهم:(إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ)[سورة الأعراف: الآية ٦٦] حتى وصل بهم الأمر إلى أن اتهموه في عقله – عياذا بالله – يقول الله جل وعلا حكاية عنهم أيضًا:(إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ)سورة هود

سيدنا موسى عليه السلام: قالوا عنه: ساحر. وقد حكي الله جل وعلا وذكر ذلك على لسان فرعون:(إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)سورة الشعراء

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (إنَّ موسى - عليه السلام - كان رجلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا، لا يُرى من جلده شيء؛ استحياءً منه، فأذاه مَن أذاه من بني إسرائيل، وقالوا ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده: إمَّا برص، وإمَّا أَدرَة، وإمَّا آفة، وإنَّ الله أراد أن يُبَرِّئه مما قالوا، وأنَّ موسى -

(١) متفق عليه

عليه السلام - خلا يومًا وحْدَه، فوضع ثيابَه على حجر، ثم اغتسلَ، فلما فَرَغَ أقبل إلى ثيابه؛ ليأخذها، وإنَّ الحجرَ عدا بثوبه، فأخذ موسى - عليه السلام - عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثَوْبي حَجَرُ، ثَوْبي حَجَرُ، حتَّى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرَأَوْه عُريانًا أحسنَ ما خَلَقَ الله، وأبرأه مما يقولون، وقَامَ الحجَرُ، فأخذ ثوبه فلبسه، وطَفِقَ بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله ، إنَّ بالحجر لندبًا من أثر ضربه، ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا، فذلك قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا...) [الأحزاب: ٦٩][1]

السيدة مريم عليها السلام: تشكك الشائعات المغرضة فيه وفي أمة الصديقة: (يَأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً) [مريم:٢٨].

سيدنا يوسف عليه السلام: نموذج من نماذج الطهر والنقاء ضد الشائعات المغرضة التي تمس العرض والشرف، قال تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَٱلْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف:٢٤].

سيدنا محمد ﷺ

أ-فقد رُميت دعوته المباركة بالشائعات منذ بزوغها: فرُمي بالسحر والجنون والكذب والكهانة، وتفنن الكفار والمنافقون الذين مردوا على النفاق في صنع الأراجيف الكاذبة، والاتهامات الباطلة ضد دعوته، فما أرجعَ أصحابَ الهجرةِ الأولى إلى الحبشة منها إلى مكة إلا شائعة، وما صدَّ الناسَ عن النبي -ﷺ- في مكة إلا شائعة.

ب-سرت إشاعة في المجتمع المدني : أن النبي ﷺ طلق نساءه وقعد الصحابة يبكون حول المنبر متأثرين بالقضية، قام عمر وهو من الذين علموا فاستنبطوه صحيحاً، فذهب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ قال: (لا) قال: فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه[2]، ونزلت هذه الآية وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُم)سورة النساء٨٣،

قال عمر: فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر، ومعنى يستنبطونه أي: يستخرجونه من معادنه.

ج-من أشهرها قصة الإفك المبين: تلك الحادثة التي كشفت عن شناعة الشائعات، وهي تتناول بيت النبوة الطاهرة، وتتعرّض لعرض أكرم الخلق على الله، وعرض الصديق والصديقة رضي الله عنهم أجمعين، ولا زالت الألسنة الخبيثة تلوك هذه الشائعة إلى اليوم. وتشغل هذه الشائعة المسلمين بالمدينة شهراً كاملاً حتى انزل الله براءة الصديقة بنت الصديق، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ

(١) صحيح البخاري (٢) فتح الباري

الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النور:٢٣]. ولهذا حكم العلماء على سابّ الصحابة بالفسوق وسابّ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بالكفر لأنه ينكر آية البراءة لها في القرآن.

(ذكر الزمخشري في تفسيره الكشاف): لقد بَرَّأ الله -تعالى- أربعةً بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد؛ (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) [يوسف: ٢٦]، وبَرَّأ موسى من قَوْلِ اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثَوْبِه، وبَرَّأ مريم بإنطاقِ ولدها، حين نادي من حِجْرِهَا: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ...) [مريم: ٣٠]، وبَرَّأ عائشة بهذه الآيات العظام).

د-استغلال الكفار والمنافقين لحادث موت رسول الله : حين أخذوا يشنون الحرب النفسية ضد المسلمين عن طريق الشائعات المغرضة، زاعمين أن الإسلام قد انتهى، ولن تقوم له قائمة حتى أثّر ذلك على بعض الصحابة رضي الله عنهم، وظل الناس في اضطراب حتى هيّأ الله الصديق أبا بكر ﷺ فحسم الموقف بتذكير الأمة بقول الحق تبارك وتعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران:١٤٤].

ويقول أحد من رمي بنار الشائعة: حصل بيني وبين جاري خلاف بسيط، فحقد علي، فرأيت بعد فترة أن جماعة الحي لا يسلمون عَلَيَّ، ولا يَرُدُّون عَلَيَّ السلام، وصاروا لا يَدْعُونَنِي إلى اجتماعاتِهم وندواتِهم المعتادة، فأحسست أن في الأمر شيئًا، فبعد أيام دخل ولدي عَلَيَّ فَزِعًا وهو يقول: يا أبي، ما معنى كلمة مُرَوِّج؟ قلت: ماذا تقول؟ مَن قال لك هذه الكلمة؟ قال: قالها لي ولدُ الجيران – حصل بين هذا الطفل وطفلٍ آخر من الجيران خلاف، فقال له: يا ولد المروج – قال: فاضْطَرَبَتْ أعصابي واضْطَرَبَتْ نفسي وصِرْتُ في حَيْرة من أمري، حتى حاولت أن أعرف الخبر، وإذا به قد أشيع عني أني مُرَوِّج مُخَدِّرات، وأنا بريء من هذه الفرية، فضاقت بي الأرض بما رَحُبت، حتى إنَّ صاحب العقار رفض أن يجدد لي العقد؛ لأنه سمع بهذه الشائعة، فخرجت واستأجرت في حَيٍّ آخر؛ لأنه لم يكن لي وجه أقابل به الناس وقد انطلقت هذه الفرية عَنِّي وشاعت في الحي.

فانظروا إلى الشائعات كيف تسبب البلبلة وتسبب الفرقة وتسبب الخصام وتسبب الحقد والحساسية بين أفراد المجتمع.

الشائعات لها آثار اقتصادية سيئة: فقد تؤثر على اقتصاد البلد وتسبب انهيارًا للأثرياء وغيرهم، وقد سمعنا أن من أسباب الانهيار الاقتصادي في العالم الذي تسمعونه الآن من بعض المحللين

إشاعة بعض الشائعات ضد الأثرياء وضد بعض المؤسسات التجارية، حتى وصل الأمر إلى ما تسمعون به الآن.

ومن الأمثلة في ذلك: يأتي صاحب مصنع عنده صناعة كاسدة لا يُشْتَرَى منه، وليس للناس رغبة في منتجه فيدبر شائعة أو أكذوبة أن المصانع الفلانية والفلانية تستعمل في هذه المنتجات مواد كيماوية تضر بصحة الإنسان، سواء كان مشروبًا أو مأكولاً أو ملبوسًا، فيعرض الناس الذين سمعوا بهذه الشائعة عن الشراء من هذه المنتجات خوفًا على أنفسهم وصحتهم، فتُصاب هذه المصانع وهذه المنتجات بالخَسارة، وربما أقفلت أبوابها وأوقفت إنتاجها، كل ذلك من أجل أن يُدِيرَ مَصْنَعه ويَجْعله مُنْتِجًا على حساب الضرر بالآخرين، والنبي ﷺ يقول: (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ) (١)

قد يكون هدف الشائعات الإخلال بالأمن: فتكون سببًا في بلبلة الناس واضطرابهم، وخاصة في البلدان التي فيها حروب، فيستخدمها الأعداء ضد أعدائهم، فيروجون شائعات عبر وسائل الإعلام من تلفاز وإذاعة ومحطات فضائية وشبكات إنترنت أن البلد الفلاني قتل منه كذا وكذا من الأفراد، وسقط منهم عددًا من الطائرات، واحترقت دبابات، وتهدمت بيوت ومساكن، فيحدث هزيمة نفسية للجنود المقاتلين، ويصابون بالاضطراب والحيرة في أمرهم، والجبهة الداخلية تهتز، فيتولد عند الناس والشعب البغضاء لحاكم البلد أو لرئيس الجمهورية، فربما تقوم ثائرتهم وتتحرك الفتن، وربما تقوم المسيرات للانقلاب على ذلك الحاكم.

تمتد الشائعات فتنال من كبار الشخصيات والوزراء، والعلماء: والمشايخ وطلبة العلم والدعاة إلى الله، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حتى تحصل الفجوة والهوة بين العلماء وبين الناس، فتهتز الثقة بين الناس والعلماء، فيذهبون يستفتون الجهلة، ويستفتون أولئك الذين يخرجون عبر المحطات الفضائية ممن ليس عنده علم فيفتونهم، ويتركون علماء البلد؛ لأن هناك مَن يُشَوِّه سُمْعتهم ويطعن في مِصْداقيتهم، ويطعن في علمهم.

فانظروا كيف تصل الشائعات من الخطر إلى هذا المدى، بل تصل إلى أمور كثيرة يضيق المجال لسردها، ويضيق الوقت لعدها، نسأل الله أن يُجَنِّبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح ابن ماجة

الاعتبار بالزمن ومصائر الدول والأمم

الحمد لله الجبار المعبود، الذي أباد بسطوته قوم نوح، وأهلك عاد وقوم هود، وأعاد من بعد عاد دائرة السوء على ثمود، وسلط ضعيف البعوض على النمرود، وأغرق فرعون وقومه لما تلاطمت عليهم الأمواج الصدود، وأعمى بصائر الجاحدين ففي أعناقهم أغلال وفي أرجلهم قيود (فالذين كفرو قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود) واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير

عزَّ فلا تـــراه الظنـــون ** وجـــلَّ فلا يعتريه المنـــون
تفـــرد في مـــلكه بالبقاء ** وكـل الورى بـالفنـاء ذاهبون
ويفعل في خلقه مـا يشـــاء ** بغير اعتراض وهم يســـألون

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود

إذا مـا شـئت في الدارين تسـعد ** فـأكثر في الصـلاة على محمـد
وان شـئت قبـول لها يقيـنا ** فاختم بـالصـلاة على محـمد
وقـل يـا رب لا تـقـطـع رجـائـي ** وكن لي بـالصـلاة على محمـد

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولاً: وجوب الاعتبار ثانيًا: صور من عقاب الله للأمم الماضية
ثالثاً: أسباب وقوع العذاب رابعاً: ما ينبغي الاعتبار به

الموضوع

تعريف الاعتبار

قال الكفويّ: الاعتبار هو النّظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنّظر فيها شيء آخر من جنسها، وقيل: الاعتبار هو التّدبّر وقياس ما غاب على ما ظهر.

وقال المناويّ: العبرة والاعتبار: الّاتعاظ، ويكون بمعنى الاعتداد بالشّيء في ترتيب الحكم، وقال

بعضهم: الاعتبار المجاوزة من عدوة دنيا إلى عدوة قصوى، ومن علم أدنى إلى علم أعلى [١].

وقال الجرجانيّ: الاعتبار: أن يرى الدّنيا للفناء. والعاملين فيها للموت. وعمرانها للخراب.

وقيل: الاعتبار اسم من المعتبرة، وهي رؤية فناء الدّنيا كلّها باستعمال النّظر في فناء جزئها.

أولاً: وجوب الاعتبار

الدعوة للاعتبار: قال تعالى: (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) [النور: ٤٤]

ويقول: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)

وقال تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف

وقال تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) [النازعات: ٢٦

وقال تعالى (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) [الحشر: ٢]

وقال تعالى -: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر: ١٧].

الدنيا زرع وحصـــاده في الآخرة: قال تعالى (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) الزلزلة ، وقال تعالى (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ) آل عمران٣٠

يا نفس قـــد أزف الرحـــيـــل ** وأظلك الخطب الجليـــــــل
فتأهبى يا نفـــــــــــس لا ** يلعب بك الأمل الطـــويـــل
فلتنـزلن بمنـــــــــــزل ينـسى ** الخليـل بـه الخليـــــــل
وليركبن عليك فيـــــــــه ** من الثرى حمل ثقيـــــــل
قرن الفناء بنا جميعـــــــــاً ** فمـا يبقى العزيز ولا الـذليـل

لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بـأنفســـهم: قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (الرعد: ١١). وقوله: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال:٥٣]

لا تغتر بنعم الله عليك: عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: (إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج) ثم تلا رسول الله ﷺ: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) [٢]

---

(١) الكليات للكفوي (٢) السلسلة الصحيحة

الله مطلع عليك فلا تظنه غافلاً عنك: الله سبحانه وتعالى ليس بغافل عما يعمل الظالمون، وأنَّ الله يمهل ولا يهمل، قال تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) إبراهيم ، واعلم أيها الأخ الحبيب أن الإمهال يعقبه الأخذ، والأخذ يكون لعبرة وحكمة؛ قال تعالى:(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)[هود].

كل إنسان مسئول عن عمله يوم القيامة: قال تعالى (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ) الصافات٢٤،

وقال تعالى (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر ٣٨)

وقال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) الكهف

وعن أبي برزة الأسلمي قال قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه) [١]

اعتبر قبل فوات الأوان: قال تعالى (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦))الفجر

وقال تعالى(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠))المؤمنون

تذكـــر وقوفك يوم العرض عرياناً ** مستوحشا قلق الأحشاء حيـــرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنـــق ** على العصـاة ورب العرش غضـبانا
اقرأ كتـابك يـا عبـدي على مهـل ** فهـــل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لمـــا قرأت ولم تنكر قراءتـه ** إقـــرار من عرف الأشياء عرفانا
نـادى الجليـل خـذوه يـا ملائكتى ** وامضـوا بعبدٍ عصـى للنار عطشـانا
المشـركون غداً في النار مسـكنهم ** والمؤمنون بـــدار الخلد سـكانا

ثانياً: صور من عقاب الله للأمم الماضية

الغرق: قال تعالى (مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا)نوح

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب

قال ابن كثير: (من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم أغرقوا فأدخلوا ناراً)

الخوف والفرقة وتسليط الأعداء والذل وكثرة القتل والحروب: وهذا النوع من العذاب عذب الله به بني إسرائيل فجعلهم فرقاً كثيرة وأضاف إلى ذلك الهوان والذلة إلى يوم القيامة (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) [الأعراف:١٦٧].

وقد صدق الله فكانوا أذل الأمم وأرذلها، وما نراه اليوم من عز وسؤدد فإنما هو بسبب تخاذل المسلمين عن قتالهم، ومصانعة النصارى لهم بحجة أنهم الشعب المبارك، وذلك قوله تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ) [الأعراف:١١٢].

ومنه قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) [الأنعام:٦٥].

الريح: وهو عذاب الله عذب به قوم عاد لما كفروا بربهم.

قال تعالى (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) الأحقاف

وقد كان نبينا إذا رأى ريحاً خاف وظهر ذلك في وجهه، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله كان إذا عصفت الريح يقول: (اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)[١]

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهَا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ -قَالَتْ- وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ ذَلِكَ فِى وَجْهِهِ. فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا. رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِى وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ قَالَتْ فَقَالَ (يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِى أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا (هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا). [٢]

ويهدد الله المشركين ومن على شاكلتهم ومن آمنوا مكر الله وعذابه: (أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) الإسراء

الخسف: هو كما عرفه القرطبي وهو ذهاب المكان ومن عليه وغيبوبته في بطن الأرض.

وهو عذاب الله عذب به قارون لما بغى وأفسد فقال تعالى (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم

فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) القصص

وهو أحد أنواع العذاب التي تكون في آخر الزمان فعن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف قال رجل من المسلمين يا رسول الله متى ذلك قال إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور) [١]

قال ابن تيمية: (المسخ واقع في هذه الأمة ولا بد، وهو واقع في طائفتين: علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله ﷺ، الذين قبلوا دينه، والمجاهرين المنهمكين في شرب الخمر والمحارم...(.

وإنما يكون الخسف والمسخ إذا استحلوا هذه المحرمات بتأويل فاسد فإنهم لو يستحلوها مع اعتقاد أن الشارع حرمها كفروا ولم يكونوا من أمته، ولو كانوا معترفين بحرمتها لما عقبوا بالمسخ كسائر من يفعل هذه المعاصي، مع اعترافهم بأنها معصية).

وقد حذر الله العصاة من هذا العذاب فقال تعالى (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ) النحل

ومن صور الخسف الزلازل التي تميد بالأرض فتخرب المدن بعد عمرها، وقد ذكر ﷺ أن الزلازل تكثر بين يدي الساعة فعن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ:(لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض) [٢]

الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ: عذب أهل سبأ بالسيل والطوفان

قال تعالى (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ) سبأ

وأرسل الله على قوم فرعون حينما كذبوا بنبي الله موسى عليه السلام واخلفوا عهودهم معه

فقال تعالى(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) ، ثم أغرقهم الله تعالى في اليم لما لم يعتبروا بهذه الآيات المتتابعة

فقال تعالى (فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) الأعراف

الطاعون: وهو نوع آخر من العذاب يصبه الله على الأمم المتجبرة الكافرة أو المسلمة العاصية، فعن أُسَامَةُ بن زيد قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-(الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ). وَقَالَ أَبُو النَّضْرِ (لاَ يُخْرِجُكُمْ إِلاَّ فِرَارٌ مِنْهُ). [٣]

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح البخاري (٣) متفق عليه

وقد توعد الله فيه عصـــاة الأمم فيما جعل الطاعون رحمة وشـــهادة لهذه الأمة قال ﷺ: (لم تظهر الفاحشـــة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشـــا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضـــت في أســـلافهم الذين مضـــوا) (١) قال القرطبي: (الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم بالإصرار على الكفر، فإن أصروا حان الأجل المضروب ونزلت بهم النقمة).

المسخ: عذب الله بني إسرائيل عندما اعتدوا في السبت فقال تعالى:(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [البقرة:٦٥]

وقال تعالى: (وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) [المائدة:٦٠].

الحـاصب: والحاصب كما قال أبو عبيدة: الحجارة وقال ابن حجر: الحصباء في الريح.

وهو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط لما كفروا وارتكبوا الموبقات فقال: (فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً) [العنكبوت:٤٠] وقال: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَـاصِباً إِلاَّ الَ لُوطٍ نَّجَّيْنَـاهُم بِسَحَرٍ) [القمر:٣٤].

وقال تعالى: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مّن سِجّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبّكَ وَمَا هِى مِنَ الظَّـــالِمِينَ بِبَعِيدٍ) [هود:٨٢، ٨٣]. ، ومعنى: (من ســجيل): أي من طين متجحر، (منضــود): أي منظم واحدة فوق أخرى بانتظام، (مسومة): أي معلمة بعلامة خاصة، (عند ربك): أي معلمة من عند الله تعالى

وقال تعالى: (أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) [الإسراء:٦٨].

الجوع والعطش وضـــيق الأرزاق: قال تعالى (وَضَـــرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مّن كُلّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْـــنَعُونَ) [النحل:١١٢]، وقال تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الروم، قال ابن كثير: (بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي ليذيقهم بعض الذي عملوا). وقال: يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختباراً منه على صـــنيعهم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أي عن المعاصي

وعن ابن عمر ﷺ قال أقبل علينا رسـول الله ﷺ فقال يا معشـر المهاجرين خمس خصـال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشـة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشـا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضـت في أسـلافهم الذين مضـوا ولم ينقصـوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضـوا عهد الله وعهد رسـوله إلا سـلط الله عليهم عدوا من غيرهم

(١) السلسلة الصحيحة

فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)[١]

ثالثاً: أسباب وقوع العذاب

الطغيان وظلم العباد: قال تعالى: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ). (يونس) ، وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من ذنبٍ أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم)[٢]

كثرة المعاصي والمنكرات : عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ). وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ) [٣].

الغلو في الدين: فعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ) إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) [٤] ، قال المناوي: (إياكم والغلو في الدين؛ أي التشديد فيه ومجاوزة الحد والبحث عن غوامض الأشياء والكشف عن عللها)[٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ؛ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ). [٦]

قال النووي: (المراد بهلاك من قبلنا هنا هلاكهم في الدين بكفرهم وابتداعهم، فحذر رسول الله ﷺ من مثل فعلهم.)

العتو والكبر والغرور: قال تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَـدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُـلُهُم بِالْبَيّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) الروم

قال ابن كثير: (كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم. وأكثر أموالاً وأولاداً، وما أوتيتم معشار ما أوتوا، ومكنوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه، وعمروا فيها أعماراً طوالاً، فعمروها أكثر منكم، واستغلوها أكثر من استغلالكم)

التفرق والتحزب والاختلاف: وهذا ملموس في واقعنا المعاصر كما نراه في معظم الدول؛ ضعفٌ

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) متفق عليه
(٤) السلسلة الصحيحة
(٥) فيض القدير
(٦) فيض القدير

في الإيمان، وقسوة في القلوب، وتفرق في الكلمة، واختلال في الصف، ونزاعٌ بين الإخوة، وأحقاد وأطماع، لا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام، الذين لا يزيدهم مرور الأعوام إلا قوة وفتوة؟! وقد يبلغ التفرق بالأمة مبلغ العداء والاقتتال، فيفني بعضهم بعضا، ويقتلون أنفسهم ويتركون أعداءهم؛ كما وقع ذلك في كثير من دول الإسلام وتاريخهم، ولا يزال يقع إلى يومنا هذا

فعن عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:(أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ الْعَالِيَةِ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ ﷺ: سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا) (١)

تكذيب الرسل والأنبياء: قال تعالى عن قوم نوح: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) (الأعراف: ٦٤)؛ وقال عن عاد قوم هود – عليه السلام-: (فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) (الأعراف: ٧٢)؛ وقال عن قوم موسى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً) [سورة الفرقان]؛ وقال تعالى عن قوم فرعون وغيرهم: (كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءالَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ) [الأنفال: ٥٤]. فانظر: ما السبب الحقيقي؟ كذبوا بآياتنا. يقول ابن كثير: (فعل هؤلاء من المشركين المكذبين بما أرسلت به يا محمد كما فعل الأمم المكذبة قبلهم؛ ففعلنا بهم ما هو دأبنا؛ أي عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسل)(٢)

كفران النعم: قال تعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لازِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) ،وقال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مّن كُلّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) النحل.

التنافس في الدنيا والشح بما فيها: عن عبد الله بن عمرو قال خطب رسول الله ﷺ فقال إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا)(٣) ، وهو ما حذر النبي ﷺ أمته منه حين حذرها من فتنة الدنيا والتسابق فيها فقال: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)(٤)

(١) صحيح مسلم (٢) تفسير ابن كثير (٣) صحيح سنن أبو داود (٤) متفق عليه

رابعاً: ما ينبغي الاعتبار به

العذاب الإلهيّ: قال تعالى:(فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى) النازعات، والعذاب الإلهيّ يجري وفق سنن أودعها الله في الوجود، والمؤمن المعتبر إذا وعاها وفهمها درأ العذاب عن نفسه.

قصص الماضين: قال تعالى:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف.

ويعظ أمير المؤمنين عليّ ﷺ بقصص الماضين فيقول: (وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة؟! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟! أين أصحاب مدائن الرسّ الذين قتلوا النبيّين، وأطفؤوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبّارين)[١].

تعاقب الليل والنهار: قال تعالى:(يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ) النور.

فهذا التعاقب لليل الذي جعله الله للناس سكناً وللنهار الذي جعله الله معاشاً عبرةٌ لأهل البصائر، وقد قال عليّ عليه السلام: (في تعاقب الأيّام معتبر للأنام).

القبور: هذه الشواهد الصامتة الجامدة التي تعظ بما لا يعظه الأحياء فعن عليّ عليه السلام لمّا تلا:(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) التكاثر، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة)[٢]

(أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ ... ولأنّ يكونوا عبراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً... ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبصار العبر، وسمعت عنهم آذان العقول، وتكلّموا من غير جهات النطق).

الموتى: فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله. كفى بالموت مقرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادما للذات، وقاطعاً للأمنيات فيا جامع المال! والمجتهد في البنيان! ليس لك والله من مالك إلا الأكفان، بل هي والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذي جمعته من المال؟ هل أنقذك من الأهوال؟ كلا. بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك.

يا كثير السيئات غداً ترى عملك، ويا هاتك الحرمات إلى متى تديم زللك؟ أما تعلم أن الموت يسعى

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨٠٩

(٢) صحيح الترغيب والترهيب

في تبديد شـــملك؟ أما تخاف أن تؤخذ على قبيح فعلك؟ واعجبا لك من راحل تركت الزاد في غير رحلك!! أين فطنتك ويقظتك وتدبير عقلك؟ أما بارزت بالقبيح فأين الحزن؟ أما علمت أن الحق يعلم السـر والعلن؟ سـتعرف خبرك يوم ترحل عن الوطن، وسـتنتبه من رقادك ويزول هذا الوسـن. قال يزيد بن تميم: (من لم يردعه الموت والقرآن، ثم تناطحت عنده الجبال لم يرتدع!!).

كانَ عُثمانُ بنُ عفَّانَ إذا وَقفَ على قَبرٍ يبكي حتَّى يبَلَّ لحيتَهُ، فقيلَ لَهُ: تذكرُ الجنَّةَ والنَّارَ، ولا تبكي، وتَبكي مِن هذا؟ قالَ: إنَّ رســولَ اللَّهِ ﷺ، قالَ: إنَّ القبرَ أوَّلُ مَنازلِ الآخرةِ، فإن نجا منهُ، فما بعدَهُ أيسرُ منهُ، وإن لم يَنجُ منهُ، فما بعدَهُ أشدُّ منهُ قالَ: وقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: ما رأيتُ مَنظرًا قطُّ إلَّا والقَبرُ أفظَعُ منهُ [١]

تشابه أحوال الدنيا: فالدنيا حالها مع الماضين كحالها مع المقيمين الحاضرين كحالها مع من سيأتي إليها مسـتقبلاً، تجري سُـننها على الجميع مجرًى واحداً فعن عليّ ﷺ: (كفى مخبراً عمّا بقي من الدنيا ما مضى منها).

أحداث الزمان: عن عليّ ﷺ: (ثمّ إنّ الدنيا دار فناء وعناء، وغِيَر وعبر... ومن غِيَرِها أنّك ترى المرحوم مغبوطاً، والمغبوط مرحوماً، ليس ذلك إلّا نعيماً زال وبؤسـاً نزل، ومن عبرها أنّ المرء يشـرف على أمله فيقتطعه حضـور أجله)، وما أبلغ تعبيره عن غفلة المرء بأمله عن أجله فإذا بحضور الأجل يبدد آمال الحالمين ويقطعها، إلّا أنّ العبرة تبقى نافعة لأولي العقول كما قال ﷺ: (في تصاريف القضاء عبرة لأولي الألباب والنهى)[٢].

اعتبار المرء بعمره: عن عليّ عليه السلام -من كتابه إلى معاوية: (لو اعتبرت بما أضـعت من ماضـي عمرك لحفظت ما بقي)، فالمرء لو نظر في سيرة نفسه وتحدّيات أيامه ووقف منها موقف المعتبر المتأمل لكان ذلك نافعاً له في سلامة ما بقي من عمره.

البلايا والنذر: فقد يغفل المرء عن بعض التفاصـيل في حياته فلا يعتبر بها، أمّا وأن يغفل عن الأمراض والفقر والزلازل والعقوبات الإلهيّة وتفشي الفساد وتسلّط الطغاة فهذا من أعظم العمى، وهذا عليّ ﷺ يقول: (واعتبروا بالغِيَر، وانتفعوا بالنُّذُر).

الاعتبار بإبليس: وفي قصّة إبليس عبرة من أضاع عبادته لله بلحظة عصبيّة، وأعمته الأنا عن الله، وهي عبرةٌ قد تصيب -وهي تصيب -الكثيرين، ويشير إليها عليّ عليه السلام بقوله: (فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد).

---

(١) صحيح ابن ماجه: ٣٤٦١ (٢) ميزان الحكمة

اعتبر يـا أيّهـا المغرور بـالعمر ** أنا شـدّاد بن عاد صـاحب الحصـن
وأخو القوّة والبـأســـاء والملـك ** دان أهـل الأرض طرّا لي من خوف
وملكت الشّـرق والغرب بسـلطان ** فـأتى هود وكنّـا في ضـلال قبـل هود
فدعانا لو قبلناهُ إلى الأمر الرّشـيد ** فعصـيناه ونادى ما لكم هل من محيد
فأتتنا صيحة تهـوي من الأفق البعيد

كل يوم هو في شـأن: يقول الله سـبحانه متحدثا عنه ذاته -جل جلاله -(يَسْـأَلُهُ مَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَـأْنٍ)[الرحمن: ٢٩]. قال الزمخشـري -رحمه الله -عن ابن عيينة: الدهر عند الله تعالى يومان، أحدهما: اليوم الذي هو مدّة عمر الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهى والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع، والآخر: يوم القيامة، فشأنه فيه الجزاء والحساب.

كم من فقير مسلم هام على وجهه، وكم من مشرد كان له بيت فصار بلا مسكن ولا مأوى، وكم من بريء مسكين قتلته رصاصات الغدر والكفر، وكم من حرة عفيفة هتك سترها كافر عتل غليظ، وكم من بلد اسـتبيحت حرمته وسـلبت أراضـيه، وكم من أرض أحرقت ظلماً لا لشـيء إلا لأن أهلها يقولون: ربنا الله، كم وكم من الصور المؤلمة حملها عامنا الذي سيرتحل في حقيبته.

هى الأيـام كمـا شـاهدتهـا دولٌ ** من سـرَّهُ زمنٌ سـاءتـه أزمـانُ
وهـذه الـدار لا تبقـى على أحـد ** ولا يـدوم على حـال لهـا شـانُ
وأين مـا حـازه قـارون من ذهـب ** وأيـن عـادٌ وشـدادٌ وقـحـطـانُ
أتـى علـى الكـل أمر لا مرد لـه ** حتى قضـوا فكـأن القوم مـا كـانوا

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

أهمية الإصلاح وحرمة الإفساد

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار. مصرف الأمور مكور الليل على النهار، تبصرة لأولى القلوب والأبصار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار وفق من اختار من عبيده فجعله من الأبرار، وبصر من أحبه للحقائق فزهدوا في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته والتأهب لدار القرار، واجتناب ما يسخطه والحذر من عذاب النار.

وأشهد أن لا إله إلا الله إقرارا بوحدانية، واعترافا بما يجب على الخلق كافة من الإذعان لربوبيته.

يا رب إن ذنوبى فى الورى كثرت ** وليس لى عمل فى الحشر ينجينى

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه ** حب النبى وذاك القدر يكفينى

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه المصطفى من خليقته، وأكرم الأولين والآخرين من بريته، أكرم الخلق وأزكاهم وأكملهم، وأعرفهم بالله تعالى وأخشاهم وأعلمهم، واتقاهم وأشدهم اجتهادا وعبادة وخشية وزهادة، وأعظمهم خلقا، وأبلغهم بالمؤمنين تلطفا ورحما، أرسله بحق شرعه وشرع حققه، وأخمد بنور برهانه لهب الباطل وأزهقه، ودمغ بسيف تحقيقه دماغ البهتان فأزال بخسه ورهقه.

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولا: تعريف الإصلاح

ثانياً: أهميته في الإسلام

ثالثاً: دعوة الأنبياء إلى الإصلاح

رابعاً: كيفية تحقيقه وصفات المصلحين

خامساً: ميادين الإصلاح

سادسًا: عقوبة الإفساد

الموضوع

أولا: تعريف الإصلاح: -

لغة: الصلاح: ضد الفساد، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصلح في أموره، وهذا الشيء يصلح لك أي: هو من يأتيك.

والإصلاح: نقيض الإفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أي أقامه، وأصلح الدّابة، أحسن إليها فصلحت.

اصطلاحا : جاء في القران تارة بالصلاح وتارة بالسيئة، قال تعالى (خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً) التوبة، وقال أيضا وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا) الأعراف.

والصلاح هنا يراد به أن يكون الإنسان صالحاً في ذاته، قد بدأ بنفسه فطهرها وهذبها وأقامها على الصراط فأصبحت نفساً طيبة صالحة ، فالإصلاح هو تحسين وضع أو تعديل ما هو خطأ، أو الفاسد، أو غير المرضي، وما إلى ذلك.

ثانياً: أهميته في الإسلام:

أمر الله به: قال تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) الأنفال ١

وقال الله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) الحجرات ١٠

وقال تعالى :(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) الأنفال، وكان رسول الله ﷺ يصلح بنفسه بين المتخاصمين، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: (اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ.....) [١]

ربط الله تعالى الإصلاح بالإيمان والتوبة والتقوى ووعد بالجزاء العظيم: فقال تعالى (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) الأنعام، وقال تعالى (فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) ، وقال تعالى (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آل عمران٨٩

سبب لدعاء الملائكة والرسل: قال تعالى (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) غافر

خيرَ ما يتناجى فيه المتناجون: قال تعالى (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) النساء.

الأجر العظيم: عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة قال أبو عيسى هذا حديث صحيح ويروى عن النبي ﷺ أنه قال (هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) [٢]

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح سنن أي داود

وقال تعالى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)) الشورى، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) [١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلقٍ حسن) [٢] ، وعن أَبي هريرة -ﷺ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ -:)كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَينِ صَدَقَةٌ، وَتُعينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُميطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) [٣]

الإصلاح سبب من أسباب رحمة الله ومغفرته: قال تعالى (وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً) النساء ١٢٩ ، وقال تعالى (إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً) الإسراء ٢٥.

مرافقة الأنبياء في الجنة: قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً) النساء

إن الله لا يضيع أجر المصلحين: قال تعالى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) الأعراف

الفوز بولاية الله ورعايته: قال تعالى (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) الأعراف.

حفظ النسب أو العناية الإلهية بالذرية : قال تعالى: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً) الكهف.

قال سعيد بن جبيران ابن عباس -ﷺ -حفظاً بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحاً

الإصلاح لا ينقطع أبدا: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) [٤]

معية المؤمنين: ويقول تعالي(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا(١٤٦))النساء

قبول العمل الصالح: قال تعالى (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)فاطر

وراثة الأرض والاستخلاف فيها: قال تعالى: (أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) الأنبياء

---

(١) صحيح مسلم (٢) السلسلة الصحيحة (٣) متفق عليه (٤) صحيح الأدب المفرد

الحياة الطيبة السعيدة في الدنيا والآخرة: قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)النحل: ٩٧

النجاة من الهلاك والدمار: قال تعالى (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) هود

ثالثاً: دعوة الأنبياء إلى الإصلاح:

نوح عليه السلام: قال تعالى) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) هود ٢٥/٢٦، وقال تعالى (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً(١٠) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً *وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً) نوح١١/١٢

صالح عليه السلام: يقول لقومه (فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) الأعراف.

شعيب عليه السلام: قال تعالى (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) هود٨٨

موسى عليه السلام: يخاطب أخاه هارون عليه السلام بالإصلاح

قال تعالى (وقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) الأعراف١٤٢

ويخاطب قارون كذلك: قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) القصص.

النبي ﷺ: والمتدبر في سنة المصطفى ﷺ وسيرته يجد أن بعثته ﷺ كانت طريقا ظاهرا جليا للإصلاح فهو القائل (إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاقِ) [1]

رابعاً: كيفية تحقيقه وصفات المصلحين:

وضوح النيّة: قال تعالى:(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (الإنسان:٩)

قال تعالى:(وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) الشعراء

فكانت نياتهم في تغيير الواقع لله تعالى فقط، وكل يعقب على نيته بلسانه الخاص، فعند ما قاوموا الإفساد في العبادات والاقتصاد والأخلاق والحكم، قد بينوا نياتهم، لذا وقع أجرهم على الله (إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) الأعراف ١٧٢.

التوكل والثقة والصبر واليقين: لكل من هذه الكلمات معاني ذات أهمية، فهي مقومات لبناء النفس والأمم، ولم يأت نبي ولا مصلح إلاّ زود بهذه المقومات لأداء رسالته الإصلاحية، فإذا لم يتحلى

---

(١) السلسلة الصحيحة

المصلح بهذه العناصر فليس بإمكانه أن يجتاز المرحلة، بل المراحل منصوراً، فلسان كل مصلح في القرآن (وما توفيقي إلا بالله) فهو القادر على إنجاح مسعاي

الاستعداد: كان للمصلحين استعداد كما هو مبيّن في القرآن الكريم، وفي جميع المستويات، لكل عبئ في الطريق، وهم يوجهون نحو إنقاذ الأمة (أدعوكم إلى النجاة)، ونجاة الأمم شيء عظيم، وبناية ضخمة لابد لها من أساس عظيم، بدءً من الاستعداد النفسي لبذل الروح وقطرة الدم عند الحاجة، فليست الدعوة جمعية خيرية تقنع بالقليل، والاستعداد للتعب اليومي...

القدوة: لا يصلح الداعي للإصلاح إلى ما يريد إلاّ من خلال أن يوَطِّن نفسه لذلك ، ولاشك أن من توفر فيه الصفات المذكورة من النية والثقة والتوكل وغيرها يصبح قدوة ، وان التوحيد مع التوجيه الهادف للمشاعر لن تأتي إلاّ من القدوة الصالحة التي تتجسد في الدعاة المخلصين وعلماء المسلمين النابهين ممن يضربون المثل في التفاني والإخلاص والموضوعية والقدرة على الإقناع وجذب الرأي العام نحو قضايا الأمة ليعرف كل مسلم ما خفي وما جهل من أمور دينه ودنياه، وليدرك خطورة وأهمية مشاركته لتخطي المرحلة التي تعيشها الأمة من التخلف والقهر وتدني وسائلها في مواجهة الصراع الحضاري المفروض عليها فرضاً .

علو الهمة مع اللطف والألفة: فالهمّة العالية هي التي تصل إلى الهدف المرجو ، وبدونها يستحيل تحقيق الغايات ، والألفة من أبرز معالم الخلق الحسن ومن أنصح ثمارها ، ومن أبرز خصائص الشخص المؤثر الجذاب ، اللطف والخلق الرفيع ، ولاشك أن الشخص السيئ الخلق فرد منفرد إلى أبعد الحدود ، وليس من سمات الصالحين فضلاً عن أن يكونوا مصلحين ، ومن هنا فقد أكدت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أهمية التزام بالسلوك الجذاب المؤلِف، وعلى تجنب السلوك والتصرف المنفِّر، فجاء هذا التحذير الواضح بقوله تعالى(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(آل عمران:١٥٩)

وقال تعالى (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت ، فموسى وعيسى ومحمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، كانوا مجمعين لتلك الطاقة الأخلاقية التي أوصلوهم إلى نفوس فطرية بسبب علو الهمّة واللطف والألفة.

الاجتهاد الخالص المخلص فيما يظن أنه يترتب على الفعل من المصالح والمفاسد والموازنة بينهما: فما رجح من المصالح على المفاسد كان الأولى فعله، وما رجحت مفاسده على مصالحه

فالأولى تركه وإن كان مباحاً أو جائزاً، بل ربما يكون مندوباً أو في بعض الأحوال واجباً، لكنه في حال يترتب عليه مفاسد كبرى قد يكون فعله مع تصور ذلك محرماً، مع كونه في الأصل واجباً.

أ-رسول الله ﷺ: عندما ترك أموراً لئلا تترتب عليها مفاسد

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الهدى ﷺ قال: (لولا أن قومك حديثو عهد بإسلام لنقضت الكعبة وأعدت بناءها وجعلت لها بابين) [١]

وبين البخاري ذلك في ترجمته، وبينه ابن حجر في شرحه، وبين أن من الفوائد أنه يمكن أن تترك المصلحة إذا خشي أن تكون هناك مفسدة أعظم، وذلك مبثوث في كثير من المواقف التي كانت في سيرة المصطفى ﷺ، ولعل من أجلاها وأظهرها أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة في عمرته الشهيرة بعمرة القضاء في العام السابع من الهجرة والكعبة حولها الأصنام، وعلى الصفا والمروة أساف ونائلة، فهو عليه الصلاة والسلام لم يهدم من تلك الأصنام صنماً، ولم يبصق عليها ولم يسفّهها، لكننا نوقن جميعاً أنه كان يبغضها، وكان يتمنى لو أزالها، لكنه كان عليه الصلاة والسلام يعلم أن لكل حادث وقته، ولكل عمل ما ينبغي أن يتدرج فيه وأن تتوافر أسبابه، وقد كان ﷺ في عهد وصلح مع كفار قريش، فالتزم عهده وأوفى بذمته، ومن بعد عام تيسرت الأمور وجرت الأقدار، فجاء فاتحاً يطعن هذه الأصنام وتتهاوى وتتكسر، ورسول الهدى ﷺ يقول: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا).

ب-ابن عمر ﷺ: الذي كان ممن ذهب مع كثير من الصحابة إلى الامتناع عن القتال في الفتنة، ولقد استمع إلى خطبة لمعاوية ﷺ وأرضاه في اجتهاده بعد تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ له بالخلافة فكان يقول: من كان عنده كلام فليتكلم به، فإنا أعلم بذلك منه ومن أبيه. قال ابن عمر ﷺ: فكنت أريد أن أقول: (أحق منك بهذا من قاتلك وأباك على الإسلام. ولكن خشيت أن أقول كلمة تفرق جمع المسلمين ويسفك بها الدم)، ذلك هو منطلق الإيمان، وتلك هي عصمة التقوى، وتلك هي بصيرة العالم بترجيح المصالح والمفاسد، وذلك ما فعله

ج-سعيد بن المسيب رحمه الله: كان من أئمة التابعين الكبار الذين كانت لهم مواقف مشهورة مذكورة في قول الحق وفي الصدع به، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن دون أن يكون ذلك مؤذناً بفتنة أو مفضياً إلى سفك دم، أو مؤدياً إلى اضطراب وخلل في أمن الناس ومعاشهم، ولذلك كان يقول رحمه الله: الشيطان مع الشاذ والخارج عن الجماعة، وهو من الاثنين والجماعة أبعد.

---

(١) صحيح البخاري

د-الحسن البصري : كان من أئمة التابعين إيماناً وزهداً وعبادة، فقد جاور الحجاج مع ما هو معروف عنه من ظلمه وبطشه، وقالوا للحسن: ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأكل المال الحرام وترك الصلاة جماعة، وما كان عليه من مخالفة السنة؟ فقال: أرى أن لا تقاتلوه، إنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبته، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وكان ينهى عن الخروج على الحجاج، ويأمر بالكف ويقول: لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل السلطان صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط.

لزوم العدل والتقوى في الصلح : لأن الصلح إذا صدر عن هيئة اجتماعية معروفة بالعدالة والتَّقوى وجب على الجميع الالتزام به والتقيُّد بأحكامه إذعاناً للحقِّ وإرضاءً للضمائر الحيَّة (فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا) [الحجرات: ٩]

أن يكون المصلح عاقلا حكيما منصفاً في إيصال كلِّ ذي حقٍّ إلى حقِّه مدركا للأمور متمتعا بسعة الصدر وبُعد النظر مضيقا شقَّة الخلاف والعداوة، محلا المحبَّة والسلام.

الحذر من فشو الأحاديث وتسرب الأخبار : مما يفسد الأمور المبرمة والاتفاقيات الخيرة، لأن من الناس من يتأذى من نشر مشاكله أمام الناس، وكلما ضاق نطاق الخلاف كان من السهل القضاء عليه.

التلطف في العبارة واختيار أحسن الكلم في الصلح : لما جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ [١] وفيه دليل على الاستعطاف بذكر القرابة

خامساً: ميادين الإصلاح: -

بين الأفراد والجماعات : عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ (أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ) [٢]

بين الأزواج والزوجات : سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: (جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ فَجَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ قُمْ أَبَا تُرَابٍ) [٣]

بين المتداينين : عن كَعْبِ بن مالك (أَنَّه تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح البخاري

اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ فَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ فَقَالَ : يَا كَعْبُ فَقَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعْ الشَّطْرَ فَقَالَ كَعْب: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُمْ فَاقْضِه)[١]

بين الأقارب والأرحام : عن عوف بن مالك بن الطُّفَيْلِ: (أنَّ عائشة رَضِيَ اللهُ عنها، حُدِّثَتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قَالُوا : نعم قَالَتْ : هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا ، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتْ الْهِجْرَةُ فَقَالَتْ : لا وَاللَّهِ لا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا وَلا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَقَالَ لَهُمَا أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي ، فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُل ؟ قَالَتْ عَائِشَة: ادْخُلُوا ، قَالُوا كُلُّنَا . قَالَت: نَعَم ادْخُلُوا كُلُّكُمْ. وَلا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلاَّ مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ وَيَقُولانِ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنْ الْهِجْرَةِ فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنْ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُول: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ فَلَمْ يَزَالا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتْ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا) [٢]

بين القبائل والطوائف : عن أَنَس ﷺ قَالَ: (قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ، وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشَتَمَا، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)) [٣]

في الأموال والدماء : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ ، فَقَالَ الَّذِي شري الأَرْضَ : إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا ،

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري (٣) متفق عليه

قال : فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلامٌ وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ قَالَ أَنْكِحُوا الْغُلامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا) (١)

في النزاع والخصومات : عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:(سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَ، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُول: وَاللَّهِ لا أَفْعَلُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَالَ أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ) (٢)

سادسا: عقوبة الإفساد: -

النهي عن الإفساد : قال تعالى (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا) الأعراف ٥٦

وقال تعالى: (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) البقرة. ، وقال تعالي (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) البقرة

وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) [البقرة: ١١ ـ ١٢] ، وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) البقرة.

وقال تعالى (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) الأعراف، وقال تعالى (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) الأنفال ، ويقول جل وعلا: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)

عدم استجابة الدعاء: عن حذيفة ﷺعن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً ثم تدعونه فلا يستجيب لكم) (٣)

ذمهم الله في الدنيا والآخرة: قال تعالى (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) وقال تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الروم ٢٠

ويقول الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) البقرة

---

(١) صحيح مسلم (٢) متفق عليه (٣) صحيح سنن الترمذي

الجزاء من جنس العمل: لنأخذ بعض أحوال المفسدين في التّاريخ، لنتّخذهم عظة

أ-قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ *إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ* وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ* وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ* إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) الفجر ٦-١٤.

ب-كذلك يعظنا بمصير قارون قال تعالى؟ (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) القصص ٨١.

ج-قال تعالى (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) الرّعد ٢٥.

د- قصَّ الله عزَّ وجلَّ علينا خبر بني إسرائيل حين نهاهم أن يَعْدوا في السَّبت، ولنا في تلك القصة عبرة ، قال تعالي)وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) الأعراف .

إذًا؛ فقد أنجى الله تعالى الذين ينهَوْن عن السوء فقط، وأما البقيَّة؛ فقد عذَّبهم كلَّهم.

تعميم العذاب في الدنيا: قال تعالى (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الأنفال:٢٥ ، فالسكوت عن المعاصي والإعلان بها من موجبات العقاب والهلاك، لان السكوت عليها يغرى أصحابها على التمادي واستفحال أمرها وانتشارها بكثرة، وذلك قد يتعدى إلى كل طبقات المجتمع الإسلامي، أي اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح وأصابها بمن يباشر الظلم منكم، واتقاء هذه الفتنة يكون بالكف عن الإسراف في الذنوب والأخذ على أيدي المهاجرين بها.

علم الله بالمفسدين: قال سبحانه (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) آل عمران ٦٣

تعجيل العقوبة في الدنيا والحساب كذلك في الآخرة: عن أبى بكرة، عن النبي ﷺ قال: (ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له؛ من البغي وقطيعة الرحم)[1].

(١) صحيح الادب المفرد

قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ *إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ *الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ* وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ* وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ* إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (الفجر: ٦-١٤)

الخزي في الدنيا والآخرة: يقول تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة: ٣٣]

عدم الفلاح: قال تعالى (وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النحل

عدم قبول العمل: قال تعالى (إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) يونس ٨١

الحرمان من محبة الله تعالى : قال تعالى (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ) القصص ٧٧

قتل لنفس واحدة يعتبر قتل للجميع: وقال تعالى:(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) المائدة.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله رب العرش رب العوالم، يتولى الخلائق بلطفه فنعم الوكيل، ترى في الأناسيِّ كل مصحح وسالم، وقد ترى فيهم الكل العليل، وفيهم ذوات الفضل الكرائم، وكثرة من أرباب الجهل والرأي الهزيل، والإله من ورائهم محيط وعالم، قد يهدي ويصلح أو يرسل الطير الأبابيل، فدعِ الخلق لربهم وسلِّم وسالم فله الأمر من قبل ومن بعد كما جاء في التنزيل.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحيُّ الدائم، يقول الحق وهو يهدي السبيل، ألهم الإنسان من الخلق المكارم، وحذره من الفعل والخلق الرذيل، أمره في السلم بأن يسالم، وبالنصر حربًا أو يكون هو القتيل، وأباح في الغنى التنوع في المطاعم، وحين الفقر عليه أن يقنع بالقليل.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله بالشرع قائم، مَن تبع سنته رشد، ومن تركها حُرم الدليل، فأنعم به مسكًا للنبين خاتم، وأكرم به مبعوثًا للشرور يزيل، فانظر إذا شئت واقرأ في التراجم، لن تجد في الناس عذبًا كهذا السلسبيل، لولاه ما استيقظ من غفلة الشرك نائم، ولأصبح إحياء القلوب من المستحيل، فيا رب، صلِّ على تاج أولي العزائم، من ليس لشريعته شرع بديل، وجازه عن كل قائم من أمته وصائم، وعن نوره الذي به انقشع الليل الطويل.

عناصر الخطبة

أولاً: الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في الدنيا والآخرة

ثانياً: الترهيب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره

ثالثاً: من أحكام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الموضوع

المعروف في اللغة: ضد المنكر، والعرف ضد النكر، والعارِفُ والعَروفُ الصبور، ويطلق المعروف على الوجه لأن الإنسان يعرف به، كما يطلق على الجود وقيل: هو اسم ما تبذله وتسديه.

المعروف في الاصطلاح: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وقيل: هو كل ما يحسن في الشرع، وقيل: هو كل ما عرف في الشرع من خير وطاعة مندوباً كان أو واجباً، وسمي معروفاً لأن العقول السليمة تعرفه.

المنكر في اللغة: هو واحد المَناكِر، وهو النكر، قال تعالى(لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا)[الكهف: ٧٤]،

والنَكِير والإنْكارُ: تغيير المنكر، والإنكارُ: الجحود، والتناكرُ: التجاهل.

المنكر في الاصطلاح: كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه، وقيل: ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً.

وقيل: كل قول وفعل وقصد قبحه الشارع ونهى عنه.

أولاً: الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في الدنيا والآخرة

أمر الله تعالى وسوله به: قال تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) آل عمران.

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) (١).

قدمه الله عزّ وجلّ على الإيمان : قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) آل عمران.، ولا نعلم السر في هذا التقديم، إلا عظم شأن هذا الواجب، وما يترتب عليه من المصالح العظيمة، ولا سيما في هذا العصر؛ فإن حاجة المسلمين وضرورتهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شديدة؛ لظهور المعاصي وانتشار الفساد في غالب المعمورة.

قدمه الله عزّ وجلّ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : فقال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)) التوبة.

من مهام وأعمال الرسل عليهم السلام: قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) النحل.

من صفات الرسول ﷺ : قال تعالى(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ) الأعراف.

من صفات المؤمنين : قال تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) التوبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: ومن لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرّمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً.

---

(١) صحيح مسلم

من خصـــال الصـــالحين : قال تعالى: (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) آل عمران.

من خيرية هذه الأمة : قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله -: هذه الآية مدح لأمة محمد ﷺ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ويظل هذا معها ما أقاموا ذلك، فإذا تركوا ذلك التغيير زال عنهم اسم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو شرط الخيرية [١].

من أسباب النصر والتمكين في الأرض: قال تعالى: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) الحج.

من أسباب تكفير الذنوب : عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ قَالَ فَقُلْتُ أَنَا. قَالَ إِنَّكَ لَجَرِىءٌ وَكَيْفَ قَالَ قَالَ قُلْتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ (فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلاَةُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ) [٢].

من علامات البطانة الصالحة: عن أبي سعيد الخدري: عن النبي ﷺ قال (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى) [٣]

من أعظم الجهاد: عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)[٤]

عظم فضل القيام به : قال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)) النساء.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٤ ص١٧٣.
(٢) متفق عليه
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح سنن الترمذي

ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) [١]

الدين النصيحة: عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا لِمَنْ قَالَ (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) [٢].

عدم الخوف من قول الحق: وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه (أو شهده أو سمعه) [٣]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس تدخلاً في شؤون الغير: شاع في بعض أوساط الناس الغفلة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبروا ذلك تدخلاً في شؤون الغير؛ وهذا من قلة الفهم ونقص الإيمان، فعن أبي بكر ﷺ قال: يا أيها الناس! إنكم لتقرؤون هذه الآية: (يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) [٤]

أعظم المعروف: الدعوة إلى التوحيد الخالص: إن أعظم معروف ذكره الله تعالى في كتابه العزيز هو الدعوة إلى توحيده سبحانه وتعالى، وإخلاص العمل له وحده، والتوحيد هو الرسالة التي أرسل الله بها رسله إلى الناس كاف، قال تعالى:(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)النحل.

سبب للنجاة في الدنيا والآخرة: قال تعالى(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)الأعراف.

وعن النعمان بن بشير ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: مَثَلُ القَائِمِ في حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوْا جَميعا)[٥]

من كره المنكر برئ ومن أنكر سلم: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ (إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ). قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نُقَاتِلُهُمْ قَالَ (لاَ مَا صَلَّوْا). أَيْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ [٦].

الأمر بالمعروف وانكار المنكر فرض كفاية : والدليل قوله تعالى(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) السلسلة الصحيحة
(٤) صحيح سنن الترمذي
(٥) صحيح البخاري
(٦) صحيح مسلم

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) آل عمران.

وقوله تعالى(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)التوبة. ، وهكذا، فإن هذه الفرقة التي تفقهت في الدين، هي التي تستطيع أن تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ (مَا مِنْ نَبِىّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِى أُمَّةٍ قَبْلِى إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)[١].

وسمع ابن مسعود ﷺ رجلا يقول: (هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر) يشير ابن مسعود إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك، وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة، ويقول أبي حامد الغزالي –رحمه الله -في الإحياء: أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين [٢].

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله -: (فمن شهد الخطيئة فكرهها بقلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها ولم ينكرها؛ لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب وهو فرض على كل مسلم لا يسقط عن أحد في حال من الأحوال).

يدلّ كلام ابن رجب أن قولهم إنكار المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين بأن مرادهم الإنكار باليد واللسان اللذين يحصل تغيير المنكر بهما أو بأحدهما، وأما الإنكار بالقلب ففرض عين على كل مسلم، وهذا أمر ينبغي التفطن له

ثانياً: الترهيب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره

من صفات المنافقين: على عكس أهل الشر والفساد (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ

---

(١) صحيح مسلم

(٢) إحياء علوم الدين ج١ ص١٦.

يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)) التوبة.

وقوع الهلاك والعذاب: قال الله عزّ وجلّ: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)) الأنفال.

وعن زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ). وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ) (١).

عدم إجابة الدعاء: عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)(٢).

اللعنة والطرد من رحمة الله: قال تعالى (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)المائدة.

توبيخ الله لهم : قال تعالى (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)المائدة ، وقال ابن جرير الطبري: (كان العلماء يقولون ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية ولا أخوف عليهم منها) (٣).

أعظم المنكر: الشرك بالله تعالى: ينبغي أن يكون من المعلوم أن أعظم المنكر، هو الشرك بالله تعالى، لأنه محبط للأعمال، ولا يغفره الله تعالى، يقول الله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً)النساء.

حال من خالف قوله فعله: قال تعالى(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) البقرة.، وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)) الصف. وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أن النبي ﷺ قال (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِى النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ

(١) متفق عليه
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) جامع البيان للطبري ج٦ ص٢٩٨.

وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ [١]، ومعنى (فتندلق) تخرج وتنصب بسرعة. (أقتابه) جمع قتب وهي الأمعاء والأحشاء. (برجاه) حجر الطاحون التي يديرها.

هذه حال من خالف قوله فعله -نعوذ بالله من ذلك- تسعر به النار، ويفضح على رؤوس الأشهاد، ينظر إليه أهل النار، ويتعجبون !! كيف يلقى في النار ؟!! ويدور في النار كما يدور الحمار بالرحى، وتندلق أقتاب بطنه، يسحبها، لماذا ؟!! لأنه كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه فعُلِمَ بذلك أن المقصود الأمر بالمعروف مع فعله، والنهي عن المنكر مع تركه.

تسلُّط الفساق والفجار: وتزيين المعاصي، وشيوع المنكر واستمراره، ظهور الجهل، واندثار العلم، وتخبط الأمة في ظلمة حالكة لا فجر لها. ويكفي عذاب الله عزّ وجلّ لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسلط الأعداء والمنافقين عليه، وضعف شوكته وقلة هيبته.

ثالثاً: من أحكام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحكم الأول: آداب من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر:

لقد ذكر أهل العلم آداباً ينبغي أن يتحلى بها كل من يريد أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نوجزها فيما يلي:

إخلاص العمل لله وحده: إن أساس قبول الأعمال، وحصول ثواب الله تعالى هو إخلاص الأعمال لله تعالى؛ فإن من احتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقه الله تعالى للقيام بهذه المهمة السامية، قال الله تعالى في محكم التنزيل:(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)البينة.

العلم: لا بد لمن يقوم بالأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون على علم بموقع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون على علم بحال من يأمره وينهاه، حتى يقتصر في تصرفه على حدود الشرع الحنيف، لأنه إذا كان جاهلاً بهذه الأمور، فإنه سوف يفسد أكثر مما يصلح، ولذا قال بعض العلماء: (إن على من يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عالماً بما يأمر به وعالماً بما ينهى عنه) [٢].

الرفق وحسن الخلق: يعتبر الرفق وحسن الخلق من صفات من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فالعنف والغضب المفرط في الدعوة قد يؤديان إلى مفسدة عظيمة لا يحمد عقباها، وهذا الخلق

---

(١) متفق عليه

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص١٦٤.

المبارك من الرفق ولين الجانب، هو الذي تربى عليه الأنبياء والمرسلون، وساروا عليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحكام وعامة الناس.

قال تعالى عند الحديث عن موسى وهارون:(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى *فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)طه، وقال الله تعالى أيضاً مخاطباً النبي ﷺ ومخاطباً كل من يدعو إلى الله تعالى:(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)النحل.

وقال سبحانه:(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)[آل عمران] ، وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ (يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) (١).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى) (٢).

وقال الشيخ سيد قطب -رحمه الله -: (إن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ) (٣).

الصبر وتحمل الأذى: يعتبر الصبر على الأذى من الدعائم التي يجب أن يستند عليها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وطالما كان هناك أمر بمعروف ونهي عن منكر، فالغالب أن يصاحبهما أذى من الناس، ويظهر هذا جلياً في وصية لقمان لابنه: قال تعالى (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) لقمان. ، ولذا أوصى الله تبارك وتعالى الرسل بالصبر، فقال سبحانه مخاطباً نبيه ﷺ: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) الأحقاف، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا بد من العلم والرفق والصبر، فالعلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده) (٤).

الحكم الثاني: شروط الفعل المطلوب إنكاره:

لقد اشترط أهل العلم للفعل المطلوب إنكاره شروطاً يمكن أن نوجزها فيما يلي (٥):

أن يكون الفعل منكراً: لا بد للفعل المطلوب إنكاره أن يكون قبيحاً شرعاً، ولا يختص وجوب الإنكار على الكبائر دون الصغائر، ولا يشترط أن يكون معصية، فمن رأى صبياً أو مجنوناً يشرب

---

(١) متفق عليه
(٢) جامع العلوم والحكم ج٣ ص٩٦٣.
(٣) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ج٤ ص٢٣٠٢.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٨ من ص١٣٤ إلى ص ١٣٧.
(٥) الموازين ص١٨ إلى ص ٢١.

الخمر، فعليه أن يمنعه، وإن كان هذا لا يسمى منكراً في حق الصبي والمجنون.

أن يكون المنكر موجوداً: ويشترط في الفعل المنكر المطلوب منعه أن يكون مستمراً، فإن من فرغ من شرب الخمر مثلاً، لم يكن لأحد من الناس الإنكار عليه إلا بالوعظ والتعريف، إذا أفاق من سكره، ومن الأفضل الستر عليه مع ذلك، حتى لا يقام عليه الحد إذا وصل أمره إلى الإمام، وذلك بدليل ما رواه الشيخان من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) [١].

أن يكون المنكر ظاهراً بغير تجسس: لا يجوز للمحتسب التجسس من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الله حرم التجسس على عورات الناس، فقال سبحانه:(وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً)الحجرات.

أن يكون المنكر معلوماً بغير اجتهاد: قال الإمام النووي: (إن العلماء إنما ينكرون على ما أجمع على إنكاره، وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم) [٢].

الحكم الثالث: كيف تنهى عن المنكر؟

ذكر الإمام ابن قدامة في كتابه مختصر منهاج القاصدين درجات لنسير عليها، عند تغيير المنكر وهي بالترتيب كما يلي:

التعريف بالمنكر: قد يقدم العبد على فعل المنكر، وهو لا يدري أنه منكر، ومثل هذا الشخص ربما إذا علم أن ذلك منكر، أقلع عنه في الحال، فيجب تعريفه باللطف والرفق، ويقال له مثلاً: إن الإنسان لا يولد عالماً، وإننا كنا كذلك فسخر الله لنا من علمنا، وليس من العيب أن نخطئ، ولكن من العيب أن نعلم الخطأ ونستمر في عمله.

النهي عن المنكر بالوعظ، والنصح، والتخويف بالله: إذا أقدم إنسان على فعل منكر مع علمه بأن ذلك حرام، مثل: الغيبة والنميمة والرشوة، والتعامل بالربا، وأكل أموال اليتامى ظلماً، فإن مثل هذا ينبغي أن ينصح بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يذكر بآيات القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة التي تحتوي على التهديد والوعيد من رب العالمين، وينبغي للمحتسب أن ينظر إلى فاعل المنكر بعين الرحمة، وأن يتخيل نفسه مكانه، فكيف يجب أن يعامله الآخرون في مثل هذا الموقف؟

---

(١) متفق عليه

(٢) مسلم بشرح النووي ج٢ ص٢٣، ٢٤.

وليتذكر المحتسب أيضاً قول النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [١].

النهي عن المنكر بالتغليظ في القول: إذا رأى من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن صاحب المنكر لم يرجع عنه بالتعريف، ولا بالوعظ، ولا التخويف بآيات الله، وعلم أنه مصر على الاستمرار في عمل المنكر وأظهر الاستهزاء، فإن الناهي ينتقل إلى التغليظ في القول، مثل أن يقول له: يا من لا يخاف الله، يا ..... مع الحذر من استرسال الناهي في تغليظ القول حتى لا يقول ما لا يجوز شرعاً، وقد جاء بيان هذه الدرجة من النهي عن المنكر في كلام إبراهيم لقومه حيث يقول الله تعالى:(أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ)الأنبياء.

النهي عن المنكر عن طريق التهديد بالأذى: إذا رأى الناهي عن المنكر أن التغليظ في القول لا تأثير له على صاحب المنكر، فإنه ينتقل إلى التهديد بإيقاع الأذى كأن يقول لصاحب المنكر: إن لم تتوقف عن فعل هذا الأمر، لأفعلن بك كذا وكذا، فلعل هذا التهديد يجعله يترك هذا المنكر، ويراعى أن يكون التهديد بشيء يقدر عليه الناهي كطرد صاحب المنكر من العمل، أو السكن، أو بإبلاغ ولاة الأمر عنه.

النهي عن المنكر عن طريق التغيير باليد: إذا رأى الناهي عن المنكر أن هذا الفعل المنكر الذي هو بصدده لم يتوقف باستخدام التعريف، أو الوعظ، أو التغليظ في القول، أو التهديد بالأذى فإنه يلجأ إلى تغيير هذا المنكر باليد، وذلك بشرطين كما يلي:

أ-أن تكون لديه القدرة على هذا التغيير، كأن يكون ولي أمر، أو محتسباً من قبل الإمام.

ب-ألا يؤدي هذا التغيير إلى منكر أكبر، فإذا ترتب على ذلك مفسدة عظيمة، أصبح عدم التغيير واجباً، وقال بعض العلماء: إن التغيير باليد يكون لولاة الأمور فقط، حتى لا تحدث مفسدة بين الناس، وأن يُعطى الإذن للمحتسب للتغيير باليد.

ومن أمثلة التغيير باليد إراقة الخمر، وكسر آلات اللهو، وغير ذلك، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ، كما يلي: عن عمر بن الخطاب أنه قال: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لاَ أَرَاهُمَا إِلاَّ خَبِيثَتَيْنِ هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا) [٢]، وقال الإمام القرطبي -رحمه الله -: قال العلماء: (الأمر بالمعروف باليد على الأمراء وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء يعني عوام الناس) [٣].

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح مسلم
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٤ ص٤٩.

التغيير بضـــرب صـــاحب المنكر: إذا لم ينته صـــاحب المنكر عنه بعد التخلص من الآلات التي يستخدمها في عمل هذا المنكر، فإن للناهي عن المنكر أن يضربه باليد، أو العصا، أو غير ذلك مع عدم الاسترسال في الضرب حتى لا يؤدي إلى منكر أكبر، مع مراعاة أن هذه الطريقة تكون من ولي الأمر، أو من فوضه ولي الأمر.

النهي عن المنكر عن طريق الاستعانة بالناس: إذا وجد الناهي عن المنكر أنه لا يستطيع التغيير بنفسه، ورأى أنه يحتاج إلى الاستعانة بالناس، فله ذلك بشرط الحصول على إذن من ولاة الأمور، لأن صاحب المنكر ربما يستعين بأعوانه، ويؤدي ذلك إلى قتال بين الناس ويترتب على ذلك فساد كبير.

الحكم الرابع: أحوال تغيير المنكر

قسم الإمام ابن قدامة أحوال تغيير المنكر إلى أربعة أحوال هي:

الحالة الأولى: أن يعلم المســـلم أن المنكر يزول بقوله، أو فعله من غير مكروه يلحقه، فهذا يجب عليه الإنكار؟

الحالة الثانية: أن يعلم الناهي أن كلامه لا ينفع، وأنه إن تكلم ضرب، فهذا يرتفع عنه الوجوب.

الحالة الثالثة: أن يعلم المســـلم أن إنكاره لا يفيد، ولكنه لا يخاف مكروهاً، فلا يجب عليه الأمر بالمعروف لعدم الفائدة، ولكن يستحب الإنكار لإظهار شعائر الإسلام والتذكير بالدين.

الحالة الرابعة: أن يعلم الناهي عن المنكر أنه يصاب بمكروه وحده، ولكن يبطل المنكر بفعله، فإنه يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب.

ويجب أن تعرف أن المقصود بالعلم في هذه الأحوال الأربعة هو غلبة الظن.

نسأل الله تعالى ان يجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الله آمين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهمية العمل التطوعي

الحمد لله العليم الحكيم العزيز الغفار، القهار الذي لا تخفى معرفته على من نظر في بدائع مملكته بعين الاعتبار، القدوس الصمد التعالي عن مشابه الأغيار، الحي العليم الذي تساوى في علمه الجهر والإسرار، السميع البصير الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير

ما في الوجود سواك رب يعبد ** كلا ولا مولى سواك فيقصد

يا من له عنت الوجوه بأسرها ** ذلا وكل الكائنات توحد

أنت الإله الواحد الفرد الذي ** كل القلوب له تقر وتشهد

ويا من تفر بالبهاء وبالسنا ** في عزه وله البقاء السرمد

يا من له وجب الكمال بذاته ** فلذاك تشقي من تشاء وتسعد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

إن الصلاة على المختار إن ذكرت ** في مجلس فاح منه الطيب إذ نفحا

محمد أحمد المختار من مضر ** أزكى الخلائق جمعا أفصح الفصحاء

صلى عليه إله العرش ثم على ** أهليه والصحب نعم السادة النصحا

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

العناصر

أولاً: تعريف العمل التطوعي ثانياً: أهمية العمل التطوعي

ثالثاً: مجالات التطوع ومقترحات لتطويره رابعاً: نماذج العمل التطوعي

خامساً: أثر العمل التطوعي على الفرد والمجتمع سادسا: معوقات العمل التطوعي

الموضوع

أولا: تعريف العمل التطوعي

عرفه اللحياني: بأنه (الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل مسئولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية)

وعرفه العلي: بأنه (بذل مالي أو عيني أو بدني أو فكري يقدمه المسلم عن رضا وقناعة، بدافع من

دينه، بدون مقابل بقصد الإسهام في مصالح معتبرة شرعاً، يحتاج إليها قطاع من المسلمين).

والمتطوع هو الشخص الذي يسخر نفسه عن طواعية ودون إكراه أو ضغوط خارجية لمساعدة ومؤازرة الآخرين بقصد القيام بعمل يتطلب الجهد وتعدد القوى في اتجاه واحد.

ثانيا: أهمية العمل التطوعي

أمر الله به: قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)المائدة

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الحج

من صفات الأنبياء: قال تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) سورة الأنبياء

من صفات المؤمنين: قال تعالى: (والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) [١]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم يرد مشدهم على مضعفهم ومتسريهم على قاعدهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده ولم يذكر ابن إسحق القود والتكافؤ) [٢].

ومهما دق ذلك العمل فإنه مثاب عليه إذا كان خالصاً صوابا

العمل التطوعي إيمان صادق بالله: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) [٣].

محبة النبي ﷺ: البالغة لأهل الأعمال التطوعية وعنايته بهم، وتفقده لهم.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ -أَوْ شَابًّا -فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا -أَوْ عَنْهُ -فَقَالُوا مَاتَ. قَالَ (أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِى). قَالَ فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا -أَوْ أَمْرَهُ -فَقَالَ (دُلُّونِى عَلَى قَبْرِهِ). فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ (إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِى عَلَيْهِمْ) [٤] ، قوله:)تَقُمُّ) هُوَ بفتح التاءِ وضم القاف: أي تَكْنُسُ.)وَالقُمَامَةُ): الكُنَاسَةُ، (وَآذَنْتُمُونِي) بمد الهمزة: أيْ: أعْلَمْتُمُونِي.

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح سنن أي داود (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح مسلم

وجوب العمل التطوعي: عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ - قَالَ - تَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِى دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ - قَالَ - وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) [١] ، والسُّلامى: بضم المهملة وتخفيف اللام مع القصر أي مفصل، أصله عظام الأصابع وسائر الكف ثم استعمل في جميع عظام البدن

فيه الخير الكثير: قال تعالى:(لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) سورة لنساء

فالأمر هنا: عمل تطوعي بدني سواء كان أمراً بصدقة أو أمراً بمعروف والسعي والإصلاح بين الناس: عمل تطوعي بدني، و(ابتغاء مرضات الله) أي مخلصاً في ذلك محتسباً مريداً وطالباً رضوان الله (فسوف نؤتيه أجراً عظيما) أي ثواباً جزيلاً كثيراً واسعاً.

أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة: عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النبي -ﷺ-قَالَ (الساعي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ -وَأَحْسِبُهُ قَالَ -وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ) [٢] ومعنى يفتر: يضعف ويكسل، وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين) [٣] ، وبلا شك أن منزلة الصيام والصلاة عظيمة فهما ركنان من أركان الإسلام والمراد هنا بالصلاة التي إصلاح ذات البين خير منها صلاة النوافل وليس الفرائض ولكنهما عمل محصور أجره وثوابه على صاحبه بينما إصلاح ذات البين: نفع متعدي إلى الآخرين وقاعدة الشريعة: أن النفع المتعدي أولى من النفع القاصر، بمعنى أن من يقضي وقته بإصلاح ذات البين أفضل ممن يشغل وقته بنوافل الصيام والصلاة.

خير من الاعتكاف في مسجد النبي ﷺ: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ (أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في المسجد شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح الترغيب والترهيب

تزل الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل) [١]

من أسباب إعانة الله للعبد: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) [٢].

إعانة ذوي الاحتياجات الخاصة من أفضل الأعمال : وكف الشر عن الناس درجة عليا من درجات العمل التطوعي فعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ (الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِى سَبِيلِهِ). قَالَ قُلْتُ أَىُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ قَالَ (أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا). قَالَ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ قَالَ (تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ). قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ قَالَ (تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ) [٣]. رجل أخرق: لا صنعة له

وعد الله لهم بالجنات: قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) آل عمران.

أ- وعد الله تبارك وتعالى أهل الإيمان المتطوعين بأعمال الإحسان المسارعين بجنة عرضها السموات والأرض

ب-وصفهم الله من خلال النص السابق بأنهم أهل الإحسان والتقوى.

ج-وبشرهم تعالى من خلال النص السابق أنه يحبهم (والله يحب المحسنين)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ-قَالَ (لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِى الْجَنَّةِ فِى شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِى النَّاسَ) [٤]

من أقوال التابعين:

أ-يقول الحسن رحمه الله: (إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة) ويقول (من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في الدنيا فألقها في نحره)

ب-مالك بن دينار (إن صدور المسلمين تغلي بأعمال البر وإن صدور الفجار تغلي بأعمال الفجور،

(١) صحيح الجامع (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح مسلم (٤) صحيح مسلم

والله تعالى يرى همومكم فانظروا ما همومكم رحمكم الله.

ج-ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: (رحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين)

فالإنسان المسلم يعرف بأنه سيلتقي مع الله، وأن لله عز وجل وعد وعداً صادقاً لهذا الإنسان بأن يعطيه الأجر الذي يحفظه. هذا الإنسان لا يحتاج إلى إعلان كبير، يحتاج فقط أن يلتفت إلى وعد الله عز وجل. وإلى صدق وعد الله سبحانه وتعالى. فهذا العمل الذي يسمى في المصطلح المدني عمل تطوعي. هذا العمل لابد من الحاجة إليه، لكي يصلح المجتمع، وترتفع كثير من مشكلاته وتمسح كثير من دموعه، وترتفع كثير من آهاته وتوقعاته

الندم في الآخرة على عدم فعل الخير: قال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ) المؤمنون

حرمة الامتناع عن الخير: عن أَبي مريم الأزدِيّ -ﷺ-: أنّه قَالَ لِمعاوية -ﷺ-: سَمِعْتُ رسول الله -ﷺ-، يقول:)مَنْ وَلاَّهُ اللهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فجعل معاوية رجلاً عَلَى حوائج النَّاسِ [١].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يملوهم فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم) [٢]

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال) [٣]

ثالثاً: مجالات التطوع ومقترحات لتطويره

أ-مجالات التطوع

مجال العبادة: من خلال التطوع بالنوافل والسنن والقربات، والأمر واسع ومتاح للتنافس والتسابق في شتى أنواع العبادات كالصلاة والصيام والصدقات وغيرها.

المجال الدعوي: كنشر الدعوة الإسلامية، وتعليم القرآن الكريم حفظا وأداء وتدبرا، وإعداد الوعاظ، وطلاب العلم، وكفالة الداعية، والباحثين، وبناء الساجد

المجالات العلمية: كإنشاء المكتبات والمدارس والمعاهد، والجامعات، ومراكز البحوث، والدراسات، ورعاية الموهوبين، وسائر المؤسسات العلمية التي لا يكون هدفها الربح المالي، ثم القيام عليها

(١) صحيح سنن الترمذي (٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣) صحيح الترغيب والترهيب

ودعمها.

المجالات المالية، التي تتطلب دفع المال وتقديمه بسخاء من أجل نفع الناس ومساعدتهم وكفالة الأيتام، والفقراء، والمحتاجين، والأرامل، وأصحاب الأمراض.

المجالات الحرفية، من خلال التطوع فيما يتقن من أنواع الحرف المفيدة النافعة التي تعالج مشكلات الفقر وغيرها، كالزراعة والصناعة، والتجارة، الخ.

المجالات الفكرية، من خلال وضع الخطط الرائدة النافعة للمجتمع والأمة الإسلامية، والآراء الصائبة والنصائح القيمة،

المجالات الصحية كإنشاء المستشفيات ومراكز البحوث الصحية

المجالات التربوية كالندوات، ورعاية الأسرة، والتوجيهات الأسرية، ورعاية النشء من الانحرافات.

المجالات الإعلامية كنشر المجلات النافعة، وإنشاء القنوات الفضائية الهادفة، ودعمها بعدة لغات، وطباعة الكتب المفيدة، والترجمة.

المجالات الاقتصادية كإنشاء البنوك الإسلامية، ومعالجة الفقر، ودعم الدول الفقير، ووضع الخطط التطويرية

المجالات الاجتماعية كإنشاء لجان الإصلاح المحلية وإصلاح ذات البين، وإعداد برامج أسرية، وتربية الأولاد.

ب-مقترحات لتطوير العمل التطوعي:

أهمية تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة وذلك من خلال قيام وسائط التنشئة المختلفة كالأسرة والمدرسة والإعلام بدور منسق ومتكامل الجوانب في غرس قيم التضحية والإيثار وروح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة.

أن تضم البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته ودوره التنموي ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية؛ مما يثبت هذه القيمة في نفوس الشباب مثل حملات تنظيف محيط المدرسة أو العناية بأشجار المدرسة أو خدمة البيئة.

دعم المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي مادياً ومعنوياً بما يمكنها من تأدية رسالتها وزيادة خدماتها.

إقامة دورات تدريبية للعاملين في هذه الهيئات والمؤسسات التطوعية مما يؤدي إلى إكسابهم

الخبرات والمهارات المناسبة، ويساعد على زيادة كفاءتهم في هذا النوع من العمل، وكذلك الاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال.

التركيز في الأنشطة التطوعية على البرامج والمشروعات التي ترتبط بإشباع الاحتياجات الأساسية للمواطنين؛ الأمر الذي يساهم في زيادة الإقبال على المشاركة في هذه البرامج.

مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيراً في تعريف أفراد المجتمع بماهية العمل التطوعي ومدى حاجة المجتمع إليه وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك إبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.

تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل الاجتماعي التطوعي؛ مما يسهم في تحسين واقع العمل الاجتماعي بشكل عام، والعمل التطوعي بشكل خاص.

استخدام العمل التطوعي في المعالجة النفسية والصحية والسلوكية لبعض المتعاطين للمخدرات والمدمنين أو العاطلين أو المنحرفين اجتماعياً.

استخدام التكنولوجيا الحديثة لتنسيق العمل التطوعي بين الجهات الحكومية والأهلية لتقديم الخدمات الاجتماعية وإعطاء بيانات دقيقة عن حجم واتجاهات وحاجات العمل التطوعي الأهم للمجتمع، إن للعمل الاجتماعي التطوعي فوائد جمة تعود على الفرد المتطوع نفسه وعلى المجتمع بأكمله، وتؤدي إلى استغلال أمثل لطاقات الأفراد وخاصة الشباب في مجالات غنية ومثمرة لمصلحة التنمية الاجتماعية

رابعا: نماذج العمل التطوعي

النبي ﷺ: شهادة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ بصور كثيرة من صور العمل التطوعي: وذلك أنه لما رأى جبريل عليه السلام ونزل عليه بقول الله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ (زَمِّلُونِى زَمِّلُونِى). فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ (أَىْ خَدِيجَةُ مَا لِى). وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ قَالَ (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِى). قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ كَلاَّ أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِى الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ([1]، (تحمل الكل) تكفل اليتيم وتحمل ثقل العجزة. (تكسب المعدوم) تفوز بمعاونة الفقير وتتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك. (تقري الضيف) تحسن إليه

(١) متفق عليه

وتكرمه. (نوائب الحق) ما ينزل بالإنسان من حوادث ومصائب جمع نائبة

تطوع ذو القرنين ببناء السد: قال تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)) سورة الكهف

تفسير الآيات: يأجوج ومأجوج: من ذرية آدم خلق من خلق الله أهل شر وفساد وهم أكثر أهل النار وقد حال الله بينهم وبين الإفساد في الأرض والإفساد على الخلق بسد ذي القرنين فإذا جاء وعد الله جعل هذا السد الذي عجزوا عن نقبه والصعود عليه دكاً فيخرجون من كل حدب ينسلون ويعيثون في الأرض فساداً ويمرون على بحيرة طبرية فيشربون ماءها ويمر بها آخرهم فيقول كان بهذه ماء فيقتلون ويسلبون وينهبون ويظلمون ويحصر عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الطور بعد أن يوحي الله إليه إني قد أخرجت عباداً لي لا يداً لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويؤمر عموم الناس بالهرب منهم وعدم مواجهتهم فمن طغيانهم وبغيهم وفسادهم أنه بعد أن يعيثوا في الأرض قتلاً وتدميراً وإهلاكاً للحرث والنسل يقولون قتلنا أهل الأرض فلنقتل أهل السماء فيرمون بنشبهم إلى السماء فيرجعها الله فتنة لهم مخضبة بالدماء فيقولون قتلنا أهل الأرض وقتلنا أهل السماء وتكون نهايتهم أن يجأر من بقي من أهل الأرض وعلى رأسهم عيسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين بالشكوى إلى الله أن يرفع عنهم البأساء والضراء فيرسل الله على يأجوج ومأجوج دود النَغف في رقابهم فيصبحون موتى جميعاً في ليلة واحده في كل أصقاع الأرض كموت نفس واحدة، فكان بناء السد نعمة عظمى للبشرية وسبباً من أسباب هناء العيش على الأرض (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا)

قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: (خرجاً): أي أجراً عظيماً يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالاً يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا.

فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير:(ما مكّني فيه ربي خير) أي إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه كما قال سليمان عليه السلام: (أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم)

وهكذا قال ذو القرنين الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه ولكن ساعدوني بقوة أي بعملكم وآلات البناء (أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد) والزبر: جمع زبرة وهي القطعة منه.

سيدنا موسى عليه السلام: قال تعالى:(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)) القصص

(ولما ورد ماء مدين) أي وصل إليه، وهو الماء الذي يستقون منه (وجد عليه أمة من الناس يسقون) أي وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم، ومدين اسم للقبيلة لا للقرية، (ووجد من دونهم) أي من دون الناس الذين يسقون ما بينهم وبين الجهة التي جاء منها، (امرأتين تذودان) أي تحبسان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلو بينهما وبين الماء. ،(قال ما خطبكما) أي قال موسى للمرأتين: ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟ ، (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) أي أن عادتنا التأني حتى يصدر الناس عن الماء وينصرفوا منه حذراً من مخالطتهم، أو عجزاً عن السقي معهم والرعاء: جمع راعٍ، (وأبونا شيخ كبير) عالي السن لا يقدر أن يسقى ماشيته من الكبر فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان أن نسقي الغنم لعدم وجود رجل يقوم لنا بذلك.

فلما سمع موسى كلامها رحمهما وسقى لهما أغنامهما، فلما فرغ من السقي لهما تولى إلى الظل أي انصرف إليه فجلس فيه ونادي ربه (قال رب إني لما أنزلت إلى من خير) أي خير كان (فقير) أي محتاج إلى ذلك، قيل أراد بذلك الطعام، ولما قدم إلى موسى الطعام قال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بملأ الأرض ذهبا، وذهب أكثر المفسرين: إلى أن المرأتين ابنتا شعيب عليه السلام فحصل له سكينة وطمأنينة إلى رسول من رسل الله، وزوجته هي ابنة رسول، وطعام حلال بإجارة شريفة.

فكان هذا العمل التطوعي الصالح سبباً وباب خير له عليه الصلاة والسلام

سيدنا الخضر عليه السلام: قال تعالى:(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)) سورة الكهف

وهذا الأب كان الأب السابع لهذين الغلامين اليتيمين وفيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى درجة الصالحين

في الجنة لتقر عينه بهم قال ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاح، قال الحسن البصري: (وكان تحته كنزهما) قال: لوح من الذهب مكتوب فيه باسم الله الرحمن الرحيم

السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها : فقد بذلت جهدها ومالها في مؤازرة الرسول ﷺ والدفاع عنه ولم تدخر جهدا في نصرة النبي ﷺ الا فعلته حتى توفيت.

زينب بنت جحش رضي الله عنها : عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ (أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِى أَطْوَلُكُنَّ يَدًا). قَالَتْ فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا. قَالَتْ فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ) [١]، والمقصود بطول اليد: كثرة مدها بالعطاء للفقراء، فقد كانت رضي الله عنها تعمل بيدها وتتصدق على الفقراء وتقول عنها عائشة رضي الله عنها: (وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِى الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ ابْتِذَالاً لِنَفْسِهَا فِى الْعَمَلِ الَّذِى تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) [٢]

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: تضحي بنطاقها وتشقه نصفين وهو أغلى وأثمن ما تملك رضي الله عنها تقول (صنعت سفره للنبي ﷺ وأبي بكر حين أراد المدينة، فقلت لأبي: ما أجد شيئاً أربطه إلا نطاقي قال: فشقيه ففعلت فسُميت ذات النطاقين) [٣]

الشفاء بنت عبد الله: التي كانت تقوم بتعليم نساء النبي ﷺ -خاصة حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ القراءة والكتابة.

وإذا أردت أن تستقرأ تلك الأعمال التطوعية الجليلة فاقرأ في كتب سير هؤلاء الرجال العظماء ولا يزال هذا الموكب الإيماني والركب النوراني يتهادى في دروب الأعمال التطوعية الصالحة وها أنت ترى بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام على وفاة النبي ﷺ أمته تقتفى سنته وتتبع أثره وتعتصم بحبل الله المتين القرآن الكريم وتستن بسنة خير المرسلين.

فتجد من يتطوع في تعليم الناس أمور دينهم من إلقاء الدروس والمحاضرات والندوات ابتغاء ما عند الله لا ما عند الخلق ، وتجد من ينتدب نفسه لمعالجة الفقراء والمعوزين ، وتجد من ينتدب نفسه لدلالة التائهين من الحجاج ومساعدة العجزة وسقيا الماء ، وتجد من يدافع عن حقوق المظلومين والمأسورين والمقهورين والضعفاء ، وتجد من النساء من تعد أنواع المطبوخات لتصرفها في الأسواق الخيرية لدعم مشاريع تحفيظ القرآن ، وتجد من احتسب نفسه ووقته وجهده في نفع إخوانه المسلمين في باب الرقية الشرعية ، وتجد من احتسب من النساء في تجهيز بنات

---

(١) صحيح مسلم (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح مسلم

الفقراء لأزواجهن بالخضاب والطيب وترتيب الشعر ، وإعارة الحلي والملابس ، وتجد من احتسب في إيناس المرضى بزيارتهم وتفريحهم وإدخال السرور عليهم .

خامسا: أثر العمل التطوعي على الفرد والمجتمع

أ-على الفرد

تنمية وإثراء الحس الإيماني لدى الشباب

كسب الأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

تنمية قيمة الاحتساب والعمل ابتغاء وجه الله عز وجل

استثمار الأوقات الذهبية لدى الشباب في نفع الأمة

تعويد الفرد على تحمل المسؤولية.

الارتقاء بفكر الشباب إلى معالي الأمور

تهذيب الشخصيَّة ورفع عقلية الشح

يتيح للفرد تعلم مهارات جديدة أو تحسين مهارات يمتلكها.

ب-على المجتمع

غرس القيم النبيلة والشريفة بين أفراد المجتمع

الحفاظ على الشباب من الانحرافات السلوكية والفكرية المنحرفة.

حل المشاكل والمعضلات وخاصة وقت الأزمات.

التآلف والتحاب بين الناس

معالجة النظرة العدائية تجاه الآخرين والحياة.

التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع.

الزيادة من قدرة الإنسان على التفاعل والتواصل مع الآخرين

الحد من النزوع إلى الفردية وتنمية الحس الاجتماعي.

سادساً: معوقات العمل التطوعي:

\-معوقات شخصية:

الجهل بأهمية وأهداف العمل التطوعي.

عدم إجادة المتطوع للدور المطلوب منه

سعى بعض المتطوعين إلى تحقيق مكاسب شخصية وهو ما يتعارض مع طبيعة العمل التطوعي.

ب-معوقات إدارية:

عدم وضع المتطوع في العمل المناسب لقدراته وميوله واستعداداته.

عدم مشاركة المتطوع في بناء التنظيمات والهياكل الإدارية.

عدم تهيئة الأماكن المناسبة للعمل والإنتاج.

ضعف اللوائح والأنظمة الخاصة بالعمل التطوعي

عدم توافر برامج خاصة لتدريب المتطوعين قبل تكليفهم بالعمل.

عدم التقدير المناسب للجهد الذي يبذله المتطوع.

انتفاء المؤسسية وشخصنه العمل التطوعي في بعض المنظمات التطوعية، ومن مظاهرها المحاباة في إسناد الأعمال، وتعيين العاملين من الأقارب من غير ذوي الكفاءة.

ج-معوقات اجتماعيه:

عدم معرفة المجتمع بأهمية العمل التطوعي

عدم وجود لوائح وتنظيمات واضحة تنظم العمل التطوعي وتحميه.

استغلال العمل التطوعي لتحقيق أهداف غير مشروعة

د-معوقات اقتصادية:

عدم توفر المبالغ اللازمة للعمل التطوعي، مما قد يوقع بعض المنظمات التطوعية في فخ المنح والمساعدات الأجنبية التي تكمن ورائها أهداف مشبوهة.

فرض ضرائب ورسوم جمركية كبيره على معدات وأجهزة وآليات المنظمات والهيئات التطوعية.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

إياك والرشوة

الحمد لله الذي بفضـــله تهل علينا البركات وبغفرانه تغفر الذنوب والســيئات وبرحمته يتراحم أهل الأرض والســماوات وبرضــاه يرضــى الآباء والأمهات احمده حمد الحامدين واذكره ذكر الذاكرين واشكره شكر الشاكرين فهو رب العالمين

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

قف بـالخضـــوع ونـادي يـا الله ** إن الـكـريـم يـجـيـب مـن نـاداه
واطلـب بطـاعتـه رضـــاه فلم ** يزل بـالجود يرضـــي طـالبين رضـــاه
واقصـــده منقطعـا إليـه فكـل ** من يقصـــده منقطعـا إليـه كفـاه
شـــملـت لـطـائـفـه الـخـلائـق ** كـلـهـا مـا لـلـخـلائـق كـافـل الاه
فـعـزيـزهـا وذلـيـلـهـا وغـنـيـهـا ** وفـقـيـرهـا لا يـرتـجـون ســـواه
هـو أول هـو آخـر هـو ظـاهـر ** هـو بـاطـن لـيـس الـعـيـون تـراه
حـجـبـتـه أنـوار الـجـلال فـدونـه ** تـقـف الـعـيـون وتـخـرس الأفـواه

واشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله

تضئ الأرض لوجهه وتخر السماء لرؤيته أرسله الله رحمة للعالمين ففتح الله به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، صلى الله عليه وعلى سائر النبيين وارض الله عنا معهم أجمعين.

العناصر

أولاً: تعريف الرشوة وأركانها وأنواعها ثانيًا: وجوب طلب الرزق بالحلال

ثالثًا: الأسباب التي تساعد على انتشار الرشوة رابعًا: حرمة التعامل بالرشوة

خامسًا: كيفية مكافحة جرائم الرشوة

الموضوع

أولًا: تعريف الرشوة وأركانها وأنواعها

تعريف الرشـوة: في اللّغة: قال ابن الأثير: الرّشـوة الوصـلة إلى الحاجة بالمصـانعة، وأصـله من الرّشاء الذي يتوصل به إلى الماء .

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني: (ما يُعْطَى لِإبْطَالِ حَقٍّ أو لِإحْقَاقِ بَاطِلٍ).

وفي الشّق القانوني – تعرف على أنها استيلاء موظف عام على مبالغ من أجل القيام بمهام وظيفته

أركان الرشوة:

الرّاشي: هو الذي يبذل المال أو المنفعة لمن يحقق له مصلحة، أو يعينه على باطل.

المرتشي: هو الشخص المستفيد من غيره مالا أو منفعة لإيصال حقّ يجب عليه أداؤه إلى الراشي، أو أن يقوم له بمصلحة غير مشروعة.

الرّائش (أو الواسطة): الذي يسعى بينهما ليحقق مصلحة الطرفين.

الرشوة: وهي المال أو المنفعة التي تبذل بقصد حمل المرتشي على قضاء المصلحة المذكورة

أنواع الرشوة

الرشوة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يتوصل به إلى أخذ شيء بغير حق كالتي يدفعها الجاهل الآثم ن لحاكم أو مسئول من أجل الحصول على إعفاء من شيء وجب عليه أداؤه، أو للحصول على شيء قبل أوانه، أو من أجل ترويج سلعة فاسدة، أو من أجل أن يحظى بصيد ثمين في مزاد علني أو مناقصة عالمية، وما أشبه ذلك من الأمور التي يترتب عليها أكل أموال الناس بالباطل. وهذا النوع هو من أشد الأنواع جرما وأعظمها إثما وأكبرها خطرا على المجتمع.

النوع الثاني: ما يتوصل به إلى تفويت حق على صاحبه انتقاما منه بدافع من الغيرة والحسد وما إلى ذلك. وهو قريب من النوع الأول بل هو داخل فيه. وهل هناك شيء أكبر جرما من ظلم الأخ لأخيه بمثل هذه الوسيلة المخزية المردية ؟! ليس في العالمين أخبث سريرة، وأسوأ سيرة من ذلكم المحتال على الحاكم، لحماهم على تضييع الأمانة، وتفويت الحقوق على مستحقيها.

النوع الثالث: ما يتوصل به إلى منصب أو عمل وهو حرام بإجماع الأمة، وتشتد الحرمة إذا كان الراشي ليس جديرا بهذا المنصب، ولا أهلا لذاك العمل)

ثانياً: وجوب طلب الرزق بالحلال

أمر الله تعالى بطلب الرزق : قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [الملك آية ١٥]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:)أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم)

من طلب الرزق الحلال فهو في سبيل الله: عن كَعْبِ بن عُجْرَةَ ﷺ أنه قال: مَرَّ على النبي ﷺ، رَجُلٌ فَرَأَى أَصْحَابُ رسول اللَّهِ ﷺ من جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! لو كان هذا في سَبِيلِ اللَّهِ؟!

فقال رسول اللَّهِ ﷺ: إن كان خَرَجَ يَسْعَى على وَلَدِهِ صِغَارًا، فَهُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كان خَرَجَ يَسْعَى على أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ، فَهُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كان يَسْعَى على نَفْسِهِ يُعِفُّهَا، فَهُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كان خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً، فَهُوَ في سَبِيلِ الشَّيْطَانِ [١]

أمر الله تعالى بالكسب الطيب الحلال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّباً، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ :(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) .وَقَالَ :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) .ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟) [٢]

وقد سئل ﷺ (أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ)[٣]

اتق الشبهات: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ (إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ)[٤] .

لا يستوي الخبيث والطيب: قال تعالى: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب) المائدة

لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح: عن جابر بن عبد الله ﷺ قال خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت قالوا بلى يا رسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب ثم ذكر الحديث في تحريم الدماء والأموال والأعراض [٥]

وجوب الاستجابة لله والرسول: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الأنفال

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح مسلم
(٣) السلسلة الصحيحة
(٤) صحيح مسلم
(٥) صحيح الترغيب والترهيب

أمر النبي بالشفاعة في الحق: عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ (اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ) (١)

كل إنسان مسئول عن ماله: عن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه)(٢)

حال الأنبياء والسلف مع الرشوة

أ-سيدنا سليمان علية السلام : يرفض الرشوة في إباء واستعلاء، فعندما قالت ملكة سبأ:)وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون). ماذا فعل سليمان علية السلام ؟ قال الله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) (النمل ٣٦). صمود مبارك أمام الإغراء.

ب-عبد الله بن رواحة: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخيلهم من خراج فعرضوا عليه شيئاً من المال يبذلونه له فقال لهم : فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر قال : فجمعوا له حليا من حلي نسائهم فقالوا له : هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم فقال عبد الله بن رواحة : يا معشر اليهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم فأما ما عرضتم ... . الخ وزاد فقالوا بهذا قامت السماوات والأرض وهذا إسناده مرسل صحيح وفي رواية أتم منه ولفظه أفاء الله عز وجل خيبر على رسول الله ﷺ فأقرهم رسول الله ﷺ كما كانوا وجعلها بينه وبينهم فبعث عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم ثم قال لهم: يا معشر اليهود أنتم أبغض الخلق إلي قتلتم أنبياء الله عز وجل وكذبتم على الله وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر فإن شئتم فلكم وإن أبيتم فلي فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض قد أخذنا فاخرجوا عنا (٣)

ج-عمر بن الخطاب: وقد ذكر ابن كثير في تاريخه أن جيش المسلمين لما ظفروا بالنصر على إقليم (تركستان)، وغنموا شيئا عظيما أرسلوا مع البشرى بالفتح هدايا لعمر ﷺ، فأبى أن يقبلها وأمر

---

(١) متفق عليه
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صححه الألباني في غاية المرام

ببيعها وجعلها في بيت مال المسلمين.

د-عمر بن عبد العزيز: وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه اشتهى يوما التفاح فلم يجد ما يشتري به من ماله، وبينما هو سائر مع بعض أصحابه أهديت إليه أطباق من التفاح؛ فتناول واحدة فشمها ثم رده إلى مهديه، فقيل له في ذلك، قال: (لا حاجة لي فيه)، فقيل له: إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية، وأبو بكر وعمر! فقال: (إنها لأولئك هدية وهي للعمال رشوة).

ثالثاً: الأسباب التي تساعد على انتشار الرشوة:

يبدو أنّ الرشوة تتمشّى مع العوامل غير العادية لأنها مرض غير عادي ولذلك فإنها تفشو في المجتمعات الفاسدة: وأهمّ تلك الأسباب:

ضعف الوازع الديني، ونقص الإيمان، عند الرّاشي والمرتشي، والماشي بينهما، وهذا من أهمّ الدّوافع لأخذ الرشوة.

وقوع الظّلم والجور في المجتمعات؛ فيعمد العامّة لدفعها خوفا على أنفسهم، أو لكونها متفشية في أوساط المجتمع.

غلاء الأسعار في المجتمعات، وتدَنّي الرَّواتب، مما جعل الحاجيات عند شريحة من النّاس أمرا مهما بل ربما عدُّوها من الضّروريات، فركبوا ظهر الحرام ليشبعوا رغباتهم ويُدركوا حاجياتهم، ولو كانوا مؤمنين حقا ما فعلوا ذلك.

عدم مراقبة العمّال وأصحاب الولايات على الرّعية من قِبَلِ المسؤولين؛ فيتجرَّأُون في أخذ الرّشوة على أعمالهم.

وجود خلل في نظام السلطة؛ فلا يصل صاحب الحقّ إلى حقّه إلاّ بها.

انعدام الشّفافية والمساءلة في الدّول التي يفشو فيها الفساد المالي والاجتماعي.

الجشع والاستغلال والأنانية وعدم وجود الشّعور الاجتماعي للفرد.

الشّعور بعدم قيام الدولة بإنفاق الأموال بعدالة ورشد.

عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى (كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ).

رابعاً: حرمة التعامل بالرشوة وأضرارها

حرمة أكل أموال الناس بالباطل: قال تعالى: (وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة] فجاءت الآية الكريمة بعد انتهاء آيات

الصيام، وكأنّ الحقّ جلّ في علاه يقول يا معشر الصّائمين عن الحلال في شهر رمضان، صوموا عن الحرام طيلة الأيام، وإيّاكم وأكلَ مال الغير بالباطل سواء كان بالقمار أو الميسر أو الرّبا أو دفع الرّشوة للحكام، (اعتماداً على المغالطة في القرائن والأسانيد، واللّحن بالقول والحجّة، حيث يقضي الحاكم بما يظهر له، وتكون الحقيقة غير ما بدا له)[١]

وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) قال ابن كثير: نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل، أي: بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية، كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل... ولا تتعاطوا الأسباب المحرّمة في اكتساب الأموال، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال)[٢]

عقاب الله له بالنار: وعن خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ - يتصرفون - فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٣]

وعن أبي بكر عن النبي ﷺ قال (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به)[٤]

لعنة الله على الراشي والمرتشي: عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال (لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي) [٥]

من صفات اليهود: قال تعالى: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) المائدة

زمان لا يبالي المرء ما أخذ من الحلال أم الحرام: عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال (ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام) [٦]

تحريم الطيبات: قال تعالى (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)النساء

ضياع الخير والبركة: قال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)) الأعراف

---

(١) الظلال لسيد قطب (١٥٠/١)
(٢) تفسير ابن كثير
(٣) صحيح البخاري
(٤) صحيح الجامع
(٥) صحيح الترغيب والترهيب
(٦) صحيح البخاري

ضـــياع الأمانة: عن أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ في جلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم بل لم يسمع. حتى إذ قضى حديثه قال (أين -أراه -السائل عن الساعة). قال ها أنا يا رسول الله قال (فإذا ضـيعت الأمانة فانتظر الســاعة). قال كيف إضــاعتها؟ قال (إذا وســد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) [١] ، وقد قال أحد الشعراء: إذا أتتِ الهَدِيّةُ دارَ قَوْمٍ ** تطايرتِ الأمانةُ مِنْ كُوَاهَا

الرائش يعين المرتشي على الظلم : قال تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون)هود، وقال مكحول الدمشقي ـ رحمه الله تعالى ـ: (ينادى مناد يوم القيامة: أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحد مد لهم حبرا أو حبر لهم دواة أو برى لهم قلما فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم).

الرشـــوة تؤدى إلى اختلال ميزان العدالة في المجتمع : وإحداث خلل فيه، قد يؤدى إلى ضـــياعه وانهياره. قال الشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-:(إن الله تعالى ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ويخذل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة!).

مسميات مختلفة للرّشوة والمقصد واحد: جاءت ألفاظ مرادفة للرشوة سواء في القرءان أو السنة أو كلام الناس: منها السّحت، والبرطيل، وَفِي الْمَثَل: الْبَرَاطِيل تَنْصُرُ الأَبَاطِيل. وفي بعض الأوساط الشعبية يقولون: الإكرامية، والحلاوة، والهدية، والقهوة، وحقّ القات، والْمُصَانَعَةُ: وقد قيل: مَنْ صَانَعَ بِالْمَال لَمْ يَحْتَشِمْ مِنْ طَلَبِ الْحَاجَةِ.

حرمة أخذ هدية من خلال الوظيفة: فالهدايا التي يأخذها الحكّام والولاَة، والقضـــاة، ورؤســـاء البلديات، والموظّفون في الإدارات، والجمارك، والمطارات وكلّ مســـؤول في كلّ مكان ينتفع به النّاس إنما هي جمر من نار جهنّم فليُقِلَّ أو لِيَسْتَكْثِر من جمر النار

فقد جاء في حديث عبد الله ابن اللُّتبيّة وحديثه معروف عند المحدثين بهذا الوصف، وابن اللتبية هو أحد الموظفين في جمع الزكاة وكان النّبيّ -ﷺ-يبعثهم في تلك المهمّات الرّسمية، فانظر أخي المسلم ماذا قال عنه النبي -ﷺ-لما أهدي له وهو موظف يتقاضى راتبا من الدولة

فعَنْ أَبِى حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِى سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ الأُتْبِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ قَالَ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (فَهَلاَّ جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَـــادِقًا). ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ (أَمَّا بَعْدُ فإني

---

[١] صحيح البخاري

أَسْـتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا ولأنى اللَّهُ فيأتي فَيَقُولُ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لي. أَفَلاَ جَلَسَ في بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ لَقِىَ اللَّهَ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِىَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعِرُ). ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُئِىَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ (اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ). بَصُرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أُذُنِي). [1] ، ومعنى [(استعمل) وظف. (الصدقة) الزكاة. (هذا لكم) ما جمعته زكاة تأخذونه لتعطوه الفقراء المستحقين. (منه) من المال الذي يهدى له بسبب عمله ووظيفته. (جاء به) حشر مصاحبا له. (رغاء) صوت ذوات الخف. (خوار) صوت البقر. (تيعر) من اليعار وهو صوت الشاة. (عفرة إبطيه) بياض ما تحت الإبط وسمي عفرة لأنه بياض غير ناصع كأنه معفر بالتراب. (ثلاثا) أي كررها ثلاث مرات].

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-يَقُولُ (مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). قَالَ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأَنْصَارِ كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْبَلْ عَنِّى عَمَلَكَ قَالَ (وَمَا لَكَ). قَالَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا. قَالَ (وَأَنَا أَقُولُهُ الآنَ مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ فَمَا أُوتِىَ مِنْهُ أَخَذَ وَمَا نُهِىَ عَنْهُ انْتَهَى) [2].

القضاة ثلاثة: عن بريدة ﷺ عن النبي ﷺ (قال القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار)[3]

ولله دَرُّ القائل:

تَزَوَّدْ حِكْمَةً مِنِّي ** وخَلِّ القِيلَ والقَالاَ
فسادُ الدّين والدّنيا ** قَبُولُ الحاكِمِ المَالاَ

حرمة أخذ الحرام حتى لو حكم القاضي له به: عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله -ﷺ- قال: (إنّما أنا بشر، وإنّما يأتيني الخصم فلعلّ بعضَكم أن يكون ألحنَ بحجّته من بعض فأقضيَ له، فمن قضيتُ له بحقّ مسلم فإنّما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها) [4].

متى تجوز الرشوة: أجاز بعض العلماء دفع الرشوة من أجل رفع ظلم أو رد حق، شريطة أن يتيقن من أنه لا يستطيع التوصل إلى دف هذا الظلم أو ر هذا الحق إلا إذا دفع رشوة لمن بيده القدرة على ذلك. والإثم هنا يقع على الآخذ دون المعطي. وذلك لأن المشقة تجلب التيسير.

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح مسلم (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) متفق عليه

والله تعالى يقول: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت). ورفع الحرج له أصل في أصل في الشريعة، شريطة أن تقدر الضرورة بقدرها.

وقال تعالى: (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم). فهذه الآية عامة تشمل بعمومها كل مضطر معرض للخطر المحقق، والضرر المحدق، ولا يجوز أن تتسع دائرة الإباحة في هذا الأمر لتشمل كل اضطرار فهناك ضر خفيف لا يقاوم إثم الرشوة وما يترتب عليها من غضب وعقاب! وبالجملة: فالإنسان أبصر بنفسه، وهو المسئول وحده عن تصرفه بين يدي الله يوم القيامة، هل كان معذورا أم لا؟ والسعيد من أعد للسؤال جوابا. فإذا تعرض لدفع رشوة وهو كاره، ومضطر فلا جناح عليه عند جمهور العلماء، ولكن عليه أن يتبع السيئة بالحسنة. أما المرتشي فإن عليه من الوزر ما تقشعر منه القلوب والأبدان. إن ذنب الرشوة لا يقل عن الربا لما فيها من استغلال القوى للضعيف، والحاكم للمحكوم، ولما يترتب عليها من ضياع للحقوق وإفساد للذمم وإغطاط الأخلاق.

وقال الحافظ الذهبي: ــرحمه الله تعالى ــ: قال العلماء .... وإنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم، أو ينال بها ما لا يستحق. أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له ويدفع عن نفسه ظلما فإنه غير داخل في اللعنة. وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقا أو دفع بها ظلما.

وبالجملة: فالرشوة من أجل دفع الضرر ورد الحق الضائع جائزة شرعا وعرفا بشرطين.

الأول: تيقنه من استحالة نيل حقوقه إلا بها (وتكون بقدر الضرورة فقط).

والثاني: ألا يستحل ذلك، بل يستنكره في نفسه على الأقل، ويستغفر الله تعالى.

خامساً: كيفية مكافحة جرائم الرشوة

يمكن أن تتحقّق بعدّة وسائل من بينها:

تعظيم حرمات الله تعالى في نفوس النّاس أن تنتهك.

ترسيخ عقيدة التوحيد وأن الله وحده هو الرزاق في قلوب الناس: قال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود ٦)

وقال سبحانه: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون *ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وقال سبحانه: وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (الذاريات: ٢٣).

وعن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق

الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا) [١].

وعن حذيفة ﷺ قال (قام النبي ﷺ فدعا الناس فقال هلموا إلي فأقبلوا إليه فجلسوا فقال هذا رسول رب العالمين جبريل عليه السلام نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته)[٢].

تمسّك المواطنين بحقوقهم المشروعة وعزوفهم عن تقديم الرّشاوى للموظفين.

رفع المستوى المادّي للموظفين للحيلولة بينهم وبين العوز والاحتياج وبالأخصّ الموظفين ذوي الدَّخل المحدود.

تشجيع الموظفين على الاستقامة والنزاهة بتقرير مكافآت مالية لهم على النّحو المتبع في المؤسسات الحرّة.

إنشاء إدارة خاصّة تسمى إدارة مكافحة الرّشوة على غرار إدارة مكافحة المخدّرات وغيرها، وأن يختار لها أناس ذوو أمانة وكفاءة أقوياء.

العمل الجادّ على رفع المستوى الأخلاقي للشعوب لأنّ القوانين التي لا تساندها أخلاق الشعوب المستقيمة مآلها الفشل والاندحار.

إيمان المشرّع بأن القوانين التي يصدرها يجب أن تستمد قوتها من الشّرع الحكيم.

أن يكون لوسائل الإعلام المختلفة دور فعال في تشجيع الهيئات المكافحة للفساد، وأن تتابع قضايا الرشوة في المحاكم وتشهر بها ترهيبا للناس من هذه الظاهرة، وأن تكشف للرأي العام عن الإدارات والأماكن التي توجد فيها هذا المرض لتتحرك الجهات المسؤولة ولإحراج المتكاسلين عن أداء واجبهم أو الخائفين المتخاذلين.

على ولاة الأمور أن يسلّطوا العقوبات القاسية ضدّ كلّ من يثبت عنه بالدّلائل القاطعة استغلال منصبه في المؤسسات الرّسمية وأجهزة الدّولة لحسابه الخاصّ، وأوّل هذه العقوبات الفصل النّهائي من عمله، ومصادرة الأموال التي اكتسبها من الرّشوة والنّماء النّاتج عنها ليكون عبرة لغيره لاسيما وأننا إذا نظرنا للناحية القانونية، فإن قانون العقوبات يجرّم كل ما يسمي هدايا، فهو يعاقب الموظف العمومي الذي يقبل، بل حتى الذي يطلب وعدًا أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته، حتى ولو كان العمل داخلاً في اختصاصه، وسوف يمارسه بطريقة مشروعة، فمجرد

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة (٢) صحيح الترغيب والترهيب

الحصول على مقابل أو عطيّة ـ كما يقول القانون ـ يعتبر رشوة.

يتعين على الأئمة والوعاظ أن يكثروا من تذكير الناس بفناء الدنيا وما فيها من أموال وبيوم الحساب، وسرد الوعيد الوارد في أكل المال الحرام والظلم عموما، والوارد في الرشوة خصوصا من فوق المنابر وعلى صفحات الجرائد والمواقع الإليكترونية وكلّ ما هو متاح لهم من وسائل الإعلام.

أن تجعل في البرامج التعليمية في مختلف المستويات دروسا تشرح فيها مفاسد الرّشوة على الفرد والمجتمع وعاقبة أهلها في الدنيا والآخرة، وأخرى لبيان خطر أكل المال الحرام، ودروسا في العقيدة يعرف فيها النّشء بأنّ رزقه مقدر له قبل أن يولد وأنّ السرقة والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل لن يزيد في ماله ورزقه شيئا.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بدعة الاحتفال بشم النسيم

الحمد لله شـــهدت بوجوده آياته الباهرة، ودلت على كرم جوده نعمه الباطنة والظاهرة، وســـبحت بحمده الأفلاك الدائرة، والرياح الســـائرة، والســـحب الماطرة، هو الأول فله الخلق والأمر، والأخر فإليه الرجوع يوم الحشر، هو الظاهر فله الحكم والقهر، هو الباطن فله السر والجهر

وأشهد إلا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير

أنشـــأتني ورحمـــتني وسـترتني ** أحســن فأنت المحســن المفضــال
ما لي ســواك وأنت غاية مقصــدي ** والكل أنت وما عداك ضـــــلا
أنـــســـت قلبي يـا حبيبي والمني ** يـا من لـه الأنعام والأفضـــــال

وأشـهد أن سيدنا وحبيبنا وشـفيعنا محمد عبد الله ورسـوله وصـفيه من خلقه وحبيبه إذا سـار سـار النور معه، وإذا نام فيّح الطيب مضجعه، وإذا تكلم كانت الحكمة مرفعه

هو المختار مـــن الـــبرايا ** هو الهـادي البشـــير هو الرســـول
عليـه من المهيمن كـل وقـت ** صـــــلاة دائمـا فيهـا القبـــول

وعلى إله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصـــر

أولاً: أصل الاحتفال بشم النسيم وتطوراته

ثانياً: حكم الاحتفال بعيد شم النسيم

ثالثاً: موقف المسلم من عيد شم النسيم

الموضـوع

النسيم هو الريح الطيبة، وشمه يعنى استنشاقه، وهل استنشاق الريح الطيبة له موسم معين حتى يتخذه الناس عيدا يخرجون فيه إلى الحدائق والمزارع، ويتمتعون بالهواء الطلق والمناظر الطبيعية البديعة، ويتناولون فيه أطايب الأطعمة أو أنواعاً خاصة منها لها صلة بتقليد قديم أو اعتقاد معين؟ ذلك ما نحاول أن نجيب عليه فيما يأتي

أولاً: أصل الاحتفال بشم النسيم وتطوراته

يقول الدكتور عطية صقر

الفراعنة: كان للفراعنة أعياد كثيرة، منها أعياد الزراعة التي تتصل بمواسمها، والتي ارتبط بها تقويمهم إلى حد كبير، فإن لسنتهم الشمسية التي حددوها باثني عشر شهراً ثلاثة فصول، كل منها أربعة أشهر، وهي فصل الفيضان ثم فصل البذر، ثم فصل الحصاد. ومن هذه الأعياد عيد النيروز الذي كان أول سنتهم الفلكية بشهورها المذكورة وأسمائها القبطية المعروفة الآن.

وكذلك العيد الذي سمى في العصر القبطي بشم النسيم، وكانوا يحتفلون به في الاعتدال الربيعي عقب عواصف الشتاء وقبل هبوب الخماسين، وكانوا يعتقدون أن الخليقة خلقت فيه، وبدأ احتفالهم به عام ٢٧٠٠ ق. م وذلك في يوم ٢٧ برمودة، الذي مات فيه الإله (ست) إله الشر وانتصر عليه إله الخير. وقيل منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد.

وكان من عادتهم في شم النسيم الاستيقاظ مبكرين، والذهاب إلى النيل للشرب منه وحمل مائه لغسل أراضي بيوتهم التي يزينون جدرانها بالزهور. وكانوا يذهبون إلى الحدائق للنزهة، ويأكلون خضرًا كالملوخية والملآنة والخس، ويتناولون الأسماك المملحة التي كانت تصاد من بحر يوسف وتملح في مدينة (كأنوس) وهي أبو قير الحالية كما يقول المؤرخ (سترابون) وكانوا يشمون البصل، ويعلقونه على منازلهم وحول أعناقهم للتبرك.

وإذا كان لهم مبرر للتمتع بالهواء والطبيعة وتقديس النيل الذي هو عماد حضارتهم فإن تناولهم لأطعمة خاصة بالذات واهتمامهم بالبصل لا مبرر له إلا خرافة آمنوا بها وحرصوا على تخليد ذكراها.

لقد قال الباحثون: إن أحد أبناء الفراعنة مرض وحارت الكهنة في علاجه، وذات يوم دخل على فرعون كاهن نوبي معه بصلة أمر بوضعها قرب أنف المريض، بعد تقديم القرابين لإله الموت (سكر) فشفى. وكان ذلك في بداية الربيع، ففرح الأهالي بذلك وطافوا بالبلد والبصل حول أعناقهم كالعقود حول معابد الإله (سكر) وبمرور الزمن جدت أسطورة أخرى تقول: إن امرأة تخرج من النيل في ليلة شم النسيم يدعونها (ندَّاهة) تأخذ الأطفال من البيوت وتغرقهم، وقالوا: إنها لا تستطيع أن تدخل بيتا يعلق عليه البصل).

اليهود: ثم حدث في التاريخ المصري حادثان، أولهما يتصل باليهود والثاني بالأقباط، أما اليهود فكانوا قبل خروجهم من مصر يحتفلون بعيد الربيع كالمصريين، فلما خرجوا منها أهملوا الاحتفال

به، كما أهملوا كثيرا من عادات المصريين، شأن الكاره الذي يريد أن يتملص من الماضي البغيض وآثاره. لكن العادات القديمة لا يمكن التخلص منها نهائياً وبسهولة، فأحب اليهود أن يحتفلوا بالربيع لكن بعيداً عن مصر وتقويمها، فاحتفلوا به كما يحتفل البابليون، واتبعوا في ذلك تقويمهم وشهورهم.

فالاحتفال بالربيع كان معروفاً عند الأمم القديمة من الفراعنة والبابليين والأشوريين، وكذلك عرفه الرومان والجرمان، وإن كانت له أسماء مختلفة، فهو عند الفراعنة عيد شم النسيم، وعند البابليين والأشوريين عيد ذبح الخروف، وعند اليهود عيد الفصح، وعند الرومان عيد القمر، وعند الجرمان عيد (إستر) إلهة الربيع.

وأخذ احتفال اليهود به معنى دينياً هو شكر الله على نجاتهم من فرعون وقومه.

وأطلقوا عليه اسم (عيد بساح) الذي نقل إلى العربية باسم (عيد الفصح) وهو الخروج، ولعل مما يشير إلى هذا حديث رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما-أنه قال: (قدم رسول الله -ﷺ-المدينة فرأى أن اليهود تصوم عاشوراء، فقال لهم (ما هذا اليوم الذي تصومونه)؟ قالوا: هذا يوم عظيم، نجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله -ﷺ-: (فنحن أحق وأولى بموسى منكم) فصامه رسول الله -ﷺ-وأمر بصيامه). وفى رواية (فنحن نصومه تعظيماً له).

غير أن اليهود جعلوا موعدا غير الذي كان عند الفراعنة، فحددوا له يوم البدر الذي يحل في الاعتدال الربيعي أو يعقبه مباشرة.

المسيحية: ولما ظهرت المسيحية في الشام احتفل المسيح وقومه بعيد الفصح كما كان يحتفل اليهود. ثم تآمر اليهود على صلب المسيح وكان ذلك يوم الجمعة ٧ من أبريل سنة ٣٠ ميلادية، الذي يعقب عيد الفصح مباشرة، فاعتقد المسيحيون أنه صلب في هذا اليوم، وأنه قام من بين الأموات بعد الصلب في يوم الأحد التالي، فرأى بعض طوائفها أن يحتفلوا بذكرى الصلب في يوم الفصح ، ورأت طوائف أخرى أن يحتفلوا باليوم الذي قام فيه المسيح من بين الأموات، وهو عيد القيامة يوم الأحد الذي يعقب عيد الفصح مباشرة ، وسارت كل طائفة على رأيها ، وظل الحال على ذلك حتى رأى قسطنطين الأكبر إنهاء الخلاف في (نيقية) سنة ٣٢٥ ميلادية وقرر توحيد العيد، على أن يكون في أول أحد بعد أول بدر يقع في الاعتدال الربيعي أو يعقبه مباشرة ، وحسب الاعتدال

الربيعي وقتذاك فكان بناء على حسابهم في يوم ٢١ من مارس (٢٥ من برمهات) فأصبح عيد القيامة في أول أحد بعد أول بدر وبعد هذا التاريخ أطلق عليه اسم عيد الفصح المسيحي تمييزا له عن عيد الفصح اليهودي.

هذا ما كان عند اليهود وتأثر المسيحيين به في عيد الفصح. أما الأقباط وهم المصريون الذين اعتنقوا المسيحية فكانوا قبل مسيحيتهم يحتفلون بعيد شم النسيم كالعادة القديمة ، أما بعد اعتناقهم للدين الجديد فقد وجدوا أن للاحتفال بعيد شم النسيم مظاهر وثنية لا يقرها الدين ، وهم لا يستطيعون التخلص من التقاليد القديمة ، فحاولوا تعديلها أو صبغها بصبغة تتفق مع الدين الجديد، فاعتبروا هذا اليوم يوما مباركا بدأت فيه الخليقة، وبشَّر فيه جبريل مريم العذراء بحملها للمسيح ، وهو اليوم الذي تقوم فيه القيامة ويحشر الخلق ، ويذكرنا هذا بحديث رواه مسلم عن النبي -ﷺ-: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم ، وفيه دخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) (١)

فاحتفل أقباط مصر بشم النسيم قوميا باعتباره عيد الربيع، ودينيا باعتباره عيد البشارة، ومزجوا فيه بين التقاليد الفرعونية والتقاليد الدينية. وكان الأقباط يصومون أربعين يوما لذكرى الأربعين التي صامها المسيح عليه السلام، وكان هذا الصوم يبدأ عقب عيد الغطاس مباشرة، فنقله البطريرك الإسكندري ديمتريوس الكرام ، وهو البطريرك الثامن عشر (١٨٨ - ٢٣٤م) إلى ما قبل عيد القيامة مباشرة ، وأدمج في هذا الصوم صوم أسبوع الآلام ، فبلغت عدته خمسة وخمسين يوما ، وهو الصوم الكبير، وعمَّ ذلك في أيام مجمع نيقية (٣٢٥ م) وبهذا أصبح عيد الربيع يقع في أيام الصوم إن لم يكن في أسبوع الآلام ، فحرم على المسيحيين أن يحتفلوا بهذا العيد كعادتهم القديمة في تناول ما لذ وطاب من الطعام والشراب ، ولما عز عليهم ترك ما درجوا عليه زمناً طويلاً تخلصوا من هذا المأزق فجعلوا هذا العيد عيدين ، أحدهما عيد البشارة يحتفل به دينياً في موضعه ، والثاني عيد الربيع ونقلوه إلى ما بعد عيد القيامة، لتكون لهم الحرية في تناول ما يشاءون ، فجعلوه يوم الاثنين التالي لعيد القيامة مباشرة ، ويسمى كنسيًّا (اثنين الفصح) كما نقل الجرمانيون عيد الربيع ليحل في أول شهر مايو.

---

(١) صحيح مسلم

تتمة

من هذا نرى أن شم النسيم بعد أن كان عيدا فرعونيا قوميا يتصل بالزراعة جاءته مسحة دينية، وصار مرتبطا بالصوم الكبير وبعيد الفصح أو القيامة، حيث حدد له وقت معين قائم على اعتبار التقويم الشمسي والتقويم القمري معا، ذلك أن الاعتدال الربيعي مرتبط بالتقويم الشمسي، والبدر مرتبط بالتقويم القمري، وبينهما اختلاف كما هو معروف، وكان هذا سببا في اختلاف موعده من عام لآخر، وفى زيادة الاختلاف حين تغير حساب السنة الشمسية من التقويم اليولياني إلى التقويم الجريجوري. وبيان ذلك : أن التقويم القمري كان شائعا في الدولة الرومانية ، فأبطله يوليوس قيصر، وأنشأ تقويماً شمسيا ، قدر فيه السنة ب ٢٥، ٣٦٥ يوما ، واستخدم طريقة السنة الكبيسة مرة كل أربع سنوات ، وأمر يوليوس قيصر باستخدام هذا التقويم رسميا في عام ٧٠٨ من تأسيس روما ، وكان سنة ٤٦ قبل الميلاد، وسمى بالتقويم اليولياني، واستمر العمل به حتى سنة ١٥٨٢ م حيث لاحظ الفلكيون في عهد بابا روما جريجوريوس الثالث عشر خطأ في الحساب الشمسي ، وأن الفرق بين السنة المعمول بها والحساب الحقيقي هو ١١ دقيقة ، ١٤ ثانية ، وهو يعادل يوما في كل ١٢٨ عاما ، وصحح البابا الخطأ المتراكم فأصبح يوم ٥ من أكتوبر سنة ١٥٨٢ هو يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٥٨٢م وهو التقويم المعروف بالجريجوري السائد الآن . وعندما وضع الأقباط تاريخهم وضعوه من يوم ٢٩ من أغسطس سنة ٢٨٤م الذي استشهد فيه كثيرون أيام (دقلديانوس) جعلوه قائماً على الحساب اليولياني الشمسي، لكن ربطوه دينيا بالتقويم القمري، وقد بنى على قاعدة وضعها الفلكي (متيون) في القرن الخامس قبل الميلاد، وهو أن كل ١٩ سنة شمسية تعادل ٢٣٥ شهرا قمريا، واستخدم الأقباط هذه القاعدة منذ القرن الثالث الميلادي. وقد وضع قواعد تقويمهم المعمول به إلى الآن البطريرك ديمتريوس الكرام، وساعده في ذلك الفلكي المصري بطليموس.

وبهذا يحدد عيد القيامة (الذي يعقبه شم النسيم) بأنه الأحد التالي للقمر الكامل (البدر) الذي يلي الاعتدال الربيعي مباشرة. وقد أخذ الغربيون الحساب القائم على استخدام متوسط الشهر القمري لحساب ظهور القمر الجديد وأوجهه لمئات السنين (وهو المسمى بحساب الألقطي) وطبقوه على التقويم الروماني اليولياني، فاتفقت الأعياد المسيحية عند جميع المسيحيين كما كان يحددها التقويم القبطي، واستمر ذلك حتى سنة ١٥٨٢م حين ضبط الغربيون تقويمهم بالتعديل الجريجوري. ومن هنا اختلف موعد الاحتفال بعيد القيامة وشم النسيم.

أســـتمحيك عفواً أيها القارئ الكريم إذْ أتعبتك بذكر تطورات التقويم وتغير مواعيد الأعياد، إذ قد لخصتها من عدة مواضع من كتاب (تاريخ الحضارة المصرية، ومن بحث للدكتور عبد الحميد لطفي في مجلة الثقافة)عدد ١٢١(لسنتها الثالثة في ٢٢ / ٤ / ومن منشورات بالصحف: الجمهورية ١٩٨٥/٤/١٥، الأهرام ١٩٨٧/٤/٢٠، ١٩٨٨/٤/١١ فإني قصدت بذلك أن تعرف أن عيد الربيع الحقيقي ثابت في موعده كل عام، لارتباطه بالتقويم الشمسي. أما عيد شم النسيم فإنه موعد يتغير كل عام لاعتماده مع التقويم الشـــمســـي على الدورة القمرية، وهو مرتبط بالأعياد الدينية غير الإســـلامية، ولهذه الصـــفة الدينية زادت فيه طقوس ومظاهر على ما كان معهوداً أيام الفراعنة وغيرهم، فحرص الناس فيه على أكل البيض والأسماك المملحة، وذلك ناشئ من تحريمها عليهم في الصـــوم الذي يمســـكون فيه عن كل ما فيه روح أو ناشـــئ منه، وحرصـــوا على تلوين البيض بالأحمر، ولعل ذلك لأنه رمز إلى دم المســـيح على ما يعتقدون وقد تفنن الناس في البيض وتلوينه حتى كان لبعضه شهرة في التاريخ.

فقد قالوا: إن أشـــهر أنواع البيض بيضـــة هنري الثاني التي بعث بها إلى (ديانادى بواتييه) فكانت علبة صدف على شكل بيضة بها عقد من اللؤلؤ الثمين، كما بعث لويس الرابع عشر للآنسة (دى لا فالييز) علبة بشـكل بيضـة ضـمنها قطعة خشـب من الصـليب الذي صـلب عليه المسـيح، ولويس الخامس عشر أهدى خطيبته (مدام دى بارى) بيضة حقيقية من بيض الدجاج مكسوة بطبقة رقيقة من الذهب، وهي التي قال فيها الماركيز (بوفلر) لو أنها أكلت لوجب حفظ قشـرتها (مهندس/ محمد حسن سعد – الأهرام ٢٥ من أبريل ١٩٣٨.

وقيصـر روسـيا)الإسـكندر الثالث(كلف الصـائغ)كارل فابرج(بصـناعة بيضـة لزوجته ١٨٨٤م، استمر في صـنعها ستة أشـهر كانت محلاة بالعقيق والياقوت، وبياضـها من الفضـة وصـفارها من الذهب، وفى كل عام يهديها مثلها حتى أبطلتها الثورة الشيوعية ١٩١٧م.

ثانياً: حكم الاحتفال بعيد شم النسيم:

مما سبق عرضه في قصة نشأة هذا العيد وأصله ومظاهره قديماً وحديثاً يتبين ما يلي:

أن أصـــل هذا العيد فرعوني: كانت الأمة الفرعونية الوثنية تحتفل به ثم انتقل إلى بني إســـرائيل بمخالطتهم للفراعنة، فأخذوه عنهم، ومنهم انتقل إلى النصارى، وحافظ عليه الأقباط –ولا يزالون-. فالاحتفال به فيه مشـابهة للأمة الفرعونية في شـعائرها الوثنية؛ إن هذا العيد شـعيرة من شـعائرهم المرتبطة بدينهم الوثني، والله تعالى حذرنا من الشـرك ودواعيه وما يفضـي إليه؛ كما قال سـبحانه

مخاطباً رسوله -ﷺ-:(ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين*بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) الزمر، ولقد قضى الله سبحانه -وهو أحكم الحاكمين- بأن من مات على الشرك فهو مخلد في النار؛ كما قال سبحانه: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً) (النساء ١١٦).

أن اسم هذا العيد ومظاهره وشعائره من بيض مصبوغ : أو منقوش وفسيخ (سمك مملح) وبصل وخس وغيرها هي عين ما كان موجوداً عند الفراعنة الوثنين ولها ارتباط بعقائد فاسدة كاعتقادهم في البصل إذا وضع تحت الوسادة أو علق على الباب أو ما شابه ذلك فإنه يشفي من الأمراض ويطرد الجان كما حصل في الأسطورة الفرعونية، ومن فعل ذلك فهو يقتدي بالفراعنة في خصيصة من خصائص دينهم الوثني، والنبي -ﷺ-يقول: (من تشبه بقوم فهو منهم) [١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(هذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) [٢]

وقال الصنعاني -رحمه الله تعالى-:(فإذا تشبه بالكفار في زي واعتقد أن يكون بذلك مثله كفر، فإن لم يعتقد ففيه خلاف بين الفقهاء: منهم من قال: يكفر، وهو ظاهر الحديث، ومنهم من قال: لا يكفر ولكن يؤدب) [٣].

وهذه الاعتقادات التي يعقدونها في طعام عيد شم النسيم وبيضه وبصله مناقضة لعقيدة المسلم، فكيف إذا انضم إلى ذلك أنها مأخوذة من عباد الأوثان الفراعنة؟ لا شك أن حرمتها أشد؛ لأنها جمعت بين الوقوع في الاعتقاد الباطل وبين التشبه المذموم.

ذكر الشيخ الأزهري علي محفوظ رحمه الله تعالى : عضو هيئة كبار العلماء في وقته في مصر- بعض ما شاهده من مظاهر هذا العيد، وما يجري فيه من فسوق وفجور فقال -رحمه الله تعالى- :(وناهيك ما يكون من الناس من البدع والمنكرات والخروج عن حدود الدين والأدب في يوم شم النسيم، وما أدراك ما شم النسيم؟ هو عادة ابتدعها أهل الأوثان لتقديس بعض الأيام تفاؤلاً به أو تزلفاً لما كانوا يعبدون من دون الله، فعمرت آلافاً من السنين حتى عمت المشرقين، واشترك فيها العظيم والحقير، والصغير والكبير.) إلى أن قال:(فهل هذا اليوم -يوم شم النسيم-في مجتمعاتنا الشرعية التي تعود علينا بالخير والرحمة؟ كلا، وحسبك أن تنظر في الأمصار بل القرى فترى في ذلك اليوم ما يزري بالفضيلة، ويخجل معه وجه الحياء من منكرات تخالف الدين، وسوءات تجرح

(١) صحيح الجامع (٢)الاقتضاء ٣١٤/١ (٣) سبل السلام (٢٤٨/٨)

الذوق السليم، وينقبض لها صدر الإنسانية.

والرياضة واستنشاق الهواء، ومشاهدة الأزهار من ضرورات الحياة في كل آن لا في ذلك اليوم الذي تمتلئ فيه المزارع والخلوات بجماعات الفجار وفاسدي الأخلاق، فتسربت إليها المفاسد، وعمتها الدنايا، فصارت سوقاً للفسوق والعصيان، ومرتعاً لإراقة الحياء، وهتك الحجاب، نعم، لا تمر بمزرعة أو طريق إلا وترى فيه ما يخجل كل شريف، ويؤلم كل حي، فأجدر به أن يسمى يوم الشؤم والفجور!! ترى المركبات والسيارات تتكدس بجماعات عاطلين يموج بعضهم في بعض بين شيب وشبان ونساء وولدان ينزحون إلى البساتين والأنهار، ترى السفن فوق الماء مملوءة بالشبان يفسقون بالنساء على ظهر الماء، ويفرطون في تناول المسكرات، وارتكاب المخازي، فاتبعوا خطوات الشيطان في السوء والفحشاء في البر والبحر، وأضاعوا ثمرة الاجتماع فكان شراً على شر، ووبالاً على وبال.

تراهم ينطقون بما تصان الأذان عن سماعه، ويخاطبون المارة كما يشاؤون من قبيح الألفاظ، وبذيء العبارات؛ كأن هذا اليوم قد أبيحت لهم فيه جميع الخبائث، وارتفع عنهم فيه حواجز التكليف (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون).

فعلى من يريد السلامة في دينه وعرضه أن يحتجب في بيته في ذلك اليوم المشؤوم، ويمنع عياله وأهله، وكل من تحت ولايته عن الخروج فيه حتى لا يشارك اليهود والنصارى في مراسمهم، والفاسقين الفاجرين في أماكنهم، ويظفر بإحسان الله ورحمته) [١].

ظهر من كلام الشيخ علي محفوظ الآنف الذكر : وكلام من نقلنا عنهم في مظاهر هذا العيد الوثني الفرعوني، أنه عيد ينضح بالفجور والفسوق، ويطفح بالشهوات والموبقات، وكل من كتب عن هذا العيد من المعاصرين –فيما وقفت عليه من مصادر-يذكرون ما فيه من اختلاط، وتهتك في اللباس، وعلاقات محرمة بين الجنسين، ورقص ومجون، إضافة إلى المزامير والطبول وما شاكلها من آلات اللهو، فيكون قد أنضاف إليه مع كونه تشبهاً بالوثنيين في شعائرهم جملة من مظاهر الفسق والفجور كافية في التنفير عنه، والتحذير منه.

يقول الدكتور عطية صقر: لا شك أن التمتع بمباهج الحياة من أكل وشرب وتنزه أمر مباح ما دام في إطار المشروع، الذي لا ترتكب فيه معصية ولا تنتهك حرمة ولا ينبعث من عقيدة فاسدة. قال

---

(١)الإبداع في مضار الابتداع (٢٧٢٧٦)

تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (المائدة ٨٧)، وقال: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (الأعراف: من الآية ٣٢).

لكن هل للتزين والتمتع بالطيبات يوم معين أو موسم خاص لا يجوز في غيره، وهل لا يتحقق ذلك إلا بنوع معين من المأكولات والمشروبات، أو بظواهر خاصة؟ هذا ما نحب أن نلفت الأنظار إليه.

إن الإسلام يريد من المسلم أن يكون في تصرفه على وعي صحيح وبُعد نظر، لا يندفع مع التيار فيسير حيث يسير، ويميل حيث يميل، بل لا بد أن تكون له شخصية مستقلة فاهمة، حريصة على الخير بعيدة عن الشر والانزلاق إليه، وعن التقليد الأعمى، فيجب أن يوطِّن نفسه على أن يحسن إن أحسنوا، وألا يسيء إن أساءوا، وذلك حفاظاً على كرامته واستقلال شخصيته، غير مبال بما يوجه إليه من نقد أو استهزاء ، والنبي -ﷺ-نهانا عن التقليد الذي من هذا النوع فقال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) [١].

فلماذا نحرص على شم النسيم في هذا اليوم بعينه والنسيم موجود في كل يوم؟ إنه لا يعدو أن يكون يوما عاديًّا من أيام الله حكمه كحكم سائرها بل إن فيه شائبة تحمل على اليقظة والتبصر والحذر، وهي ارتباطه بعقائد لا يقرها الدين، حيث كان الزعم أن المسيح قام من قبره وشم نسيم الحياة بعد الموت.

ولماذا نحرص على طعام بعينه في هذا اليوم، وقد رأينا ارتباطه بخرافات أو عقائد غير صحيحة، مع أن الحلال كثير وهو موجود في كل وقت، وقد يكون في هذا اليوم أردأ منه في غيره أو أغلى ثمنا.

ثالثاً: موقف المسلم من عيد شم النسيم:

من عرضنا السابق لأصل هذا العيد ونشأته ومظاهره وشعائره فإنه يمكن تلخيص ما يجب على المسلم في الآتي:

عدم الاحتفال به، أو مشاركة المحتفلين به في احتفالهم : أو حضور الاحتفال به؛ وذلك لما فيه من التشبه بالفراعنة الوثنيين ثم باليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يخصهم محرم فكيف بالتشبه بهم في شعائرهم؟ ، قال الحافظ الذهبي –رحمه الله-:(فإذا كان للنصارى عيد ولليهود عيد كانوا مختصين به فلا يشركهم فيه مسلم كما لا يشاركهم في شرعتهم ولا قبلتهم).

---

[١] متفق عليه

عدم إعانة من يحتفل به من الكفار أقباطاً كانوا أم يهوداً أم غيرهم: بأي نوع من أنواع الإعانة، كالإهداء لهم، أو الإعلان عن وقت هذا العيد أو مراسيمه أو مكان الاحتفال به، أو إعارة ما يعين على إقامته، أو بيع ذلك لهم، فكل ذلك محرم؛ لأن فيه إعانة على ظهور شعائر الكفر وإعلانها، فمن أعانهم على ذلك فكأنه يقرهم عليه، ولهذا حرم ذلك كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:(لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال ولا إيقاد نار ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك، ولا يحل فعل وليمة ولا الإهداء ولا البيع بما يستعان به على ذلك لأجل ذلك، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد ولا إظهار الزينة، وبالجملة: ليس لهم أن يخصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام) [١].

وقال ابن التركماني الحنفي –رحمه الله-:(فيأثم المسلم بمجالسته لهم وبإعانته لهم بذبح وطبخ وإعارة دابة يركبونها لمواسمهم وأعيادهم) [٢]، وقد أحسن الشيخ محفوظ –رحمه الله-حينما أوصى كل مسلم في بلاد يحتفل بهذا العيد فيها أن يلزم بيته، ويحبس أهله وأولاده عن المشاركة في مظاهر هذا العيد واحتفالاته.

الإنكار على من يحتفل به من المسلمين ومقاطعته في الله تعالى إذا صنع دعوة لأجل هذا العيد، وهجره إذا اقتضت المصلحة ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: (وكما لا نتشبه بهم في الأعياد فلا يعان المسلم في ذلك؛ بل ينهى عن ذلك، فمن صنع دعوة مخالفة للعادة في أعيادهم لم تُجب دعوته، ومن أهدى من المسلمين هدية في هذه الأعياد مخالفة للعادة في سائر الأوقات غير هذا العيد لم تقبل هديته خصوصاً إن كانت الهدية مما يستعان بها على التشبه بهم كما ذكرناه، ولا يبيع المسلم ما يستعين به المسلمون على مشابهتهم في العيد من الطعام واللباس ونحو ذلك؛ لأن في ذلك إعانة على المنكر) [٣]

وبناء على ما قرره شيخ الإسلام فإنه لا يجوز للتجار المصريين من المسلمين أو في أي بلاد يحتفل فيها بشم النسيم أن يتاجروا بالهدايا الخاصة بهذا العيد من بيض منقوش، أو مصبوغ مخصص لهذا العيد، أو سمك مملح لأجله، أو بطاقات تهنئة به، أو غير ذلك مما هو مختص به؛ لأن المتاجرة

---

(١)مجموع الفتاوى ٣٢٩/٢٥ (٢)اللمع في الحوادث والبدع ٥١٥٢٠/٢) (٣)الاقتضاء ٥١٥٢٠/٢

بذلك فيها إعانة على المنكر الذي لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله -ﷺ-. كما لا يحل لمن أهديت له هدية هذا العيد أن يقبلها؛ لأن في قبولها إقراراً لهذا العيد، ورضاً به.

ولا يعني ذلك الحكم بحرمة بيع البيض أو السمك أو البصل أو غيره مما أحله الله تعالى، وإنما الممنوع بيع ما خصص لهذا العيد بصبغ أو نقش أو تمليح أو ما شابه ذلك، ولكن لو كان المسلم يتاجر ببعض هذه الأطعمة، ولم يخصصها لهذا العيد لا بالدعاية، ولا بوضع ما يرغب زبائن هذا العيد فيها فلا يظهر حرج في بيعها ولو كان المشترون منه يضعونها لهذا العيد.

عدم تبادل التهاني بعيد شم النسيم : لأنه عيد للفراعنة ولمن تبعهم من اليهود والنصارى، وليس عيداً للمسلمين، وإذا هنئ المسلم به فلا يرد التهنئة، قال ابن القيم -رحمه الله-:(وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق مثل: أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك وهو لا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه) [١]

توضيح حقيقة عيد شم النسيم وأمثاله من الأعياد : التي عمت وطمت في هذا الزمن، وبيان حكم الاحتفال بها لمن اغتر بذلك من المسلمين، والتأكيد على ضرورة تميز المسلم بدينه، ومحافظته على عقيدته، وتذكيره بمخاطر التشبه بالكفار في شعائرهم الدينية كالأعياد، أو بما يختصون به من سلوكياتهم وعاداتهم؛ نصحاً للأمة، وأداءً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي بإقامته صلاح البلاد والعباد.

والواجب على علماء مصر أن يحذروا المسلمين من مغبة الاحتفال بعيد شم النسيم، أو مشاركة المحتفلين به، أو إعانتهم بأي نوع من أنواع الإعانة على إقامته، وحث الناس على إنكاره ورفضه؛ لئلا يكون الدين غريباً بين المسلمين.

وقد لاحظت أن كثيراً من إخواننا المسلمين في مصر يحتفلون بهذا العيد ولا يعرفون حقيقته وأصله، وحكم الاحتفال به، وبعضهم يعرف حقيقته، ولكنهم يقللون من خطورة الاحتفال به ظناً منهم أنه أصبح عادة وليس عبادة، وحجتهم أنهم لا يعتقدون فيه ما يعتقده الفراعنة أو اليهود والنصارى، وهذا فهم خاطئ فإن التشبه في شعائر الدين يؤدي إلى الكفر سواء اعتقد المتشبه

---

(١)أحكام أهل الذمة ٤٤٤٤/١

بالكفار في هذه الشعيرة ما يعتقدون فيها أم لم يعتقد؟

بخلاف التشبه فيما يختصون به من السلوكيات والعادات فهو أخف بكثير، ولا سيما إذا انتشرت بين الناس ولم تعد خاصة بهم، وكثير من الناس لا يفرق بين الأمرين.

ولذا فإننا نرى المسلم يأنف من لبس الصليب؛ لأنه شعار النصارى الديني بينما نراه يحتفل بأعيادهم أو يشارك المحتفلين بها، وهذا مثل هذا إن لم يكن أعظم، لأن الأعياد من أعظم الشعائر التي تختص بها الأمم، وكون عيد شم النسيم تحول إلى عادة كما يقوله كثير من المحتفلين به وهم لا يعتقدون فيه ما يعتقده أهل الديانات الأخرى لا يبيح الاحتفال به؛ ودليل ذلك ما رواه ثابت بن الضحاك -رضي الله عنه- قال: (نذر رجل على عهد رسول الله -ﷺ- أن ينحر إبلاً ببوانه، فأتى النبي -ﷺ- فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانه، فقال النبي -ﷺ-:)هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول الله -ﷺ-:(أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)[١]

فيلاحظ في الحديث أن النبي -ﷺ-اعتبر أصل البقعة، ولم يلتفت إلى نية هذا الرجل في اختيار هذه البقعة بعينها، ولا سأله عن ذبحه لمن يكون: أهو لله -تعالى-أم للبقعة، لأن ذلك ظاهر واضح، وإنما سأله النبي -ﷺ-عن تاريخ هذه البقعة: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ وهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ فلما أجيب بالنفي أجاز الذبح فيها لله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:(وهذا يقتضي أن كون البقعة مكاناً لعيدهم مانع من الذبح بها وإن نذر، كما أن كونها موضع أوثانهم كذلك، وإلا لما انتظم الكلام ولا حسن الاستفصال، ومعلوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها بالتعييد فيها أو لمشاركتهم في التعييد فيها، أو لإحياء شعار عيدهم فيها، ونحو ذلك؛ إذ ليس إلا مكان الفعل أو نفس الفعل أو زمانه، وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً فكيف نفس عيدهم؟)[٢] ، وعيد شم النسيم ليس في زمان العيد ومكانه فحسب، بل هو العيد الوثني الفرعوني عينه في زمانه وشعائره ومظاهر الاحتفال به، فحرم الاحتفال به دون النظر إلى نية المحتفل به وقصده، كما يدل عليه هذا الحديث العظيم.

فالواجب على المسلم الحذر مما يخدش إيمانه، أو يخل بتوحيده، وتحذير الناس من ذلك.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح سنن أبي داود (٢)الاقتضاء ٤٤٣/١

يدًا واحدة ضد الإرهاب

الحمد لله رب العالمين المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعز الذي لا يرام، الصمد الذي لا بصوره العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الأفهام، سبق الزمان فلا يقال متى كان، وخلق المكان فلا يقال أين كان فتبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام .

واشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، إله عز من اعتز به فلا يضام، وذل من تكبر عن أمره ولقي الآثام، استغفر الله مما كان من زللي ومن ذنوبي وإفراطي وإصراري، يا رب اغفر لي ذنوبي يا كريم فقد أحكمت حبل الرجا يا خير غفاري، إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم أعتقوهم عتق أحراري، وأنت يا سيدي أولى بذا كرما قد شبت في الرق فأعتقني من النار.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

صلوا على خير الأنام محمد ** إن الصلاة عليه نور يعقد
من كان صلى عليه قاعد يغفر له ** قبل القيام وللمتاب يجدد
وكذلك إن صلى عليه وهو قائما ** يغفر له قبل القعود ويرشد

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

العناصر

أولاً: تعريف الإرهاب وبيان أنواعه ثانياً: أهمية الإصلاح في الإسلام

ثالثاً: حرمة الإرهاب والإفساد بكل صوره رابعا: وسائل التصدي للإرهاب والإفساد

الموضوع

أولا: تعريف الإرهاب وبيان أنواعه وأسبابه

أ-تعريفه

الإرهاب لغة: أصله أرهب، يرهب، إرهابًا وترهيبا فتدور معانيها: الإخافة والترويع.

والإرهاب شرعًا: هو الاعتداء المنظم من فرد أو جماعة أو دولة على النفوس البشرية، أو الأموال العامة أو الخاصة بالترويع والإيذاء والإفساد من غير وجه حق ومعني الاعتداء المنظم: أي الظلم الذي

يقع على صورة مرتبة ومتسقة لتحقيق أهداف عامة سياسية أو اقتصادية. وله بواعثه العقدية أو الفكرية.

ب-أنواعه

النوع الأول: الأفعال الإرهابية التي ترتكب ضمن وسائل النقل: يعد من أخطر مظاهر الإرهاب الاعتداء على وسائل النقل بأنواعها المختلفة كاختطاف الطائرات والسفن وتغيير مسارها بالقوة واحتجاز ركابها والاعتداء عليهم أو قتل بعضهم لتكون وسيلة ضغط لتحقيق أهدافهم الإرهابية فضلا عن وسائل النقل الأخرى كالاعتداء على القطارات ومحطات مترو الأنفاق ووضع المتفجرات فيها..

النوع الثاني: الأفعال الإرهابية التي ترتكب ضد الأشخاص: يشمل هذا النوع من الأفعال الاعتداء على السلامة الجسدية، للأشخاص كحوادث الاغتيالات الموجهة ضد ملوك ورؤساء الدول ورؤساء الوزارات والوزراء ورموز السلطة العامة ورجال السياسة والدين وأعضاء البعثات الدبلوماسية والهيئات الدولية أو ضد الأبرياء ....

النوع الثالث: الأفعال الإرهابية التي ترتكب ضد الأموال والمنشئات: ومن أبرز أمثلتها الاستيلاء على البنوك وما فيها من أموال آو إشعال الحرائق وإلقاء القنابل والمتفجرات على الأحياء السكنية والتجمعات والمراكز التجارية، كذلك توجيه الأعمال الإرهابية لتدمير المباني الحكومية وتدمير مباني السفارات والقنصليات أو مكاتب شركات الطيران ....

ج-أسباب ودواعي الإرهاب:

التأثر بالنص الديني المتشدد : الحاث على لزوم إحقاق الحق وإدحاض الباطل ولو بالوسائل العنفوية، أو تلك النصوص التي تبيح دماء وأموال وأعراض غير معتنقي الدين أو المذهب الذي يتبناه الإرهابي.

غطرسة الدول العظمى: وسعيها في تعزيز نفوذها وسطوتها وهيمنتها على الدول الضعيفة من خلال زرع الخلايا الإرهابية الضاربة في أمن وسلامة تلكم الدول بغية إجبارها أن تستغيث بقوة نفس الدول الراعية للإرهاب.

قيام الدول الراعية للإرهاب بتحطيم اقتصاديات الدول الصغيرة : من خلال ضرب وخلخلة الأمن فيها، عبر تدريب وتهيئة الخلايا الإرهابية الناشئة أساسا على ثقافة الدم والمتأثرة بالنصوص الدينية المتشددة. فتزداد الدول القوية قوة وانتعاشاً بحاجة الضعيفة لنجدتها.

شعور المنظمات الإرهابية بالغبن والظلم والبحث عن استرجاع حقوقها بطريق القوة المفرطة.

لتحقيق قاعدة (الضرب من الداخل) أو الضرب أسفل الجدار أو ضرب الإسلام بالإسلام نفسه للصق تهمة الإرهاب في الدين الإسلامي، وهذا من أهم دواعي الإرهاب.

النصوص الدستورية التي ترتكز إليها بعض الحكومات في ممارسة الإقصاء والإبادة بحق جماعة أو مكوّن اجتماعي ما.

الإبادة الجماعية سواء أكانت حكومية أو غير حكومية القائمة على استئصال جماعة بسبب جنسيتها أو عرقها أو انتمائها الاثني أو دينها.

إرهاب تقوم به جماعات منظمة برعاية الحكومة جراء اختلاف الرؤى والأفكار، وبعبارة أخرى فانه إرهاب ينال الرضا الحكومي، وغيرها من الأسباب.....

ثانياً: أهمية الإصلاح في الإسلام: -

أمر الله به: قال تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) الأنفال ١

وقال الله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) الحجرات ١٠

وقال تعالى :(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) الأنفال ١

وكان رسول الله ﷺ يصلح بنفسه بين المتخاصمين، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: (اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ.....) [١]

ربط الله تعالى الإصلاح بالإيمان والتوبة والتقوى ووعد بالجزاء العظيم: فقال تعالى (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) الأنعام ٤٨

وقال تعالى (فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) الأعراف ٣٥

وقال تعالى (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آل عمران٨٩

سبب لدعاء الملائكة والرسل: قال تعالى (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) غافر

خيرَ ما يتناجى فيه المتناجون: قال تعالى (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ

---

(١) صحيح البخاري

أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) النساء ١١٤

الأجر العظيم: عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة)[١]

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين[٢].

وقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين)

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا)[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلقٍ حسن) [٤] ، وعن أبي هريرة ﷺ قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ ـ قَالَ ـ تَعْدِلُ بَيْنَ الإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِى دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ـ قَالَ ـ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) [٥].

الإصلاح سبب من أسباب رحمة الله ومغفرته: قال تعالى (وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً) النساء ١٢٩ ، وقال تعالى (إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً) الإسراء ٢٥.

مرافقة الأنبياء في الجنة: قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً) النساء ٦٩

إن الله لا يضيع أجر المصلحين : قال تعالى: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)

الفوز بولاية الله ورعايته: قال تعالى (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) الأعراف

حفظ النسب أو العناية الإلهية بالذرية : قال تعالى: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) الكهف

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس -ﷺ-حفظاً بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صَلاحاً.

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢) صحيح الترغيب والترهيب "صحيح لغيره"
(٣) صحيح مسلم
(٤) الصحيحة: ١٤٤٨
(٥) متفق عليه

الإصـــلاح لا ينقطع أبدا: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِنْ قَامَتِ السَّـــاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) (١)

معية المؤمنين: ويقول تعالي (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا(١٤٦) (النساء)

قبول العمل الصالح: قال تعالى(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) فاطر

وراثة الأرض والاستخلاف فيها: قال تعالى: (أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)

الحياة الطيبة السعيدة في الدنيا والآخرة: قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل: ٩٧

النجاة من الهلاك والدمار: قال تعالى (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)

الدعاء : عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ: (كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ (اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا) (٢)

ثالثاً: حرمة الإرهاب والإفساد بكل صوره

النهي عن الفساد : قال تعالى (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا) الأعراف ٥٦

قال تعالى: (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) البقرة

وقال تعالي (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْـــهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) البقرة

وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) [البقرة]

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِـــدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) البقرة

وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) الأعراف ٣٣

---

(١) صحيح الأدب المفرد للبخاري

(٢) صحيح سنن الترمذي "حسن"

علم الله بالمفسدين: قال سبحانه (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) آل عمران ٦٣

تعجيل العقوبة في الدنيا والحساب كذلك في الآخرة: عن أبي بكرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ) [١]

وقال تعالى:(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ *إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ *الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ* وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ* وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ* إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (الفجر: ٦-١٤)

الخزي في الدنيا والآخرة: يقول تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة

عدم الفلاح : قال تعالى (وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النحل

عدم قبول العمل: قال تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) يونس

الحرمان من محبة الله تعالى: قال تعالى (إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ) القصص

قتل لنفس واحدة يعتبر قتل للجميع: قال تعالى:(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) المائدة

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: (من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعًا، ومن حرَّم دم مسلم فكأنما حرَّم دماء الناس جميعًا).

دخول النار حتى في تعذيب الحيوان الأعجم :عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-قَالَ (دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِى هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلاَ هِىَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ هِىَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً). قَالَ الزهري ذَلِكَ لِئَلاَّ يَتَّكِلَ رَجُلٌ وَلاَ يَيْأَسَ رَجُلٌ) [٢]

ومعنى: الخشاش: هوام الأرض وحشراتها واحده خَشَاشَة

---

(١) صحيح سنن الترمذي "صحيح"

(٢) متفق عليه

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟! ردوا ولدها إليها. والسياق لأبي داود وزاد: ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)[١]

و (الحمرة: طائر صغير كالعصفور أحمر اللون. تفرش: ترفرف بجناحيها وتقترب من الأرض).

فإذا كان الإسلام قد اقر الأمان للطير والحيوان فكيف يتجرأ عليه سفهاء العقول ومرضى القلوب في حق الإنسان؛ إذ يرهبون العباد ويفسدون في البلاد

النهى عن الترويع على سبيل الهزل من غير ضرر أو اعتداء : عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ: (أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ، فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا)[٢]

وعن أَبَى هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رسول الله ﷺ: (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ) [٣]

قتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا : وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَتْلُ مُؤْمِنٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا)[٤]

جَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا: فلقد توعد المولى سبحانه من قتل مسلما متعمدا بأشد العذاب قال تعالى (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) النساء

وعن أبى الْحَكَمِ الْبَجَلِيُّ، قَال: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، يَذْكُرَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ، وَأَهْلَ الْأَرْضِ، اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ، لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ)[٥]

عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ (يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ) [٦]

رابعا: وسائل التصدي للإرهاب والإفساد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لقد دعانا الإسلام إلى محاربة الفساد والإرهاب، وعدم السّكوت عن هذه الأفعال المشينة أو تبريرها، فالتصدي لها فيه نجاة للمجتمع كله ، وإهمالها وعدم التصدي

---

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) صحيح الترغيب والترهيب
(٣) صحيح مسلم
(٤) صحيح الترغيب والترهيب
(٥) صحيح الترغيب والترهيب "صحيح لغيره"
(٦) صحيح الترغيب والترهيب

لها فيه الهلكة للمجتمع كله ، فعن النعمان بن بشـــير ﷺ: عن النبي ﷺ(مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)[١]

الاعتصـام بحبل الله تعالي: وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَـفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) آل عمران

فلابد أن تقف جميع مؤسسات الدولة بل والدول كلها جنب إلى جنب للقضاء على هذه الظاهرة.

تربية النشء على المبادئ الإسـلامية: فهناك فرق كبير بين مَن يغرس في ولده مسـئولية إصـلاح المجتمع، ومَن يغرس عكسه مِن حب المنكرات وإشاعتها.

هذا لقمان -عليه السلام-يواصل بناء بنيانه على أعظم أسس؛ فبعد التوحيد، وبر الوالدين، وإصلاح النفس بالصلاة، انتقل إلى مسئولية المسلم في إصلاح الغير: قال الله -تعالى-عنه: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) لقمان:١٧

فالواجب على العبد كما انه يسير على نهج المصلحين ويرفض طرق المفسدين وأن يعتني بتنشئة أولاده على كل ما كان من شأنه الإصلاح ونبذ الفساد والإهمال فقد قال النبي -ﷺ(إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، حَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ) [٢]

نشـر العلم الشـرعي الصـحيح المسـتمد من نصـوص الكتاب والسـنة: وفق فهم سـلف الأمة، من الصـحابة والتابعين وأئمة المسـلمين، والإعانة عليه، وتسـهيل سـبله، وإصـلاح مناهج التعليم بما يتوافق مع عقيدة الأمة وثوابتها.

الاجتهـاد في إصـــلاح دين النـاس الـذي هو قوام حيـاتهم : وغاية وجودهم، ونفي كل ما يتعارض معه، أو يقدح فيه، لتطمئن النفوس، وتتحد الكلمة، ويجتمع الصف

العمل الجاد على إصـلاح أحوال الناس الدنيوية : وتلبية مطالبهم الضـرورية، وعلاج مشـكلاتهم، وتيسير أسباب الحياة الكريمة لهم، ليزداد التواصل الإيجابي بين الناس وولاتهم، وتتعاظم الثقة بينهم.

(١) صحيح البخاري (٢) السلسلة الصحيحة

أن تأخذ الدول الإسلامية بأسباب القوة المادية، بما يحقق لها السيادة والعزة، ويمنحها القدرة على الاستقلال في سياساتها، وقراراتها وتوجهاتها.

التحذير من خطر الإرهاب والإفساد وبيان عاقبتهما: وذلك من خلال التوعية الدينية في المساجد ووسائل الإعلام جميعها لبيان ما قد تنحدر إليه الأفراد والمجتمعات جراء أفعال المفسدين؛ وأيضا نشر صحيح الإسلام وبيان سماحته ووسطيته وتجريمه وتحريمه لكل أنواع الإفساد والإرهاب

التصدي للفساد والمفسدين : وذلك بتفعيل القوانين الرادعة لكل من سولت له نفسه فارهب الناس وأفسد في الأرض ورضي الله عن عثمان ابن عفان إذ يقول (إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن)

وقال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة.

عدم تبرير الجريمة أياً كان شكلها ومنفذوها، ومنهُ وعليه فالدعوة لتجفيف منابع الإرهاب يجب أن تنطبق على ممارسات الحكومات إزاء شعوبها وممارسات الدول العظمى إزاء دول العالم الضعيفة، وإذا بقينا في منهج تبرير الجريمة والجريمة المشروعة فسوف نعمق أصل الإرهاب بل ونعطيه صبغة شرعية.

تجفيف منابع الإرهاب الإعلامية: وهي: قنوات وصحف وإذاعات ومواقع انترنت وكل وسيلة إعلامية تدعو إلى الإرهاب (الشيعي أو السني أو المسيحي أو اليهودي) ومنعها من ممارسة عملها منعاً قاطعاً، ومنها الصحف التي أساءت للخاتم الأمين سيدنا محمد ﷺ.

الإخلاص والصدق والشعور بالمسؤولية : للحفاظ على أرواح الناس وإيقاف سفك الدماء من خلال التحلي بالشجاعة، وعدم الانقياد وراء مخططات دول إقليمية أو عالمية تريد الفتك بشعوبنا وزهق أرواحنا وأماتت أحبتنا (سنة وشيعة ومسيحيين وصابئة وايزيديين ويهود وغيرهم).

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

ثمرات الخوف من الله في الدنيا والآخرة

الحمد لله في الأولى فقد نامت عيون الخلائق وما غفل، وله الحمد في الآخرة إذا زاغت الأبصـــار، عبد الناس المال فأطغاهم، ونســوا الموت فغرهم الأمل، ولو شــاء ربك لجفت الأنهار وما أصــاب النباتَ بلل.

وأشـــهد أن لا إلـه إلا الله ملَك فحكَم فعدَل، قدر الأمور من الأزل، فلحكمـة لم يفعل ولحكمـة فعل، أخبرني عن الأرض كيف بخلت، ولماذا اســودَّ الجبل؟ وأخبرني عن البهائم كيف كلَّت، ولماذا أكل الـذئـب الحمـل؟ وأخبرني عن القرون لم انـدثرت؟ ولمـاذا كتـب على المترفين الزلـل؟ وأخبرني عن الأقدام إن زلَّت أبكلمة جوفاء يتحقق الأمل؟ وأخبرني عن المعاصي إذا تفشَّت فهل يخرج من النحل العسـل؟ وأخبرني عن أمة عريقة قد ضـلت، فهل دعاء الصـالحين يصـلح الخلل؟ كلا إذا ما القلوب بالزيغ قد ابتُليَت فلا بأس بالموت إذا حان الأجل.

وأشـهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي إذا قال فعل، ألم تر كيف اصطبر على الأذى وقد ناءت الجبال بما حمل، أرأيت كيف بالكذب رمَوه وبالسحر اتهموه فما وهن ولا عن دعوته انفصل؟ أرأيته حين فقد فلذة كبده قلَّ صـــبره أو ترك العمل؟ أرأيتـه حين غفر لـه في التنزيل قل خوفه أو فارقه الوجل؟ أما علمت أن الرسول نور يستضاء به فكم أعطى وكم بذل؟ والله لو لم يجد مؤمنًا في عصره لظلَّ يَدعو وما اعتزل.

اللهم صـلِّ وسـلِّم وبارك على من به اعوجاج الملَّة اعتدل، وبنور سـنته الشـرع اكتمل، واجعله الشفيع لنا إذا ما الروح حين البعث بالجسد اتصل، وأصبح الهلاك هو دون النجاة المحتمل.

العناصر

أولاً: ثمرات الخوف من الله في الدنيا

ثانياً: ثمرات الخوف من الآخرة

ثالثاً: نماذج الخوف من الله

الموضوع

الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسـبب توقع مكروه في المسـتقبل. وأخوفُ الناس أعرَفُهم بنفسـه وبربه، ولذلك قال النبي ﷺ: (أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية) [١] ، وقال تعالى:(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

---

(١) متفق عليه

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[فاطر: ٢١].

قال ابن القيم: قال أبو حفص: الخوف سوط الله، يقوم به الشاردين عن بابه، وقال: الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر وكل أحد إذا خفته هربت من إلا الله فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه وقال أبو سليمان، ما فارق الخوف قلباً إلا خرب [١].

أولاً: ثمرات الخوف من الله في الدنيا

سبب للنجاة من كل سوء: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في الرضى والسخط والقصد في الغنى والفقر. وأما المهلكات: فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهي أشدهن)[٢] فهذه الخشية هي التي تحفظ العبد وتنجيه من كل سوء.

يعين على تقوى الله في السر والعلانية: عن أبي ذر جُنْدُب بنِ جُنادَةَ وأبي عبدِ الرحمانِ معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ، عن رسولِ الله -ﷺ -، قَالَ: (اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) [٣]

العمل للقاء الله: عن أَبي برزة -براء ثُمَّ زاي -نَضْلَة بن عبيد الأسلمي -ﷺ -، قَالَ: قَالَ رَسُول الله -ﷺ -: (لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ؟) [٤]

من أسباب التمكين في الأرض وزيادة الإيمان والطمأنينة: لأنك إذا حصل لك الموعود وثقت أكثر قال عز وجل: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ)

من خاف الله دله الخوف على كل خير: قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: من خاف الله دله الخوف على كل خير، وكل قلب ليس فيه خوف الله، فهو قلب خراب.

وقال الحسن البصري حينما قيل له: يا أبا سعيد! إننا نجالس أقواماً يخوفوننا من الله جل وعلا، حتى تكاد قلوبنا أن تطير من شدة الخوف، فقال الحسن رحمه الله: والله إنك إن تخالط أقواماً يخوفونك في الدنيا حتى يدركك الأمن في الآخرة، خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك في الدنيا حتى يدركك الخوف في الآخرة.

إطعام الفقراء ومعاونتهم: قال تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا

---

(١)مدارج السالكين (٢) مشكاة المصابيح ـ حسن. (٣) صحيح الترغيب والترهيب (٤) صحيح سنن الترمذي

يَشْـــرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَـــرُّهُ مُسْـــتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا*إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) الانسان.

اجتناب المحرمات:

قال تعالى (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِـــهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يوسف ٢٣.

وعن أَبي هريرة -ﷺ -، عن النَّبيّ -ﷺ -، قَالَ: (لَمْ يَتَكَلَّمْ في المَهْدِ إلاَّ ثَلاثَـةٌ: عِيسَـــى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَـــلاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَـــلاتِهِ فَانْصَـــرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَـــلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ أمِّي وَصَـــلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَـــلاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ أمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ المُومِسَـــاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْـــرائِيل جُرَيْجاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْـــنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِـــئْتُمْ لأَفْتِنَنَّـــهُ، فَتَعَرَّضَـــتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلَى صَـــوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِـــهَا فَوقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ، قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيج، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهذِهِ البَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. قَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاؤُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي، فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلاَمُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلاَنٌ الرَّاعِي، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّـــحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَب. قَالَ: لاَ، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا .....) [١].

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي: أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يفتن بقفال: نعم. قالت: مَنْ؟ قال: عبيد بن عمير قالت: فائذن لي فيه فلأفتنه، قال: قد أذنت لك فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية في المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أَمَةَ الله استتري، فقالت: إني قد فتنت بك. قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك. قالت: لا تسألني عن شيء إلا صـــدقتك. قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاكِ ليقبض روحك أكان يَسُـــرُّكِ أن أقضـــي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صـدقت. قال: فلو أُدخلتِ قبركِ، وأجلستِ للمسـألة أكان يَسُـرُّكِ أني

---

(١) متفق عليه

قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم، ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يَسُرُّكِ أني قضيتها لك؟ الت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أردت الممر على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يَسُرُّكِ أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ. قال: فلو جيء بالميزان، وجيء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يَسُرُّكِ أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ. قال: اتقي الله، فقد أنعم عليك وأحسن إليك. قال: فرجعت إلى زوجها. فقال: ما صنعتِ؟ قالت: أنت بطالٌ ونحن بطالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد على امرأتي، كانت في كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة (١).

يعين على المسارعة إلى الخيرات: قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)) المؤمنون.

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة) قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرفون؟ فقال: لا يا بنت الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم (اولئك يسارعون في الخيرات) (٢)

جاء في الشرح ما خلاصته أن السر في خوف المؤمنين ان لا تقبل منهم عبادتهم أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عز وجل وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله.

حفظ الدماء والأرواح: فهو الذي منع ابن ادم أن يقتل اخاه عندما هم ان يقتله، قال تعالى (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) المائدة

يؤدي الى اتقان العمل: إنَّ المديرَ في إدارته، والمهندِسَ في مكتبِه، والمبَرْمِجَ في برمَجته، والمدرِّس في مدرسته، والداعية في مسجده والعامِلَ في معمله، والشرطيَّ في مخفره، والقاضيَ في محكَمَتِه، والصحفيَّ في جريدته، والكاتبَ في كتاباته، والطبيب في عيادته، والتاجر في متجره. عمومًا: كلّ مسئول من موقع مهمَّته؛ كما قال النَّبيُّ -ﷺ-:(ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئول عن رعيَّتِه، فالأميرُ الذي على النَّاس راعٍ، وهو مسئول عن رعيَّته، والرجُل راعٍ على أهل بيْتِه، وهو مسئول عنْهم، والمرأةُ راعية على بيْتِ بعْلِها وولَدِه، وهي مسئولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيِّده، وهو مسئول عنه، ألا فكلُّكم راعٍ ومسئول عن رعيَّته)(٣)

---

(١) روضة المحبين (٢) السلسلة الصحيحة (٣) صحيح مسلم

كلٌّ في عملِه، لوِ استحضرنا مُراقبةَ الله وعظَمَتَه وجلالَه، وقُدرتَه سبحانه واستحضرنا النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على تقصيره وعدم خوفه من الله واستحضرنا مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (ولو علمنا أن الله عاجلاً أم أجلاً يقتصَّ من عبْدِه الخائن، من جرَّاء عملٍ يُؤْذي ويهدِّد أمْنَ بلدِه الاقتِصاديّ والاجتِماعي والسياسي، لتحقَّقتْ رفاهية البُلدان، وانتشر العدْل، وسادَ تكافُؤُ الفُرَص، وقلَّت البطالة التي تنهش في فلذات أكْباد أبناء هذه الأُمَّة.

جلب المال من الحلال: عن كعب بن عجرة ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد في فكاك نفسه فمعتقها وغاد موبقها)[١]

قال نافع: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة فمر بهم راع فقال له عبد الله: هلم يا راعي فأصب من هذه السفرة؛ فقال: إني صائم؛ فقال له عبد الله في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت في هذه الشعاب في آثار هذه الغنم وبين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم؛ فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية فعجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها قال: إنها ليست لي إنها لمولاي؛ قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب ...؟! فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول فأين الله؟ [٢]

النطق بالكلام الطيب وتجنب الخبيث: عن أَبي هريرة ﷺ: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: (إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ) [٣]. ومعنى: (يَتَبَيَّنُ) يُفَكِّرُ أنَّها خَيْرٌ أم لا.

يعين على ضبط النفس: قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) الشمس، فإن من يخاف الله لا يمكن أن يكون كذَّابًا ولا منافقًا ولا مرائيًا ولا مخادعًا، ولا سارقًا ولا مختلسًا، ولا عاقًّا ولا مدمنًا، ولا قاتلاً أو زانيًا، ولا شارب خمر، ولا آكلا للحرام، ولا مانعًا للخير، ولا معطلاً لمسيرة الوطن، ولا مفسدًا أو مخربًا، ولا هدامًا، ولا فاسقًا، ولا فاحشًا، ولا سبابًا، ولا بذيئًا، ولا متطاولاً على خلق الله، قال الفضيل بن عياض (من خاف الله دله الخوف على كل خير، وكل قلب ليس فيه خوف الله، فهو قلب خراب). وعليه فان الطريق لهداية

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) صفة الصفوة لابن الجوزي. (٣) متفق عليه

القلوب واصـــلاح النفوس هو الخوف من الله؛ بـه يعم الامـان وتحفظ الارواح والاموال والاعراض وتنتش ر المودة والاخوة والمحبة وتتقن الاعمال وتقدم المصالح وتؤخر المفاسد؛ لذلك كان الاسلام حريصا على ترسيخ مفهوم الخوف من الله فى القلوب فقد قال تعالى (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)

لا يشغله شيء عن ذكر الله: قال تعالى (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَـالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّـلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) النور:٣٣٧.

البكاء من خشية الله والجهاد في سبيله: عن ابن عباس ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ -ﷺ -، يقول: (عَيْنَانِ لاَ تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبيلِ اللهِ) (١)

ما تركته لله عوضـك الله خيرا منه: لمَّا نهى عمر ﷺ في خلافته عن خلْطِ اللَّبن بالماء، وخرج ذات ليلةٍ في حواشـي المدينة، وأسند ظهْرَهُ إلى جدارٍ ليرْتاح، فإذا بامرأةٍ تقول لابنتها: ألا تَمْذُقين اللَّبنَ بـالماء؟ فقالت الجارية: كيف أمذُقُ وقد نَهى أميرُ المؤمنين عن المذق؟! فقالت الأم: فما يُدْرِي أميرَ المؤمنين؟ فقـالـت الجـاريـة: إن كـان عُمر لا يعلمُـه فـإلـهُ عمر يعلَم، مـا كنـت لأفعلـه وقد نَـهى عنـه، فوقعتْ مقالتُها من عمر ﷺ فلمَّا أصـبح دعا عاصـمًا ابنَه فوصـفها له ومكانَها، وقال: اذهب يا بنَيَّ فتزوَّجْها، فتزوَّجها عاصـمُ بن عُمر، فولدتْ له بنتًا فتزوَّجَها عبد العزيز بن مَرْوان بن الحَكَم، فأتتْ بِعُمر بن عبد العزيز ﷺ.

يجب الخوف من الله قبل فوات الأوان: قال أبو الدرداء: إنما أنت أيام، كلما مضـى منك يوم مضـى بعضك، فيا أبناء العشرين! كم مات من أقرانكم وتخلفتم؟، ويا أبناء الثلاثين! أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم؟

ويا أبناء الأربعين! ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم!!

ويا أبناء الخمسين! تنصفتم المائة وما أنصفتم!!

ويا أبناء الستين! أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم، أتلهون وتلعبون؟ لقد أسرفتم!!

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً) (٢).

قَالَ العلماء: معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذراً إِذْ أَمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ. يقال: أَعْذَرَ الرجُلُ إِذَا بَلَغَ الغايَةَ في العُذْرِ.

وقال الفضيل لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة. قال له: أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تصل!!

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٢) متفق عليه

قال ابن القيم: يا حاملًا لقبره حمل الخطايا، بئس ما حملت، يا عاملًا لنفسه ناصبة الرزايا، بئس ما عملت، كم أسكرك ساقي التسويف بكأس سوف، كم عوقك من دخول حمى التوبة؟! تجمع المال لغيرك وأنت المسؤول، تزعم أنك به قاتلٌ وأنت المقتول، ينعَم غيرك وأنت المعذَّب، رب ساعٍ لقاعدٍ لا يتعب.

أخي الحبيب: كم صلاة أضعتها؟ .. كم جمعة تهاونت بها؟ .. كم صيام تركته؟ ... كم زكاة بخلت بها؟ ... كم حج فوته ؟ ... كم معروف تكاسلت عنه؟ ... كم منكر سكت عليه؟ ... كم نظرة محرمة أصبتها؟ ... كم كلمة فاحشة تكلمت بها؟ ... كم أغضبت والديك ولم ترضهما؟ ... كم قسوت على ضعيف ولم ترحمه؟ .. كم من الناس ظلمته؟ ... كم من الناس أخذت ماله؟ ..

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع؟ فقال: (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار) [١]

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ** وكل يوم مضى يدنى من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً ** فإنما الربح والخسران في العمل

ثانياً: ثمرات الخوف من الآخرة

المؤمن لا يخاف الا من الله: قال تعالى (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران ١٧٥]، فالخوف من الله ثمرة حتمية للإيمان.

يرسل الله الآيات تخويفا: قال تعالى:(وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)

الأمان يوم القيامة: ففي الحديث القدسي يقول الله عز وجل: (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة) [٢]

وعن أنس قال: دخل النبي على شاب وهو في الموت فقال: (كيف تجدك؟) قال: أرجوا الله يا رسول الله وإني أخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ: (لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف)[٣]

يستظل تحت عرش الله يوم القيامة: عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال (سبعة يظلهم الله في ظله

(١) صحيح مسلم (٢) السلسلة الصحيحة (٣) صحيح الترغيب والترهيب

الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه [١]

إذاً الخوف من الله يؤدي إلى التمكين في الأرض والانتصار على الأعداء وأن يهلك الله عدوهم ويخزيهم ويورث المؤمنين أرضهم وديارهم.

المغفرة والأجر كبير: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) [الملك ١٢]

وعن أبي سعيد: عن النبي صلى الله عليه و سلم (أنه ذكر رجلا فيمن سلف أو فيمن كان قبلكم قال ـ كلمة يعني ـ أعطاه الله مالا وولدا فلما حضرت الوفاة قال لبنيه أي أب كنت لكم ؟ قالوا خير أب قال فإنه لم يبتئر أو لم يبتئز عند الله خيرا وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحما فاسحقوني أو قال فاسحكوني فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها فقال نبي الله صلى الله عليه و سلم فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز و جل كن فإذا هو رجل قائم قال الله أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال مخافتك أو فرق منك قال فما تلافاه أن رحمه عندها) . وقال مرة أخرى (فما تلافاه غيرها). فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه (أدروني في البحر). أو كما حدث [٢]

الفوز بالجنة: قال تعالى: (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) [ق ٣١ -٣٥]

وقال تعالى:(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)[النازعات]، وقال تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَام رَبّه جَنَّتَانِ) الرحمن ٤٦

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل. ألا أن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة) [٣]، أي الذي يخاف من إغارة العدو وقت السحر يسير من أول الليل(أدلج) فبلغ المنزل والمأمن والمطلب، وهذا مثل ضربه الرسول ﷺ لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه والنفس الأمارة بالسوء والأماني الكاذبة وأعوان إبليس، فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق عليه، هذه سلعة الله التي من دخلها كان من الآمنين.

---

(١) صحيح البخاري (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح سنن الترمذي

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ)[١].

من صفات العلماء الصالحين: قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فاطر ٢٨.

الخوف من مكر الله: عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-يَقُولُ (إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-(اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ).) [٢].

فالقلوب تتقلب، فأنت الآن على حال وبعد لحظات ربما يتحول قلبك إلى حال آخر، فلا تأمن على الإطلاق كيف يكون حال قلبك وأنت على فراش الموت، يقول الله: (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف ٩٩]، فالخوف من مكر الله مزق قلوب الصادقين، وقطع قلوب المؤمنين العارفين العالمين.

الخوف من النار: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (ناركم هذه التي توقدون جزء واحد من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها)[٣]

وعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ وَهْوَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-يَقُولُ (إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ) [٤].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-(تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ فَمَا لِى لاَ يَدْخُلُنِى إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِى أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِى. وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِى أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِى. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ قَطْ قَطْ قَطْ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا) [٥].

رُوي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: (لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحدًا، لخفت أن أكون أنا هو)[٦]

---

(١) السلسلة الصحيحة
(٢) صحيح مسلم
(٣) صحيح سنن الترمذي
(٤) متفق عليه
(٥) متفق عليه
(٦)لتخويف من النار لابن رجب، ص (١٧)،

فانظروا لهذا الخليفة الراشد، وقد شهد له النبي -ﷺ- بالجنة يقول إنه يخاف ألا يكون من أهل الجنة، فماذا نقول نحن وقد قصرت بنا أعمالنا، وغلبت علينا الذنوب والمعاصي، ونحن نأمل دخول الجنة مع التقصير في العمل ومحبة طول الأمل.

كيف لا تخاف الله: قال تعالى:(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

عدم الخوف من الله يؤدي إلى ضياع الحسنات: فعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (لأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضاً ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً) ، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِّهِمْ لَنَا ، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ ، قَالَ : (أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا)[١]

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا ** واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
لم ينسه الملكان حين نسيته ** بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح منك وديعة أودعتها ** ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها ** دار حقيقتها متاع يذهب
الليل فاعلم والنهار كلاهما ** أنفاسنا فيها تعد وتحسب

ثالثاً: نماذج الخوف من الله:

الملائكة: قال الله عز وجل: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) [الرعد ١٣]

وقال تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) النحل، وعن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالمَلإِ الأَعْلَى وَجِبْرِيلُ كَالحِلْسِ البَالِي مِنْ خَشْيَةِ الله عزَّ وَجَلَّ)[٢]

النبي ﷺ: عن ابن شهاب قال أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: أن أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ أخبرته أنه أقسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك يا أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ (وما يدريك أن الله أكرمه). فقلت بأبي أنت

(١) السلسلة الصحيحة (٢) السلسلة الصحيحة

يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال (أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي). قالت فوالله لا أزكي أحدا بعد أبدا [١]

أبو بكر الصديق ﷺ: يقول : وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن وكان يمسك بلسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد ، وكان يبكي كثيرا ، ويقول : ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل ، وأتى بطائر فقلبه ثم قال : ما صيد من صيد ، ولا قطعت شجرة من شجرة ، إلا بما ضيعت من التسبيح ، فلما احتضر ، قال لعائشة : يا بنية ، إني أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذه الحلاب وهذا العبد ، فأسرعي به إلى ابن الخطاب ، وقال : والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد ، وقال قتادة : بلغني أن أبا بكر قال : ليتني خضرة تأكلني الدواب [٢].

عمر بن الخطاب ﷺ : قرأ سورة الطور إلى أن بلغ: (إن عذاب ربك لواقع) [سورة الطور: ٧٧] فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني، ثم قال: ويل أمي، إن لم يغفر لي (ثلاثا)، ثم قضي، وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخيفه، فيبقى في البيت أياما يعاد، يحسبونه مريضا، وكان في وجهه -ﷺ- خطان أسودان من البكاء، وقال له ابن عباس، مصر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل، فقال: وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر [٣].

وعن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون قال أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم ورضاه فإنما ذاك من منِّ الله تعالى منَّ به علي وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك من منِّ الله جل ذكره منَّ به علي وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز و جل قبل أن أراه قال حماد بن زيد حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس دخلت على عمر بهذا [٤]

---

(١) صحيح البخاري (٢)الداء والدواء لابن القيم (٣) الداء والدواء لابن القيم (٤) صحيح البخاري

عثمان بن عفان ﷺ: كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبل لحيته، وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير [١].

علي بن أبي طالب ﷺ: كان يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل [٢].

بعض صحابة رسول الله ﷺ : عن أبي ذر ﷺ قال قرأ رسول الله ﷺ (هل أتى على الإنسان حين من الدهر حتى ختمها ثم قال إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا ملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله والله لوددت أني شجرة تعضد) [٣]

يقول أنس: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، أي: لهم بكاء بصوت خافت.

وكان عبد الله بن عباس أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع.

وكان أبو ذر يقول: يا ليتني كنت شجرة تعضد، ووددت أني لم أخلق وعرضت عليه النفقة، فقال: ما عندنا عنز نحلبها وحمر ننقل عليها، ومحرر يخدمنا، وفضل عباءة، وإني أخاف الحساب فيها.

وقرأ تميم الداري ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات [سورة الجاثية: ٢١] جعل يرددها ويبكي حتى أصبح.

وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح: وددت أني كبش فذبحني أهلي، وأكلوا لحمي وحسوا مرقي. وهذا باب يطول تتبعه [٤].

وهذا أبو الدرداء كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي: يا أبا الدرداء، قد علمت، فكيف عملت فيما علمت؟ وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لا قون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة، ولا شربتم شرابا على شهوة، ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل [٥].

وقال ابن مسعود: (اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: في مجالس العلم، وعند سماع القرآن، وفي أوقات

---

(١)الداء والدواء لابن القيم
(٢) المصدر السابق
(٣) صحيح البخاري
(٤) الداء والدواء لابن القيم
(٥) الداء والدواء لابن القيم

الخلوة، فإن لم تجد قلبك في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب؛ فإنه لا قلب لك).

بعض التابعين:

أ-عمر بن عبد العزيز تدخل عليه امرأته فاطمة بنت عبد الملك فتراه قابضاً على لحيته يبكي، فتقول له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟! فيقول لها: يا فاطمة! لقد وليت من أمر هذه الأمة وفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، واليتيم المكسور، والمضروب المقهور، والأرملة، والمسكين، وفي ذي العيال الكثير، وفي غيرهم وأشباههم في أقطار البلاد وأطراف الأرض، وعلمت أن خصمي دونهم هو محمد ﷺ، فخشيت ألا تثبت لي حجة بين يدي الله جل وعلا.

ب-سفيان الثوري ينام على فراش الموت فيدخل عليه حماد بن سلمة فيقول له حماد: أبشر يا أبا عبد الله! إنك مقبل على من كنت ترجوه وهو أرحم الراحمين، فقال له سفيان: أسألك بالله يا حماد! أتظن أن مثلي ينجو من النار؟

ج-الشافعي لما نام على فراش الموت دخل عليه المزني فقال له المزني: كيف أصبحت يا إمام؟! فقال الشافعي: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولعملي ملاقياً، وعلى الله وارداً، فلا أدري أتصير روحي إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها؟

ثم أنشد الشافعي قائلاً:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ** جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ** ربي كان عفوك أعظما

د-مالك بن دينار يقوم الليل يبكي للعزيز الغفار، وهو قابض على لحيته ويقول: يا رب! يا رب! لقد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك بن دينار ؟!

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير
٣- تفسي القرطبي
٤- تفسير الطبري
٥- تفسير السعدي
٦- مفاتيح الغيب للرازي
٧- الكشاف للزمخشري
٨- في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب
٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
١٠- تفسير القرآن لابن عثيمين
١١- فتح القدير للشوكاني
١٢- صحيح البخاري
١٣- صحيح مسلم
١٤- صحيح الترمذي للألباني
١٥- صحيح أبي داود للألباني
١٦- صحيح ابن ماجة للألباني
١٧- صحيح ابن حبان
١٨- صحيح ابن خزيمة
١٩- صحيح الترغيب والترهيب
٢٠- صحيح الجامع
٢١- السلسلة الصحيحة
٢٢- مشكاة المصابيح
٢٣- تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ للألباني
٢٤- جامع العلوم والحكم لابن رجب
٢٥- رياض الصالحين
٢٦- فتح الباري في شرح صحيح البخاري
٢٧- شرح صحيح مسلم للنووي
٢٨- موطأ مالك
٢٩- المعجم الكبير للطبراني
٣٠- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان
٣١- الشمائل للترمذي
٣٢- سيرة ابن هشام
٣٣- السيرة النبوية لابن كثير
٣٤- البداية والنهاية لابن كثير
٣٥- الرحيق المختوم
٣٦- دلائل النبوة للأصفهاني
٣٧- الشمائل للترمذي
٣٨- الأم للشافعي
٣٩- الإقناع للماوردي
٤٠- لسان العرب لابن منظور
٤١- تاج العروس
٤٢- القاموس المحيط
٤٣- المعجم الوسيط
٤٤- أدب الدنيا والدين للماوردي
٤٥- صيد الخاطر لابن الجوزي
٤٦- زاد المعاد لابن القيم
٤٧- الكلم الطيب لابن القيم
٤٨- مدارج السالكين لابن القيم
٤٩- حادي الأرواح لابن القيم
٥٠- ٢٧ مقدمة من أروع مقدمات الخطب لأحمد أحمد سلطان
٥١- الدرر البهية من المقدمات المنبرية للسيد مراد سلامة
٥٢- الموافقات للشاطبي
٥٣- البخلاء للجاحظ
٥٤- حلية الأولياء لأبي نعيم
٥٥- إحياء علوم الدين للغزالي
٥٦- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه
٥٧- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري
٥٨- الفتاوى الكبرى
٥٩- سير أعلام النبلاء
٦٠- روضة العقلاء
٦١- عيون الأخبار
٦٢- نهاية الأرب في فنون الأدب
٦٣- الأذكار للنووي

الفهرس

١. المقدمة ٢

٢. أهمية الصلاة على رسول الله ﷺ ٤

٣. سماحة الإسلام في العبادات ١٣

٤. حسن الخلق ٢٦

٥. الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ٣٧

٦. عليكم بالصدق ٤٧

٧. من الجوانب الإنسانية في حياة الرسول ﷺ ٥٨

٨. نعمة الرضا ٦٩

٩. التضحية في حياة المسلم ٧٨

١٠. مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار ٩٥

١١. الشائعات الهدامة وخطرها على الفرد والمجتمع ١٠٩

١٢. الاعتبار بالزمن ومصائر الدول والأمم ١١٩

١٣. أهمية الإصلاح وحرمة الإفساد ١٣٠

١٤. أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٤١

١٥. أهمية العمل التطوعي ١٥٢

١٦. إياك والرشوة ١٦٤

١٧. بدعة الاحتفال بشم النسيم ١٧٥

١٨. يداً واحدة ضد الإرهاب ١٨٧

١٩. ثمرات الخوف من الله في الدنيا والآخرة ١٩٦

٢٠. المصادر والمراجع ٢٠٩

٢١. الفهرس ٢١٠

٢٢. من إصدارات الشيخ احمد أبو عيد ٢١١

من إصدارات الشيخ أحمد أبو عيد

۞۞۞۞۞ ۞۞۞۞۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجـــزء الأول } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطـــب المنبرية { الجزء الثاني } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبـــرية { الجزء الثالث } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء الرابـــع } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء الخامس } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسلامية في الخطب المنبرية { الجزء السادس } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء السابع } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء الثامن } ۞

۞ كتاب الإرشادات الإسـلامية في الخطـب المنبـرية { الجزء التاسع } ۞

۞ كتاب الدرر الحسان في مدح الرحمن والنبي العدنان { الجزء الأول } ۞

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

۞۞۞۞۞

تم بحمد الله وتوفيقه

فلله الحمد أولاً وآخرًا

وأسأله سبحانه أن ينفع به المسلمين في كل أقطار الأرض،

وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم

وأن يغفر لوالدىَّ وللمسلمين أجمعين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد

والحمد لله رب العالمين

۞۞۞۞۞۞۞